محمد الماغوط

العاشق المتمرد

التقديم

الدكتور رياض نعسان آغا

وزير الثقافة

الإعداد والتوثيق

د. علي القيّم

منشورات وزارة الثقافة ٢٠٠٦

www.alkottob.com

في وداع الماغوط

الدكتور رياض نعسان آغا، وزير الثقافة

لم أفاجأ حين وجدت مئات الألوف يشيعون الماغوط إلى مستقره في سلمية، وقد وفدوا من كل أنحاء سورية، وبعضهم جاء من الوطن العربي أو المغترب، كان موكب السيارات قد سد المنافذ، فتسللت أرتال الدرّاجات النارية بالمئات، وعلى صهواتها شبان يتدافعون للوصول أقرب إلى نعش الإبداع، لعلهم يلقون النظرة الأخيرة على المبدع الذي سكن وجدان الناس، ولامس شغاف القلوب، بعظمة البساطة التي عاشها، وهي سر الجمال وسر العظمة.

كان الماغوط الساخر الضاحك الباكي يمد لسانه للحياة متهكماً على كل ما فيها، وكان حسبه منها أنها عاشها بصدق، صدق مع نفسه فجاءت أعماله المسرحية الساخرة تعبيراً جارحاً عن مراحل الانهيار العربي، لم يكذب حتى في سخريته من موقف الناس من الشهيد (المرحوم) في شقائق النعمان، حين وجد أن بعض الناس قد نسوا مكانته في وجدانهم، وباتوا يتصارعون على التسلق فوق جليد دمه، ولم يكذب حين شرب نخب الوطن بعد أن طغت رائحة الفساد الكريهة فيه على روائح الزهور اليانعة التي كان ينبغي أن تضوع مع جيل طالع من عقود القهر إلى سنوات البهجة والرخاء والنصر، ولم يكذب حين رفع تقريراً يصف فيه ما آل إليه الحال، فجاء تقريره الضاحك موجعاً لأنه يُشَرح الواقع بسكين الصدق، ولم يكذب حين روى حكاية انتمائه إلى حزب سياسي معترفاً بأنه كان يبحث عن مدفأة، ولم يكذب حين كتب القصيدة على هواه ومزاجه ورؤيته مخالفاً كل شرائع الشعر القديم، متحدياً كل من يستطيع أن ينسج على منواله، فجاءت النتيجة إخفاقاً ذريعاً لمن حاول التقليد، ومكانة عالية لقصيدته التي صارت ماغوطية لأنها عصية على التقليد.

كذلك كان الماغوط في مقالاته نسيج وحده في سخريته، لا يسلم من لسانه اللاذع أحد، ولكن لا ينزعج من نقده الصادق أحد، لأن سمة الإخلاص للوطن الذي أعلن أنه سيخونه، كانت واضحة الملامح الصادقة.

وقد بدأت صلتي بالماغوط في منتصف السبعينيات حيث التقيت به لأول مرة في مسرح الحمراء بعد عرض مسرحي ممتع لمخرج مبدع رحل، وكنت قد كتبت نقداً مسرحياً أشدت فيه بالمخرج،

www.alkottob.com

فتلقاني الماغوط، وقال لي بمحبة ومودة، لقد قرأت مقالتك، وأنت محق بالثناء على المخرج لأنه مبدع حقاً، ولكن قل لي ماذا تركت للقول فيه بعد عشر سنين؟

كان ذاك السؤال المحب درساً نقدياً تلقيته من الماغوط في باكورة عهدي بالكتابة النقدية، وأفهمني الماغوط يومها ضرورة ألا نخلط المحبة بالنقد، وألا نوقع المبدع في هوة الغرور حين تأخذنا النشوة بإبداعه الأول.

لكن الحادثة الطريفة التي رويتها في غير موضع، كانت يوم دعا الرئيس الراحل حافظ الأسد إلى حفل عشاء مؤتمراً للكتّاب العرب عقد في دمشق أوائل الثمانينيات، وكان الماغوط قد عرض مسرحياته السياسية الجريئة في النقد الساخر، وكان عشرات الكتّاب المدعوين يحتشدون عند المدخل، فتقصدت أن أقف خلف الماغوط عند التقدم للسلام على السيد الرئيس، معترفاً بأن الدافع هو فضول الصحفي لسماع ما سيقوله الرئيس للماغوط الذي اخترقت قامته الإبداعية سقف المسموح والمتاح فباتت شاهقة لا تطالها رقابة ولا تحدها سقوف، وكنت أتهيب أن يعبر الرئيس يومها عن ضيق بمبالغة الماغوط في السخرية، ولا سيما بعد مسرحيته الشهيرة (ضيعة تشرين) ولكنني كنت مطمئناً إلى ما أعلم مسبقاً عن سعة صدر الرئيس الذي بادر الماغوط بتحية عذبة وضحكة رحبة، وهو يعبر له عن ثناء كبير، ويقول له (اكتب بحريتك وإذا ضايقك أحد أخبرني) وقد هنأت الماغوط على هذه الثقة الغالية، والمحبة الغامرة.

ولا أنكر أنني كنت شديد الإعجاب بجرأة وشجاعة الماغوط، ولم أكن قد اكتشفت بعد أن الرجل مسكون بفوبيا الخوف، وقد عرفت ذلك حين ترافقنا في رحلة إلى القاهرة، وقد رويت طرائفها في مقال رثيت فيه الماغوط في مجلة (المنارة) الظبيانية، فحدثت القراء عن غرائب الماغوط المضحكة بعد سيل من مقالات الحزن في وداع الرجل الساخر.

لقد شعرت بأسى كبير لأنني ابتعدت عن الماغوط في السنوات الخمس الأخيرة التي قضيتها سفيراً خارج سورية فلم يتح لي أن أكون قريباً منه فأستقي من صحبته فيض محبة ولطف معشر، ولكنني فور عودتي وزيراً اتصلت به هاتفياً وطلبت موعداً منه، وسبق القدر الموعد فلم أر الماغوط بعد عودتي إلا مرفوعاً على الأيدي والأكف في تظاهرة مجد الأدب التي عاشتها سورية، وقد عبر شعبها الوفي عن أصالة حضارته في احتفائه بالمبدع، وفي تقدير مكانته التي لا تضاهيها مكانة.

www.alkottob.com

ولقد أتيح لي أن أودع الماغوط بكلمة رثاء على قبره في (سلمية) وكانت فرصتي لتقديم التعزية لشعب سورية ولكل العرب والمثقفين في العالم بفقد مبدع يغادرنا ليدخل برزخ الخلود، ولآقدم لأهل سلمية بخاصة تحية لما قدمت هذه المدينة على مر العصور من رفد ثري للثقافة والإبداع.

لقد كان من بعض العزاء لنا في فقد الماغوط أنه بدأ كاتباً محلياً لكنه سرعان ما دخل كل بيوت العرب في المسرح، وسرعان ما انتقل إلى العالمية في الشعر، وأنه عاش حياته عزيزاً مكرماً محاطاً بحب الناس، كما كان تكريم السيد الرئيس بشار الأسد له تعبيراً عن المكانة العالية التي ارتقى إليها الماغوط بإبداعه الذي يفخر به أدبنا العربي الحديث.

رحم الله فقيدنا الكبير، وأسكنه فسيح جنته، وعوض الأمة عنه من الأجيال القادمة من يتابع ضخ الإبداع في نهر ثقافتنا الرافد بغزارة وتدفق وصفاء محيط الثقافة الإنسانية الواسع.

* * *

www.alkottob.com

العاشق المتمرد

د. علي القيّم

قبل أيام قليلة من رحيل الأديب والشاعر الصديق محمد الماغوط، هتفت له، فجاء صوته متهدجاً واهناً بعض الشيء: أهلاً علي.. كيف حالك؟! قلت:الحمد لله، ماذا تسمع في هذه الأيام.. قال: أسمع "أوبريت" بساط الريح، لفريد الأطرش.. قلت: لماذا إصرارك على سماع أوبريت (بساط الريح) ولفريد الأطرش، مجموعة من الأعمال الغنائية الاستعراضية التي لا تقل قيمة عن (بساط الريح)مثل: الشرق والغرب، ما تقولش لحد، انتصار الشباب..

قال: عندما غنّى فريد الأطرش للوحدة، انتهت الوحدة العربية.. لذلك أستمع إلى "بساط الريح" من باب الذكرى..

وتم الاتفاق على لقاء قريب، وكان الرحيل دون سابق إنذار.. لقد ترجّل الصديق الشاعر ورحل حاملاً أحزانه وهواجسه وعشقه وتمرده وخيبات آماله.. لقد رحل "سياف الزهور" ليعود إلى "سلمية" بعد مسيرة طويلة حافلة بالحب والحرمان والفقر والتمرد والسخرية.. رحل بعد أن عاش سنوات عمره "خارج السرب".. عاش الحزن بكل أبعاده ومسميّاته، في ضوء القمر، يبحث ويفتش عن الغلط، ليضع الإصبع على الجرح، ويشير إلى خيبات الأمل..

عاد "الماغوط" إلى سلّمية، في يوم ربيعي ماطر..

عاد إلى معقل الفكر والفلسفة.. عاد إلى المدينة التي كوّنت شخصيتة الإنسانية المتمردة بكل أحلامها ورياحها وغيومها السريعة.. عاد إليها يحمل مرارته الساخرة.. عاد إلى أحبته وعشاق شعره ومسرحه وكتاباته.. عاد بعد أن عاش داخل (غرفة بملايين الجدران) وأدرك جيداً أن "الفرح ليس مهنته"، وتجوّل كثيراً في صحراء التيه العربية، يبحث عن الحقيقة والأحلام المنكسرة.. عاد إلى المدينة المقيمة في دمه ووجدانه.. عاد إلى:

"سلمية: الطفلة التي تعثّرت بطرف أوربا
وهي تلهو بأقراطها الفاطميّة
وشعرها الذهبي
وظلت جاثية وباكية من ذلك الحين
دميتها في البحر
وأصابعها في الصحراء"

* * *

محمد الماغوط، كان شديد الحضور في حياتنا الثقافية والأدبية.. كان حاضراً بقوة لدرجة أنه يصعب تصور قصيدة النثر بكل تجاربها وآفاقها وأفانينها دون أن يذكر اسمه، فقد اعتبرها بادرة حنان وتواضع في مضمار الشعر العربي الذي كان قائماً على القسوة والغطرسة اللفظية، وجعلها مرنة تستوعب التجارب المعاصرة بكل غزارتها وتعقيداتها.. لقد وضعنا"الماغوط" وجهاً لوجه أمام التجربة، وجعلنا نضطرإلى مواجهة الأشياء دون لف وراء البحور، ودوران حول القوافي..

www.alkottob.com

لقد أحب قصيدة النثر من أول نظرة وأول كرباج.. وكانت بالنسبة له طريقة بديعة في التعبير الشعري، وأصبح من خلالها أحد روادها دون أن يدرك بعدها النظري والفكري، وكانت صادقة "سنية صالح" حين اعتبرته من أبرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل.. فكان مثل الكناري المسافر في ضوء القمر.. لقد أحب المطر وأنين الأمواج البعيدة، فكتب وحلم واقترب من الناس ومن قلب السماء العالية، وكان جميلاً كوردة زرقاء على رابية..

صاخب عاش "الماغوط".. الكلمة الحمراء الشريدة، كانت مخدعه وحقوله.. طريقه كانت طويلة، موسيقاه كانت حزينة.. سفنه كانت فارغة، وريحه كانت مسقوفة بالأجراس..

يقول في "الفرح ليس مهنتي":

هكذا خلقني الله

سفينة وعاصفة

غابة وحطاباً

زنجياً بمختلف الألوان كالشفق، كالربيع

في دمي رقصة الفالس

وفي عظامي عويل كربلاء

وما من قوة في العالم

ترغمني على محبة ما لا أحب

وكراهية ما لا أكره

ما دام هناك

تبغ وثقاب وشوارع..

هذا هو العاشق المتمرد، الذي محال أن يتخيّل نفسه إلا نهراً في صحراء أو سفينة في بحر، جواده يصهل على التلال.. قالوا له: إن الحب موجود في كل مكان، فقط عليك أن تبحث عنه.. وراح يبحث وينقب ولكن دون جدوى..

* * *

قصائد الماغوط، ممزوجة بضحكات الأطفال، وتنهدات العذارى، وبكاء الطيور، ورياح المقابر.. كتب عن الجوع بالسنابل، وبالزهور عن الخريف، وبالأجنحة عن الأقفاص، وبالثلج عن المشردين، وبالرياح عن الشموع والحب والثأر والغِداء، وآلام الموت والولادة والاحتضار، حتى يهطل المطر من قلمه، وتغرّد العصافير في دفاتره..

لقد استخدم عكازه ليتفادى الحفر، ومظلّته للوقاية من المطر، والخبز والماء لمواجهة العطش والجوع، والمعطف والوشاح والقبعة لتفادي الزكام.. في زمن انتهت فيه البطولات والشعارات.. لقد كان يريد الربيع والخريف، وخطوط العرض والطول، وكل الفصول على مكتبه، ليعيد ترديد الكلمات الحمراء الصافية كالعيون بعد بكاء طويل..

في سنواته الأخيرة، كانت قواه تستنفد كشجرة على ضفّة نهر يجفّ تارة، ويفيض تارة أخرى.. لقد نسي أشياء كثيرة، ولكنه لم ينس دفاتره التي سجل فيها أحزانه لحظة بلحظة.. لقد دوّن فيها أمسيات الإبداع الماطرة، وصوره الشعرية الجميلة التي بحث عنها ومازالت تبحث عنه..

www.alkottob.com

يقول في أحد نصوصه التي دوّنها في آخر إبداعاته:

مللت اللجوء إلى التبغ

والخمر

والمهدئات

وأبراج الحظ

إن سعة الخيال تمزّق أعصابي

ولم تعد عندي حدود واضحة أو آمنة بين المجد والعار

والأمل واليأس

والفرح والحزن

والربيع والخريف

والصيف والشتاء

والمذكر والمؤنث

والمرفوع والمنصوب

وها أنا أضع أجمل وآخر قصائدي في أذني

وإصبعي على الزناد

وأنا واثق بأن حلقات من الدخان ستتصاعد وكأنها رصاصة حقيقية.

لقد كتب الماغوط على أغطية التوابيت بقسوة ملحمّية، وبلغة جرداء، جدباء، وقام بتوزيع قصائده على الحصادين وناضحي الماء من الآبار.. لقد وضع راحته فوق فمه وصرخ:

يا إلهي

أنقذني من هذه الصحراء

إنها تفقدني عقلي وصوابي وتوازني

وأنقض على كل ما فيها من شعر ونثر

ومسرح وعناء وعواء

وسجع وتجويد وتفخيم وإطناب وهذيان

* * *

في آخر أيامه اشتاق الماغوط إلى القلق الشعبي، وإلى بلدته سلمية بامتداداتها بما فيها من طيور وغيوم وأكفان متوارثة وشآبيب الرحمة والغفران والجنازات المقفاة كشعر الأفراح والأتراح والمناسبات الأخرى..

يقول في "البدوي الأحمر":

أيها الشعر الجميل والمزعج كمطر النزهة

من يعيدني إلى قريتي النائية على أطراف الصحراء؟

www.alkottob.com

والشمس والغبار والتقاليد البالية

إلى قطرة اللؤلؤ والمراهم المحرقة

والخربشات الدينية على الخدود المنفوخة

وقراءة الطالع

وتفسير الأحلام والكوابيس

وتبييض الفال

وإبعاد الغجر عن الأطفال.

لقد أصبح رأسه ممتلئ حتى آخره بالأحلام والأمنيات، ولم يعد فيه مكان لحلم جديد، وحتى لخيبة جديدة:

لقد قضيت حياتي وأنا أنتظر

حلول الليل

طلوع الفجر

الحب

تغريد الطيور

الإبداع

الإلهام

الهبوط

الإقلاع

إلا الذي أحبه أن يعود

فلا أرى له أية بارقة أمل.

ومع كل هذا وذاك، في مسيرة الماغوط، نجد البريق نفسه الذي حمله في بداياته، لقد ظلّ قادراً على مقاومة الزمن، وظلّ شعره طازجاً على الدوام، مشبعاً بنبض متوتر وسخرية عنيفة وحيوية دافقة.. لقد عرف جيداً كيف يجمع بين الفكرة والألفاظ وبين الصورة والكلمات، لذلك ستظل إبداعاته عصيّة على التقليد..

باقية في الذاكرة والوجدان.. شاهدة على "البدوي الأحمر" المشبع بالحب والتمرد والحزن والعتابا وريح الشمال..

محمد الماغوط، هو الاستثناء في الشعر والمسرح والحياة، كان وسيبقى "خارج السرب" في الثقافة العربية.

* * *

www.alkottob.com

كاتب التوحد والتمرد

د. حسين جمعة

غادر محمد الماغوط دنيانا متكئاً على مفارقات التوحد والحزن وهو يأمل في الحرية بدءاً من أول مجموعة شعرية سنة (١٩٥٩) بعنوان (حزن في ضوء القمر) حتى آخر كتاب بعنوان (شرق عدن-غرب الله) الذي جمع فيه نصوصاً تفور بنزوع اللذة والثورة والتمرد وتعانق وحشة الأمل وتنادم العزلة وتئن من وطأة ألم المعاناة.

فإذا كان الماغوط قد غنى (أنشودة المطر) وعاش (أحلام الفارس القديم) فإنه (العصفور الأحدب) الذي ضاقت به سبل الحياة بما امتلأت من نفاق وغش وخبث، وهو الذي عبر عن ذلك كله في ديوانيه المميزين (غرفة بملايين الجدران) و(الفرح ليس مهنتي).

إنه صورة حقيقية لما جاء في مقالاته (مسافر عربي في محطات الفضاء) أو أشعاره، أو مسرحياته ورواياته؛ صرخ في فضاء لا نهاية له متطلعاً إلى أن تتخلص أمته من أحزانها فإذا به يغوص في أعماق ذاته يحاورها بحوار خاص شديد الحساسية والرهافة لا يسمعه إلا في دهاليز رأسه، وإن جاء ثورة مهموسة قوية حطّمت الزهور الجميلة التي توردت في مجموعته الشعرية (سياف الزهور) أو كما وجدناه في (تداعيات فرعونية) حيث يقول: "الكلّ يرى فيَّ قلعة صامدة/ وطوداً شامخاً في وجه الزمن/ ولا يرى الكوخ المتداعي في أعماقي".

فالماغوط ظاهرة أدبية فنية مثيرة وغريبة غربة حياة التوحد والحسرة؛ والآهات والوحشة التي عانى منها، غربة تشهّي الحزن المتجدد في ذاته، هذا الحزن الذي فجره في نفسه كل ما يدور في جنبات وطنه وأمته وفق ما كتبه للسينما في فيلمي (التقرير) و(الحدود). كان يكتب مشاعره وأفكاره لا ليهدم بناء جميلاً، وإنما ليؤسس هذا البناء على ضوء القمر الساطع؛ وليكتب اسم بلاده على الشمس التي لا تغيب، وفق ما عبّر عنه في عدد من مسرحياته مثل (غربة) و(ضيعة تشرين) و(كاسك يا وطن) و(شقائق النعمان)؛ ولا سيما حين ساق هذه المسرحيات في إطار من المقارنة بين الماضي والحاضر واستجلب التاريخ ليهزأ من الواقع العربي المعاصر وهو يعالج أمراضه البائسة.

لقد صرخ في وجه الغلط بأسلوب أدبي ساخر خلط فيه بين الجد والهزل وكأنه يجسّد صورة ما جاء في مسرحيته (المهرج-١٩٧٥م) فمضمونها يقوم على سخرية عجيبة من واقع مزرٍ للأمة، إذ لا همَّ لها إلا أن تعيش في جلباب (صقر قريش) على حين تقبع في صقيع البرد؛ وشيخوخة العطاء، وعجز الأبناء عن الإبداع الحقيقي، أو في كتاباته الأخيرة حين قال: "الاسم.. محمد أو عيسى أو موسى../ مكان الإقامة.. أي رصيف أو حاوية عليه/ السن.. محير/ البلاد التي زرتها.. سجن المزة، القلعة،.. أبو زعبل، أبو غريب/ عدد العيون والآذان والأسنان.. حسب مراكز التحقيق، وللدولة واحد وخمسون بالمئة من عددها كأسهم الشركات الرسمية/ الطعام المفضل.. الأحلام/ العنوان الإلكتروني.. شرق عدن غرب الله".

www.alkottob.com

فالماغوط حمل الوطن في أهداب عيونه، وتحت إهاب جلده؛ وكانت صرخته مجبولة بالدم والآهات والحسرات، لكنه كان يتطلع إلى المستقبل البعيد الناصع تطلع الناسك المتبتل بانفراج الهمّ والغم، كان يحملنا على جواد الكلمة وصهيلها باحثاً عن الأمل والفرح والألفة والمودة، وإن عاش في حزن وبؤس وعزلة.

لهذا كله يترك للنفس عنان التخيل وهو يبوح لنا بهمومه المكتظة؛ ويبثها في كتاباته كلها شعراً أو رواية؛ مقالة أو مسرحية، أو أي نوع من الكتابة، إنه يستخرج تجربته الفكرية والروحية من (أباريق مهشمة) لا تفارقه ليرسم ملامح الحب والكراهية وفق تقاليد جديدة؛ إذ يقول في ختام قصيدة (أرق الغيوم):

"تلك كانت بلادي

وتلك الطيور في سمائي..

كل تلك الآفاق أقلامي

وكل تلك البطولات في ذاكرتي.. كل ذلك رأيته

وأنا أبيع ما تبقى من أصابعي

لأحد السيّاح

من تجار الآثار والعاديات".

فالماغوط جعل الكتابة خبزه اليومي المجبول بالعرق والدم، وكان يضع أوراقه على ركبته بمثل ما يضع رغيف الخبز، لا فرق بينهما؛ ويطوف في فضاء مليء بالضباب والعتمة، ويحاول الخلاص من زمن متخم بالإيديولوجيات الجاهزة والمؤطرة؛ وحين دخلها ذات يوم فرَّ منها لأنه لم يحتمل أتون لهيبها، فرَّ منها ليكون نفسه المتفردة المبدعة ليس غير، وكأني به لا يطيق احتمال أي إطار جماعي مشدود إلى إيقاعات منتظمة، على اعتبار أنها خارجية لا يد له فيها، ولا طول ولا حول.

لهذا عاشت روحه القلقة متمردة باحثة عن التوحد والحلم العظيم، ما جعله يتقلب على مفردات الدفاع والهجوم في الحياة والكتابة؛ فهو أبداً بين كرٍّ وفرّ، وهو القائل في قصيدة (أرق الغيوم):

"كنت مزارعاً ولا حقول لي

عاملاً ولا مصانع لي

رياضياً ولا فريق لي

مطرباً ولا جمهور لي

فعرفت بعد كثير من الدراسات والأرقام والإحصائيات والاستشارات والانطباعات أنني عبد وعليَّ تحطيم سلاسلي".

أتقن محمد الماغوط الكتابة في أشكال التضاد، والائتلاف والاختلاف، وغامر باختراق فضاءات شعرية جديدة جعلته مدار نقد عريض حتى صار ظاهرة إشكالية مثيرة. فهو منذ ديوانه الأول صمم على تحطيم الأشكال الهندسية القديمة، والإيقاعات الخارجية المعروفة؛ فكان يتجه وفق تجربته الشعرية إلى كتابة شعرية من دون وزن أو قافية أو إيقاعات مباشرة؛ وراح يقدم تجربته على توهج أفكاره ومشاعره المحلقة على أجنحة التخيل وذهنية الصورة؛ وتكثيف العبارة ويعرضها علينا بلغة ميسرة واضحة تتكئ على المعاصرة ولا تحفل كثيراً بالدقة اللغوية القديمة؛ وتنشدّ إلى أفق الكتابة الحديثة المتأثرة بالمثاقفة مع الأدب الغربي.

www.alkottob.com

لهذا أتقن كتابة قصيدة النثر التي صيرته أحد روادها وصاحب تيار الحداثة فيها بمثل ما كان رائداً من رواد مجلة (شعر) اللبنانية التي تأسست سنة (١٩٥٧)، والتصق بمؤسسها يوسف الخال وأنسي الحاج ورفيق دربه والعضو الفاعل فيها الشاعر أدونيس الذي طالما كان ينشد أشعار الماغوط في مواضيع عديدة؛ وكذلك عرف غيرهما ممن كتب فيها وراسلهم برسائل بديعة أمثال الشاعر بدر شاكر السياب ومن كان رائداً من رواد اتحاد الكتاب العرب المؤسسين؛ وهو عضو في جمعية الشعر.

كان محمد الماغوط أبو شام يتساءل دائماً: (وين الغرام)؟ هل يكمن في (وادي المسك) أم أنه مازال يتأرجح في روايته (الأرجوحة)؟ وظلت الإجابة معلقة على حروف متمردة ثائرة تتوهج فيها المشاعر والأفكار، لتتحرر من كل أسباب العسف والظلم والقمع والفقر والبؤس.

وظلت الإجابة معلقة على دروب الحيرة والدهشة لأن الزمن توقف بمسيرة الماغوط حين اغتاله الموت في دمشق صباح يوم الاثنين (٢٠٠٦/٤/٣م) ووري جثمانه الثرى في بلدته سلمية (من أعمال حماة)ظهر الأربعاء (٢٠٠٦/٤/٥م) وكان قد ولد فيها سنة (١٩٣٤م)؛ وكانت الجموع الغفيرة على الصعيدين الرسمي والشعبي، والثقافي والسياسي، قد شيعته إلى مقره الأخير في موقف مهيب ومؤثر سواء في دمشق أم في السلمية.

كان الماغوط –رحمه الله– متعدد المواهب كتب للإنسان والحياة، وللوطن والأمة، وراجت مؤلفاته في التلفاز والسينما والمسرح والصحافة ولا سيما حين يطوف في الأجناس الكتابية طوفاناً سحرياً مثيراً؛ شعراً ومسرحاً ورواية، ومقالة أدبية، وزاوية صحفية أو رسالة طريفة، كان يغني على أوتار مشاعره؛ ويصرخ على توهج أفكاره القلقة؛ التي حملتها عبارة مثيرة ودقيقة وهي ترسم كل ما يشي بالمسكوت عنه، وتتربص بكشف الدوائر المغلقة التي لا يستطيع كثير من الأدباء أن يدخلوا إليها عبارة استمدت من واقع الناس وطبيعة لغتهم.

فلا غرو بعد ذلك أن يكون مركز عناية الدارسين شرقاً وغرباً؛ جرت الأقلام في استشراف تجربته الشعرية والأدبية المثقلة ببصمته الذاتية، وحياته المثيرة، ورأت فيه أنه كان واحداً من أعلام الأدب العربي الحديث، وكان عدد من الشعراء قد استلهموا تجربته في أعمالهم الشعرية كما شاع عن الشاعر أمل دنقل الذي حفظ ديوان (الفرح ليس مهنتي) وتمثله في شعره.. ولذا ترجمت بعض أعماله إلى لغات عالمية عديدة كالإنكليزية والفرنسية والفلندية و.. واستحق من السيد الرئيس بشار الأسد وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام (٢٠٠٢م) وجائزة السلطان عويس الثقافية من دولة الإمارات عام (٢٠٠٥م).

رحم الله الماغوط عاش غريباً متوحداً ومتمرداً؛ ثار على زحمة العبودية، ودعا إلى التحرر من تجاعيد الأرض والليل، وما ينبثق البرق إلا من الغيم الأسود الممطر.

* * *

www.alkottob.com

مجنون المدن والعصفور الأحدب

عباس بيضون

لا نضيف شيئاً إذا قلنا أن محمد الماغوط "شاعر" كبير. بل إذا قلنا إنه الشاعر. إذا كان الشعر سحراً وأعجوبة فالماغوط هو الشاعر، وإذا كان سليقة فوارة فهو الشاعر، إذا كان حقيقة في الحقيقة أو جرحاً أو غناءً أو ارتحالاً أو حياة موازية، فهو الشاعر.

محمد الماغوط يرحل اليوم كما يرحل جد عظيم من أجداد القصيدة العربية. فالرجل الذي لم يطو أوائل سبعينياته ربى أجيالاً من الشعراء، ونحن اليوم لا نرى شاعراً لم يأكل من خبزه أو من خبز صُنع في معجنه. شاعت قصيدة الماغوط في شعرنا كالسر، ودخلت في مسامه وشغافه دون ثقل وتشرّبها خفية عنه. حتى قد لاح في يوم أنها الشعر بالمطلق؛ الشعر الذي لا يُنمى لأحد ولا يحتاج إلى صاحب. هذا شعر لم يعتّق فوجد كل فيه جديده، ولم يستعص فحسبه كل من فيض نفسه، وتلبّسه كثيرون وهم يحسبون أنه ثوبهم الخاص، وقالوه حتى حاكى أصواتهم. هكذا سار كالشائعة، وتوزع في الخلق كالحّب في الأرض، وأثمر في حقله وغير حقله. لا نعرف شعراً رسب في شعرنا بمقدار ما فعل شعر الماغوط. بل لا نعرف شعراً اتسع عن صاحبه حتى حجبه كما فعل شعر الماغوط. إنه دَين كبير وعلينا الآن أن نرده. لن نعيد إلى الماغوط كل حرف أخذناه منه، ولا كل صورة، فهذا قد يلخبط تاريخ قصيدتنا الحديثة كلها. أحرى بنا فقط أن نعرف أنه غدا دون علمنا أحد كلاسيكيي القصيدة الحديثة. بل غدا، دون علمنا، محل إجماع نادر في هذه القصيدة.

كثيرون يظنون، خطأ أو صواباً، أن قصيدة النثر الحديثة بدأت بمحمد الماغوط. لا لأنه طبعها باسمه فحسب، بل لأن قصيدته بدت مكتملة كأنها لم تمر بالبدايات. لقد خرجت ناضجة كأنها لا تحتاج إلى تاريخ. دخلت المعترك بالقوة التي لم يستطع أحد معها أن يشكك في أصلها وفصلها، أو أن ينتبه إلى أنها بوزن أو بلا وزن. لم يظهر نقصها بقدر ما ظهر كمالها. هكذا بدت مثالاً أكثر منها تفاحة منشقة. طرحت على الشعراء تحدياً حقيقياً لم ينتبهوا معه إلى أن لها جِلْداً آخر. لقد كانت الغناء الذي يطلبونه ولا يجدونه، والصناعة التي يبحثون عنها، والصورة التي تتولد كالشرارة من المفارقة والتضاد. لم يسعهم أن يعيّروها بالنثر، ولو بقي الأمر لشعر الماغوط لكانت قصيدة النثر دخلت في شعرنا دخولاً سلساً ولما كانت جابهت على الباب حراس الوزن وحراس اللغة وحراس التقليد، ولما دخلت متقصّدة أن تكون لعنة ومرضاً وانشقاقاً.

منذ "حزن في ضوء القمر" بدا أن الشاب المولود في السلمية ١٩٣٤ قد استطاع بمعجزة ما أن يكتسب لغات وأصواتاً لا يدري أحد كيف جمعها. كانت موجة الحداثة واللحاق بموكب عالمي مزعوم وبكوكب عائم للشعر. كانت الحداثة. وكان الحج إلى الغرب، ولم يفهم أحد كيف وصل هذا النبأ وتلك الأخيلة وهذه الفطرة المدهشة إلى أطراف البادية، وأين عثر عليها هذا الشاب الذي احترقت أجفانه جمرةُ الصحراء. أهو التاريخ العريق تحرك في باطن الأرض وكلّمه. أهو وحي من الغيب، أم هو ملاك الشعر وقف على فمه وساعده. لم يدر أحد كيف وصلت هذه المخيلة المهلكة، وهذا البستان

www.alkottob.com

العجائبي، وتلك الرؤى البروميثيسية، وذلك السِّفْر الخيالي، إلى هذا الشاب الذي ظل طوال حياته شكاكاً بالمكتب والنظريات. لنقل أن هذه معجزة الشعر. لنقل أن ما كتبه الماغوط كان برهاناً ميدانياً على جدارة مبدأ مجلوب احتاج إلى وقت ليجد لنفسه موضعاً وفضاءً. من أين استطاع محمد الماغوط أن يصل إلى دم اللغة، وإلى دم الشعر الحي، وأن يقشّر الكلام ويصل إلى عصارته ولبه النابضين. لقد فعل ذلك، ليس بالوحي وحده، بل بمعاناة عظيمة أحرقت كل التراب الذي في صدره وفي عينيه، وجعلته يصل إلى الوهج الصافي. معاناة ليست لشخص فحسب، ولكن لحقبة. لقد كان هذا الشعر بحق في لحظة الانتقال إلى المدينة. كان افتتاناً بالرصيف والشارع والحانة والمقهى، والمبغى أيضاً، بقدر ما كان رجما للحظة غادرة تجف فيها الأنهار وتقوم الدول على جبل من الأكاذيب.

استطاع الماغوط، بأربعة كتب فحسب، أن يصور أسطورة الانتقال هذه. لم تكن خروجاً ولا شتاتاً ولا ملحمة من أي نوع. لم تكن أسطورة إلا بالمعنى البعيد للكلمة. لقد كانت تسكعاً وصعلكة وزمناً يتبدد في الشوارع. كانت حياة تتبدد في الشوارع وتتساقط كالحطب اليابس. لم يحب الماغوط التاريخ ولا الملاحم ولا الأساطير. قال إن رأسه مثقوب من هذه الجهة. ما رآه دائماً كان حاضراً متأزماً، لكنه حاضر فحسب. كان شعره، بسبب ذلك، مذكرات مدينة ويومياتها. كانت عيناه ملتهبتين بإعادة تخيل العاديات. إذا قالت المدينة للماغوط اشرب دموعك فلأنه يعاقب نفسه على افتتانه بها. كان الشارع دائماً مرآته. لقد كره الدولة كما يفعل فوضوي حارب بيأس في كومونة باريس، أو جمهورية روسية. هو الذي لا يعرف ذلك، كان أكثر الناس شبها بعصره. حين رفض أن يراه من وراء أحاج وحذلقات وأقنعة، كان على الأقل يبشّر بالحياة قبل أن يبكي لخسارتها، وقبل أن يدينها.

محمد الماغوط، بأربعة كتب فحسب، كتب كثيراً. ليس مهماً أن نقول إنها في النهاية أربعة كتب:"حزن في ضوء القمر"، "غرفة بملايين الجدران"،"الفرح ليس مهنتي"،"العصفور الأحدب". هذه الكتب كانت كلمته الحية، أما الباقي فهو الموت الذي يحيطها. يمكن للعشاق أن يجدوا مجدداً مواساتهم في شعره. يمكن للثوريين أيضاً والمتسكعين وللمحتجين من كل لون. يمكن للشعراء أن يجدوا عيدهم المكسوف. يمكن للتلاميذ، وحتى للأبرياء وللأطفال، أن يجدوا شيئاً لهم. لنقل أن هذا الشعر قدم أيضاً نموذج حياة. من يقرأ محمد الماغوط فسيعرف السحر العظيم للتسكع؛ السحر العجيب للشارع. من يقرأ الماغوط يفهم أن الشعر أيضاً نموذج. أنه أيضاً حرب المهزومين والبراءة المكسورة والقتال الفردي ضد الماكينات الجبارة. بل من يقرأ هذا الشعر يعرف أيضاً نبل الشقاء وكرامته، والكره النظيف والطاهر للجبابرة والكاذبين. وإذا عنَّ لأحد أن يعود إلى دواوين الماغوط الأربعة، فسيجد المرثية المسبقة والأصفى لعصر من الأكاذيب.

الماغوط الذي وجد الشعر بمعجزة ووجده الشعر بمعجزة. الذي تكلم كل اللغات بوحي لا يُدحض. الذي رسم عصراً قبل أن يتكون ورثاه مسبقاً قبل أن يبلغ نهايته. الذي اتحد اسمه وأثره بالشعر والذي هو الجد الأول، ولكن أيضاً الزميل والأخ. الماغوط الذي فاض شعره عنه يرحل الآن، وسنشعر فوراً بأن هواء هائلاً مرق بأجنحة جحيمية، وأبواباً هائلة أطبقت، وفراغاً كبيراً حل. ذلك أن شاعراً حقيقياً يصفق وراءه أبواب الجحيم. عندئذ ستخرج من الكتب الأربعة رؤى ومخلوقات وأحداث وتفاصيل لا يراها إلا مجنون مدن كالماغوط. وسنعلم أن أسطورة حية زالت قبل أن نخبرها، وعالماً رائعاً، لم نستحقه، طار عنا.

* * *

www.alkottob.com

موت الشرطي الشاعر..!

غسان الإمام

عرفت محمد الماغوط منذ أكثر من خمسين سنة. فقد حل محل المحامي نجاة قصاب حسن في تحرير الزاوية الساخرة في صحيفة "الرأي العام" الدمشقية التي كنت سكرتيراً لتحريرها. وأدهشنا الساخر المجهول. فقد أكمل مسيرة مصطفى أمين كاتب مصر الساخر الأول آنذاك. وكلاهما كتب السخرية بالفصحى في زمن كان الظن الشائع أن العامية هي لغة السخرية الوحيدة.

ثم غاب الماغوط عنا أعواماً هارباً إلى لبنان. فقد لاحقته الدولة بتهمة الانتماء للحزب السوري القومي الذي اغتال اللواء عدنان المالكي رجل الجيش القوي. وكانت علاقة الماغوط بآيديولوجيا الحزب النافية للعروبة، لا تتجاوز علاقته بالمدفأة في مقر الحزب الفرعي في السلمية. فقد كانت تنفي عن ابن القرية برد الفقر المدقع.

غاب الماغوط عني كاتبا مجهولا، وعاد من لبنان شاعراً معروفاً. لم تربطني بالماغوط صداقة قوية، لكن كنا نلتقي يومياً على غير موعد. كنا رفاق السهر في النادي الليلي. ثم أعثر عليه في الصباح في مقهى "الهافانا" الشهير برواده من مثقفين وأدباء ومدنيين وضباط عاملين ومتقاعدين. وكان الصمت العلاقة التي تربطني به. كنت مثل الماغوط لا أحب ثرثرة المثقفين ونزاعات الأدباء الطفولية.

كان الماغوط الذي عرفته شاباً خجولاً رقيقاً، في غاية الأدب المهذب في التعامل مع الآخرين. بل كان وسيماً، لكنه رسم على وجهه الهادئ كل الحزن والمرارة اللذين تدفقا في شعره وكتاباته.

ما زلت أذكر أني اعتقلت مرة مع الماغوط. فقد دهمت النادي دورية شرطة رأت أن تسلي ليلها الطويل باقتحامه. واختار الضابط قائد الدورية أربعة من الساهرين لسوقهم إلى "العدالة": أنا والماغوط وزهير ميداني أحد ظرفاء دمشق، ورابعا نسيته لعله مدير النادي.

أدخلنا الضابط على رئيسه العقيد ممتاز الفتيِّح قائد شرطة دمشق المناوب. دهش الرجل لمرآنا. فهو زميل الدراسة لي، ويعرف الماغوط شخصياً. استشاط غضباً. رمى قبعته في وجه الضابط وهو ينهره: "ألم تجد في دمشق كلها غير هؤلاء تأتيني بهم؟". وأمره بأن يعد القهوة لنا بنفسه عقاباً له.

زدت أنا في غيظ العقيد والضابط. أشرت إلى الماغوط الصامت الذي يلازمه خوفه الدائم من السجن والاعتقال. قلت لهما أن "العقيد" الماغوط هو الآن رئيس تحرير مجلة "الشرطة". وكانت أحوال الماغوط المادية قد تحسنت. لم يكن راضياً عن منصبه "الأمني". لكن الضباط الذين باتوا مشاركين في السلطة وجدوا في المنصب ما يقي ابنهم عوز الحاجة.

في الزمن الرديء، لم يكن الماغوط طائفياً. كان معذباً بوطنيته وفقره وتشرده وغضب الدولة عليه. ثم تعذب برضاها عنه وتكريمها له: "لا شيء يعذبني مثل المديح".

www.alkottob.com

كتب الماغوط في كل ألوان الأدب. كان مجليا في المسرحية والشعر والأدب السياسي والاجتماعي الساخر. وظنه النقاد والصحافيون مثقفاً كبيراً. يرد هو: "لا مشروع ثقافي لدي. لا نظرية شعرية. لا حلم أريد تحقيقه..أنا لست مثقفاً. شهادتي متوسطة زراعية".

لم يكن الماغوط يبتسم وهو الذي أضحك الناس والدولة والأبرياء والجلادين، إنما مرارته الساخرة تنطلق من نفس مرهفة عانت من الظلم المبكر، وترجمت هذه المعاناة في السخرية، بفن أدبي مصقول يصعب على الكتاب الساخرين تقليده في رشاقة تركيب ونحت المفردات المتناقضة.

عرفت الماغوط عاشقاً للحياة، بقدر ما كان هارباً من الأحياء. "أنا لا أكره أحداً، ولا أحب أحداً.. لم أكره ولم أحب في حياتي سوى الفقراء". عندما لاحقته الدولة هرب منها إلى المنفى. عندما جاءته الشهرة والمال تكاثرت عليه أمراض الشيخوخة. يحمل عصاه وسيجارته ويعتمر قبعته "الكاسكيت"، ويمضي إلى مقهى "أبو شفيق" المعلق فوق صديقه بردى الذي يشق طريقه بين صخور الجبل. هناك يمارس حريته في الشعر والسخرية.

في غربة الماغوط، لم يكن له صديق. كان شاكّا مرتاباً. كان صادقاً في رؤيته وفي نقده. لم يوفر الشعراء في أحاديثه الصحافية: "شعر نزار قباني لا يختلف عن أي تصريح رسمي لأي مسؤول حكومي". محمود درويش "شاعر موهوب، لكنه غير صادق". "ربما لو كنت مثقفاً وتعلمت لغات أجنبية لكتبت طلاسم مثل أدونيس".

أعتقد أن الماغوط هو الشاعر وأدونيس هو الناثر. وإذا كتب لشعر النثر الخلود، فلا شك أن الخالد هو الماغوط وليس أدونيس وتلامذته.

أشد ما أحببت في الماغوط وشعره كونه إنساناً على سجيته. في قلبه نبل معذب بالحزن الدائم. لكن أحسب أنه كان شديد الإفراط في التشاؤم الأسود الذي لا يصلح أنموذجاً للأجيال والأدباء والشعراء.

مات العقيد ممتاز الفتيح. ومات الظريف زهير ميداني. وها هو محمد الماغوط يموت وهو آسف: "أعتقد أن أكبر خطأ ارتكبته في حياتي هو أني تقدمت في العمر، ولم أمت باكراً كما فعل السياب".

أما أنا فأكبر خطأ ارتكبته أني بقيت على قيد الحياة لأرثي الأصدقاء. عذاب كبير للنفس وللقلب أن تقول في الرثاء ما للراحلين وما عليهم.

* * *

www.alkottob.com

فلنترك بقية من الشجن للأصدقاء

برهان بخاري

في غمرة الطقس المعلن للموت تتبعثر النجوم وتتهاوى الكواكب فيهلع القلب وتتحجر الدموع في المآقي، ونتراصف جميعاً أمام تخوم الآخرة، لنصبح أكثر استعداداً للتماهي مع الموت. حين تلقيت نبأ رحيل محمد الماغوط انتابني شعور مباغت غامض بأن د.عبد السلام العجيلي على شفا الرحيل، وأملت من كل قلبي ألا يغادرنا على مبدأ التوالي، وأن يترك لنا فسحة للالتقاط الأنفاس وشحذ العزيمة المتداعية، فنحن أعجز من ابتلاع وجبتين متخمتين بالأسى، وأشد وهناً من معاينة سقوط عمودين شاهقين بآن معاً، لكن ما إن هممت بالخروج لتشيع الماغوط حتى فجعني الخبر بحدوث ما كنت أخشاه، وهكذا شهدت مواراة الماغوط الثرى في السلمية وغبت عن مشهد مواراة العجيلي في الرقة، لأشارك في عزاءه في اليوم التالي، بشعور غامر بأنني واحد من أبناء الرقة.

ربما أن طقس الموت متواصل بأشكال شتى، لكنه يمارس بعض التجليات النزقة في فترات يختارها بعشوائية منظمة، فمنذ بريهات من الزمن فقدنا عبد المعين ملوحي، ذلك الوعاء المتخم بالمعرفة والثقافة والحكمة والوطنية والنظام، والذي أذهلني مرة وهو يناقشني بأدق التفاصيل حول الحديث النبوي الشريف، الأمر الذي يلقي بعض الأضواء حول شغف الماغوط في أيامه الأخيرة للاستماع إلى القرآن الكريم، ولا عجب من ذلك، فأليس هو القائل "في دمائي رقصة الفالس وفي عظامي عويل كربلاء"؟

ونبقى شئنا أم أبينا، خاضعين لنزوة الموت في ترتيب الطابور، ففي آخر مرة التقيت فيها بالأمير يحيى الشهابي، الذي يعتبر بحق الأب الروحي للإذاعة السورية، اتفقنا على أن نسافر معاً لزيارة الراحل العجيلي في الرقة لننطلق ثلاثتنا لزيارة د.وهيب الغانم في اللاذقية، وفي اليوم الموعود أصيب الأمير بزكام شديد فألغيت تلك الرحلة، وهكذا قام الموت بترتيب الطابور حسب مزاجه، بادئاً بالأصغر سناً فالأكبر والأكبر.. وهيب غانم..يحيى الشهابي.. عبد السلام العجيلي، وكان قد سبقهم إلى الآخرة من ذالك الرعيل قبل بضع سنوات أصغرهم سناً الصديق العزيز د. سامي الجندي، ولا أعتقد أن المقام يتسع لذكرى رحيل مجموعة من الأصدقاء في تلك المرحلة من أمثال د.جمال الأتاسي.. عبد الحليم قدور .. جلال فاروق الشريف.. د.سامي الدروبي.. ياسين الحافظ.. عبد الكريم زهور.. ومجموعة أعرف سلفاً أن ذاكرتي قد خانتني ولم تسعفي بذكر أسمائهم..

ربما أن تصاريف القضاء قد جمعت بين محمد الماغوط وعبد السلام العجيلي، مع الإشارة إلى أن ترتيب اسميهما هو حسب تاريخ الوفاة وليس حسب القيمة أو المكانة أو العمر وذلك في مقال نشرته في صحيفة تشرين بتاريخ ١٩٩٩/٤/٤ تحت عنوان"وطن فوق المذاهب والأحزان والأفراد".

وأعتقد أن أصدق ما يمكن أن أقوم به اتجاه هذين الراحلين العزيزين هو أن أعيد نشر مقتطفات من ذلك المقال، حيث قلت بعد أن تجاوز البولمان السلمية في طريقه إلى الرقة تذكرت قصيدة الشاعر الصديق محمد الماغوط، والتي تعتبر بحق من

www.alkottob.com

عيون الشعر العربي.. سلمية.. يحدها من الشمال الرعب ومن الجنوب الحزن، من الشرق الغبار ومن الغرب الأطلال والغربان.

وسواء جاز لي أن أستخدم صفة لشاعر حداثوي أم لم يجز فإن الماغوط لا فض فوه يبقى قامة شعرية عز نظيرها، ويبقى الشر صوته أقوى من أجله خلق. وحقيقة الأمر أنني حين اتصلت بالماغوط لآخذ من فمه مقاطع من تلك القصيدة شعرت لأول مرة بأنه ليس فقط مفرداً في الشعر بل إن صوته هو متفرد باختزانه لحشرجات الموت منذ طفولته، وربما أنت السبب في زحف السلمية عن بكرة أبيها لوداعه في الموكب الذي كان على رأسه آلاف الدراجات النارية التي كان يرفع بعضها الرايات السوداء كان تعظيماً وإجلالاً لرجل سكنته مدينته بدل من أيسكنها وسكنه الموت منذ طفولته، ومن تصاريف القدر أيضاً أنه لم يكف عن سؤالي عن العجيلي.

وسأقتبس من المقال عينه مقطعاً مما قلته عن الراحل العجيلي لأثبت شيئاً من تصاريف ذلك القدر حيث قلت "كان أمراً بديهياً بعد وصولي إلى الرقة أن أبدأ بالسلام على صديقي الدكتور عبد السلام العجيلي، وكان أمراً مانعاً أيضاً أن نفاجئه بعيادته بين مرضاه، وهو الذي غلب الأدب على صفته الأصلية، وفي اليوم الأول الذي قرأت فيه قصصه قفز إلي ذهن الأديب العالمي سومرست موم، فكلاهما طبيب وكلاهما غلب عليه الأدب وكلاهما يستخدم أسلوب السهل الممتنع.

ولقد أضفى الدكتور العجيلي على يومي في الرقة بهاءً خاصاً بدءاً من الحوارات الحميمية الغنية إلى المداخلة المهمة التي قدمها بعد محاضرتي إلى ما لا ينتهي من القصص الطريفة التي أدهش بها الحاضرين ونحن على مائدة العشاء العامة التي أقامها الصديق "خلف المفتاح".

ولا أدري حتى الآن مدى أو نوع أو حجم العلاقة بين العجيلي والماغوط، فكلاهما كان يسألني عن الآخر بحرارة، ويبقى بينهما زكريا تامر كثالث معجزة.

نادراً ما كان الراحل العجيلي يمر في دمشق دون أن أراه وعلى الأخص في بيت الصديق المشترك"بندر عبد الحميد" وآخر لقاء بينه وبيني كان قبل أكثر من سنة في دمشق حيث كنت أقف مع الصديق مازن صباغ أمام فندق أمية حين التقيته فجأة وبعد عناق طويل فرك يديه وقال.. والله عم فكر دقلك تلفون، فما كان من مازن إلا أن قال بعد ذلك مع معرفتي بهذا الإنسان الرائع لكن ربما أنها المرة الأولى التي أشهد فيها هذا النوع من الوفاء النادر بين البشر، لقد تصرف معك وكأنه متلبس بجريمة عدم الوفاء بلقائك، فوداعاً أيها الأصدقاء ونحن نتراصف جميعاً أمام تخوم الآخرة.

* * *

www.alkottob.com

إياب بعد الرحيل

أديب قزاز

شاءت الأقدار أن أكون قريباً من سيد الساخرين طوال أربعة أعوام مضت، فشكراً لتجلياتها النادرة.

قبل يوم من رحيله المفاجئ كنت في بيته عند المساء، كان كالمعتاد متكئاً على أريكته محاطاً بالصور والأغاني وصوت المقرئين ولفافة تبغه لا تبرح شفتيه، فهي جزء من مشهده الخارجي. صوت فيروز أثير لديه كما صوت المقرئ (محمود خليل الحصري) صوتان يتناوبان في مسمعه ليل نهار، ما إن دخلت حتى قال لي فرحاً: لقد رشحوني لجائزة نوبل.

قلت له :تستحقها يا أستاذنا، ولكن من أخبرك بهذا؟

قال: أحد النقاد في أستراليا اتصل بي وأخبرني بذلك، ثم مد يده إلى الهاتف واتصل بأحد أصدقائه في لبنان لينقل له الخبر .

في تلك الليلة كان مسروراً للغاية ولم تبد عليه إشارات أو أوضاع غير طبيعية توحي بأنه سوف يرحل غداً بلا وداع، بل طلب مني أن أحضر له في اليوم التالي وهو اليوم الذي رحل فيه تسجيلاً لصوت (سعدون الجابر) وأصر على أن يكون التسجيل لحفلة جرش .وبالفعل أحضرت له مايريد لكنني لم أجده على أريكته اختفى على حين غرة!

فهو مغرم إلى أبعد الحدود بالطرب الأصيل وذواقة قلّ مثيله، ولديه مجموعة كبيرة من التسجيلات النادرة لأصوات ينتقيها بعناية لتؤنسه في وحدته.

فيروز في المقام الأول- ليلى مراد- نجاة الصغيرة-فايزة أحمد- كارم محمود- محمد عبد المطلب- محمد قنديل- وصوت الربابة وهي تئنّ وتعنّ لزجّالي سلمية، صادق حديد- حسن الشريف- ومحمد فاضل- إلى جانب إعجابه الشديد بأعمال (حكمت محسن) وخاصة شخصية (أبو فهمي). ومع ذلك كان مشغولاً دائماً بصمته وتأملاته ومستسلماً لمزاجه الحاد وطبعه المركب وطقوسه الخاصة، فعلى الزائر له أن يكون حذراً منه ومتوازناً أمامه فهو لماح حاذق يقذف من فمه لهباً إذا لم ترق له الزيارة أو وجد فيها مايعكّر صفو مزاجه. فلا شيء أهم من عزلته، فهو قابض عليها بيدٍ من حديد.

ليس للكتابة عنده شروط مسبقة، فكثير ما رأيته يلتقط كراسته القابعة أمامه باستمرار ليدون فيها بضع كلمات لا أكثر ثم يعيدها إلى مكانها، وفي هذه اللحظة أعرف أن خاطراً قد ورد إليه، فهو يكتب كما يتكلم ويتكلم كما يكتب، يكره التنظير والأيديولوجيا والفلسفة، وينفر من السين والجيم، إلا أنه صاحب عبثي غير منظم لا يتقيد بنظام الوجبة، يأكل كميات قليلة مرات عديدة، ولا يتقيد بطقوس النوم ليلاً، فنومه موزع على الليل والنهار لفترات قصيرة، فهو لا يأوي إلى غرفة النوم، ينام حيث يجلس، ويجلس حيث ينام، كل ذلك فوق أريكة بجانبها طاولة عليها هاتف وآلة تسجيل فهو بعيد كل البعد عن المظاهر والتمظهر يبدو دائماً ريفي المظهر فلاح الأصل تنداح من فمه الكلمات ببساطة حلوة وعفوية صادقة مرسلة.

www.alkottob.com

لعلّ مسيرة حياته الدرامية الزاخرة بالأحزان والحطام والجراح الدامية التي عاشها أستاذنا الراحل الكبير كان لها بالغ الأثر في تكوين شخصيته المركبة من خليط البؤس والفقر والقهر والجوع والحرمان والخوف مروراً بالقلق والتمرد ثم الثورة على واقعه وظروفه ناشداً الخلاص والحرية.

ومن يألف القرب منه لا يألف البعد عنه على الرغم من تمرده وشراسة نبرته وصخبه وسوداوية كوابيسه المزدحمة في رأسه كقنبلة موقوتة لا تعرف في أية لحظة تنفجر مدوية، لكن هذه القنبلة (كنار إبراهيم) لا تحدث ضرراً حولها بل بسرعة خاطفة تصبح برداً وسلاماً، حتى إنه في تمرده تجده طفلاً يلحّ على ما يريد، الآن وفي اللحظة وفي الحال، فإذا أراد شيئاً يستغرق إحضاره ثلاث ساعات أو أكثر، يمطرني بوابل من الاتصالات الهاتفية كل ثلاث دقائق يستعجلني بالعودة وأنا ما زلت في الدقائق الأولى في طريق الذهاب.

لم تقتصر سخريته المضحكة المبكية على نتاجه الأدبي المدهش، بل تجلت في سائر شؤونه، في سلوكه وفي تصرفاته وفي حركاته وسكناته وفي كل ما يفعل ويقول إنه ساخر من نفسه ومحيطه ومن كل شيء. ذات مرة كان يحدثني عن الداء والدواء، فقال لي بشكل مفاجئ: أنا لا أخاف من الموت، لكنني أخاف أن أنقطع من (الدخان).

قبل ثلاثة أشهر من وفاته استوجب نقله إلى المشفى وهناك في مشفى العباسيين التخصصي مكث ثلاثين يوماً لتلقي العلاج، وبعد أن خرج من غرفة العناية المشددة، عاد إلى تمرده على التعليمات الطبية الصارمة بحقه، لكنه اعتاد دائماً على فك قيوده بأسنانه، فراح يلح بإصرار على إعطائه لفافة تبغ وهو راقد في سرير المشفى، ولم تنفع معه المراوغة والمماطلة.

إنه تمرد محمد الماغوط على الأعاصير وهزيم الريح فكيف لنا مواجهته؟

فما كان منه إلا أن خاطب ابن شقيقته الدكتور (محمد بدور) هذا الشاب النبيل الذي تحمل مسؤولية خاله بكل إيثار وإخلاص.

قال له: لماذا تعذبني يا محمد بامتناعك عن إعطائي(سيجارة)؟!.

أجابه: هناك أوامر صارمة من الأطباء بمنع ذلك. قال الأستاذ: اسمع يا محمد، كل ما يفرحك لا يضرك، وأنا تفرحني (السيجارة) لذلك لن تضرني.

لقد كان جواب الأستاذ على هذا النحو هروباً إلى الأمام على الرغم من أنه أطلق ما يشبه الحكمة (كل ما يفرحك لا يضرك).

وهكذا أمضى الأستاذ ثلاثين يوماً في المستشفى مشاكساً كعادته ساخراً من الطب والأطباء.

وبعد خروجه من المشفى بشهرين أبلغوه من دولة الإمارات عبر الهاتف بأنه فاز بجائزة (السلطان العويس في الشعر لعام ٢٠٠٥). كانت البشرى سارة، بدأ يستعد للسفر إلى دولة الإمارات وفي ليلة سفره ذهبت إليه لأودعه فوجدته في أحسن حال حالقاً شعره وذقنه وإلى جانبه جلابية عربية جديدة أحاكوها له في سلمية، لكنه أعرب لي عن قلقه من شيء واحد وهو منع التدخين في الطائرة.

قلت له: كيف ستصمد ثلاث ساعات دون (سيجارة)؟

قال: لا تخف، سأتدبر أمري.

www.alkottob.com

غاب ثلاثة أيام ثم عاد وكان لزاماً عليّ أن أذهب إليه لأقف على ما جرى معه وله في حفل التكريم، حين وصلت إلى البيت كانت الساعة الثامنة مساءً والتاريخ قبل وفاته بأسبوع واحد، وجدت عنده الفنانة السورية (رغدة) والفنان (أيمن زيدان)، كان الحديث يدور حول الجائزة وذكريات فيلم الحدود الذي لعبت فيه الفنانة (رغدة) دور البطولة إلى جانب الفنان (دريد لحام). وفي سياق الكلام صاح الأستاذ الماغوط بصوت عالٍ وكأنه منتصر في معركة كبرى: لقد اخترقت الأنظمة والقوانين المعمول بها في الطائرات.

قالت له رغدة: ماذا تقصد بذلك يا أستاذ؟

أجاب وهو يضحك: لقد استطعت أن أدخن (سيجارة) في الطائرة رغم الحظر الشديد، ثم راح يصور لنا جوّ الاحتفال والاحتفاء به من قبل الجمهور المزدحم والذي رافقه إلى الفندق الذي كان ينزل به، ثم قال إنهم يموتون بي حباً هناك.

رد عليه الفنان (أيمن زيدان) قائلاً: هذا ليس غريباً يا أستاذ محمد، فالناس كلها تحبك، أنت رمز كبير للوطن.

لكن الملفت هو جواب الأستاذ على السؤال الأخير الذي وجهه له الفنان (أيمن زيدان) حين سأله عن آخر أعماله المنجزة، علّه يجد فيها ما يناسبه.

فردّ الأستاذ الماغوط قائلاً: لم يبقَ لديّ سوى فيلم واحد منجز على أكمل وجه وجاهز بشكله النهائي.

سأله الفنان (أيمن زيدان) عن اسم الفيلم؟

فأجاب الأستاذ وهنا بيت القصيد :اسم الفيلم (المسافر) وأشار بيده إلى ما وراء الأفق، لا أنكر أني توجست شيئاً من اسم الفيلم (المسافر) ومع ذلك لم تستطع المدن التي سافر إليها أستاذنا الكبير أن تنتزع من قدس أقداسه بداوته البادية أولاً في الوشم المنقوش فوق ظاهر يده اليمنى والواضحة في طباعه وتصرفاته، فما من مرة يتحدث فيها إلا وتشتم رائحة سلمية تتضوع من ألفاظه ومفرداته، لقد آن أوان السفر إليها طالما داعبت خياله وشاغلته في كل أوقاته.

ذات يوم ليس بالبعيد قال لي: أكاد أجن من شوقي إليها، إنها سلمية الدمعة التي ذرفها الرومان على أول أسير فكّ قيوده بأسنانه. صحيح أنه أحب دمشق وعاش فيها لكنّ قلبه كان معلّقاً بجذوره لحد العبادة.

ففي الرابع من شهر نيسان الجاري عاد الدكتور (محمد بدور) من عمله في المشفى إلى البيت ليجد خاله (محمد الماغوط) قد كسر كل القيود إلا قيد الموت، فقد أحاق به من كل جانب دون حراك وكبله فوق أريكته، وهو يمسك بيده سماعة الهاتف، ربما كان يريد أن يتصل بأمه التي أنجبته سلمية ليقول لها: إني قادم إليك فاستعدي ياحبيبة، لم تخذله بعد طول الغياب بل عانقته بحب جارف فاق الوصف والخيال، فهو بموته ابتدأ، فذكر الفتى عمره الثاني ومثل الماغوط ستظل تذكره أجيال وأجيال لأن ذهابه كان إياباً من جديد، ليملأ الدنيا ويشغل الناس كما كان مالئها وشاغلهم.

* * *

www.alkottob.com

تداعيات نقدية في شعر الماغوط

يوسف مصطفى

محمد الماغوط أنموذج ريفي في الهوية الطبقية يبحث عن خلاص اجتماعي ..

هو ينتمي لفئة المبدعين الذين صنعوا أنفسهم بسواعدهم، ولم تسهم في صنعهم الجامعات.. ليس هذا بمعنى إنكار دور الجامعات لكنه تأكيد على العبقرية الذاتية وفعلها الإبداعي.

محمد الماغوط من الذين احترقوا بنار عبقريتهم التي أشعلوها لقول المتنبي (ذو العقل يشقى في النعيم بعقله).. لا شك أن الماغوط صنعة إبداعية تحمل مخزونها الإبداعي في الأساس.. تحمل تجربة الحياة التي فجرت ألوان وتنوع العطاء لديه.

في شعره تتجلى المعاناة.. يتجلى الوضوح والصراحة.. تظهر جرأة التعبير، لكن أيضاً سوداوية وصف المشهد المعيش عبر تداعيات سوريالية، وانزياحات دلالية في نصه الشعري.. الثنائية والتضادية قائمة في قصائده كأحد الأشكال الأسلوبية في تجليات التعبير الشعري لديه.

الشرطية عبر أدواتها التعبيرية :(لو- وعندما) يقول الماغوط في قصيدة (حائط المبكى).

لو صفقت مرة واحدة لذلك المركب..

لو شاركت بخطوة واحدة في تلك المسيرة..

لو لم أتثاءب في ذلك المهرجان.. لو لم أتفاصح في تلك المناظرة..الخ.

الجملة هنا جملة شرطية جوابها غائب لكنه موحى به من خلال الشرط المقدر (لو فعلت كذا لحصلت على كذا) هذه أسلوبية عرفتها الكثير من قصائد الماغوط-وهي أحد الأشكال الفنية في التعبير لديه..

محمد الماغوط منحاز لفقراء الناس، وللطبقات الشعبية، وهو رسام سوريالي كبير (وكاريكتر) شعري رائع في رسمه الشعري، وتورياته الواضحة في كشف الزيف الاجتماعي وفضح سلوك التملق، والنفاق السياسي، والاجتماعي.

في تداعيات الماغوط الوصفية لسوريالية المشهد الحياتي يبدأ قصيدته من لَم الأشياء، وصغيرها في الحارة المتواضعة، والزقاق الضيق ليصل بتدرجه السوريالي للمشهد العالمي فهو هنا (شمولي الرؤية بامتياز).

ينساب نثر الماغوط الشعري بتدفق وعفوية،وتتال في الوصف عبر (متوالية جملية) يستخدم فيها العطف الجمالي، ليتراكم كامل المشهد الشعري لديه ويتنامى ليصل إلى نهاية تراجيدية غالباً في ختام القصيدة.. قد تكون تراجيدية هادئة تحفر عمقها المأساوي دون أن تكون ذروة الانفجار والتلاشي.

دوائر الحزن مغلقة لدى الماغوط، وقليل انفتاح بعض أقواس الدائرة لديه.. فهو في المساحة الرمادية المغلقة دائماً، لكنه الرماد الذي يغلف جذوة الجمر.عوالم قصائد الماغوط، وفضاؤها يحمل ملامح الرهبة المخيفة، ذلك لغياب طيوف الأمل لديه.. هو في خطابه الشعري ,وتصويره التراجيدي للمحيط وللعالم هو في موقع الرفض لهذا العالم، وأحلامه بعالم آخر يظهرها رفضه الواضح لمشهدية العالم القائم.. إنه برفضه يستحث باتجاه البديل.

www.alkottob.com

هموم الماغوط هي: وطنية، وقومية، وإنسانية.. نظام السخرية عنده ملفت، ومباشر، وحاد في التعبير اللفظي، ومستوى الدلالة اللغوية للألفاظ: النقل- المبرد- القنابل - الغول- الوحوش الخ..

الجملة الشعرية عند الماغوط تتناوب في بنائها بين : اللفظين أو الثلاثة لتصل أحياناً لسطر، أو سطرين أو أكثر فهو يأخذ الفسحة الجملية المطلوبة لإ يصال صوره،ومعانيه..

عناوين قصائده جديدة، وملفتة دائماً-والعناوين هنا توحي بسياق القصيدة ومضمونها مثال عناوين القصائد : قصيدة (الخوارج) والاستحضار تاريخي هنا قصيدة (حروب الردة) والاستحضار تاريخي أيضاً - (أحلام وكوابيس) الإيحاء سيكولوجي وحصاري (لعق المبرد) نوع من الارتداد على الذات وخداع النفس (النقل الأزرق) لعلها من الدم الأزرق هي إشارة لذوات القوم، البعد طبقي اجتماعي هنا (ثالث أوكسيد الكربون) الدلالة كيميائية هنا من ثاني أوكسيد الكربون المعروف، هنا ما تعززه كيمياء الحراك البشري..

عناوين هذه القصائد هي من ديوانه (سياف الزهور) كل هذه العناوين تحمل استحضاراتها الخاصة وتراجيديتها أيضاً..

الرمزية الشعرية سواء في إسقاطها التاريخي على الحاضر، أو إسقاط الأسماء على دلالة الحاضر هي قائمة في شعره..

الجرأة في التعبير بمعانيه السياسية والاجتماعية هي قائمة في قصيدته ا لنثرية.

محمد الماغوط هو في حالة غربة في الأساس..من غربة السجن،إلى غربة لبنان في عمله (العصفور الأحدب) إلى غربة عدم الانسجام مع المحيط والمألوف باعتباره متمرداً في الأساس إلى غربة الحاجة والفقر في مراحل حياته-إنها غربة المثقف في عوالمه، وإحساسه دائماً.

في الهوية المدرسية الشعرية التأسيسية هو أحد رموز مجلة شعر كونها التجلي الواضح الرسمي الأول (المنظر لقصيدة النثر) وروادها من أدونيس إلى يوسف الخال إلى انسي الحاج وسواهم - رحم الله الشاعر والمسرحي محمد الماغوط وكل التحية لظاهرة الماغوط، وما تركه من شعر ومسرح حمل الظرافة، والمفارقة، والسخرية، وقلب الأشياء.

لقد شكل الماغوط ظاهرة إبداعية أدبية، وفنية يعتز بها.

كل التحية ثانية له ونحن في رحاب الرحيل.

www.alkottob.com

الماغوط و"تشرين" ومنقار الديك

د. غسان رفاعي

.١

يخترقك النبأ الفاجع الأول، كرصاصة الإرهابي، فينزف قلبك وتدمع عيناك، وتمتم بصوت خفيض: "أعرف أن الموت آت، ولكن شيئاً في داخلي يرفضه!" ثم ما تكاد ترمم اتزانك المهزوز حتى يخترقك نبأ فاجع آخر فإذا بك تنهار وتصرخ: "أهذه نهاية العالم". كان الصديقان الكبيران، "الماغوط" و"العجيلي" مختبئين في ذاكرتك، تسترجعهما متى تشاء، وأنت واثق أنهما "هناك، في مكان ما، يضجان، يضحكان، وينشران دعابتهما الودية!"، تحضرني، وأنا منقوع في كآبة ثلجية، مقولة حكيم يوناني قديم: "الموت هو الروتين الوحيد الذي لا يطرأ عليه أي تعديل!" ولكن المفارقة هي في أننا نعرف أنه ينتظرنا وراء منعطف ما، ولكن ما إن نعلم أن أحد أصدقائنا قد لاقاه حتى نصاب بالجزع، وكأن حدثاً خارقاً قد فاجأنا من حيث لا ندري، ولا نتوقع. ولعل هذا ما عناه الشاعر الألماني "ركله" حينما قال: "موت صديق هو خلل يصيب النظام الكوني بأسره".

بين أوراقي التي اختزنتها ككنز ذهبي جزازات كتبتها عن لقاءات وأحداث، انحفرت في ذاكرتي وكأنّها نقاط علام في إرثي الثقافي، في مقدمتها تداعيات زاوية "الماغوط" في صحيفة "تشرين" عن "منقار الديك" وسجال ودي جرى بيني وبين الدكتور "العجيلي"، حول المستشرق الفرنسي "جاك بيرك"، على هامش الاحتفال بذكراه في معهد العلم العربي بباريس.

سأروي قصة "منقار الديك" لـ "الماغوط" في أسبوعياتي غير المتزنة، هذا الأسبوع، على أن أروي قصة السجال الودي مع "العجيلي" و"جاك بيرك" في الأسبوع القادم.

.٢

كان له دوماً ركن محجوز في مقهى ما، وكان له دوماً مزاج "مخضوض" لمواجهة موقف ما، وكان يسكنه دوماً خوف معربد بسبب ما. احترف الكتابة لأنه مولع بتمزيق ما يكتب، وتسلل إلى الشعر لأنه مصمم على تهشيم القافية، وأقحم في الصحافة لأنه مفعم بالحقد على رؤساء تحريرها، أصبح عاشقاً مزمناً، لا لأنه يحب، وإنما لأنه يكره الكراهية، ولزق بالحياة العائلية لا لأنه أليف، وإنما لأنه بحاجة إلى الحماية، واستنقع في الوطن، لا عن "وطنية مستنيرة"، ولكن لأنه يخاف الهجرة.

بعد خمس وعشرين سنة من التسكع والتوجع والصراخ ما زال محمد الماغوط من نزلاء المقاهي، وليس من نزلاء السجون، والحمد لله. وما زال يقتل أصدقاءه بمزاجيته لا بخنجره، والحمد لله. هرم وشاخ، ولكنه ما زال مراهقاً غير محتشم، يعمره القنوط واليأس ولكن دهشة الأطفال بقيت مختبئة في عينيه، أثقلته المسؤوليات الجسام، ولكنه ما زال يرفل باللاانتماء كأي متسكع طريد، وما زال يكتب ويمزق، ويخاف، ويشتم، ويضحك.

.٣

www.alkottob.com

تعانقنا بعد غياب طويل في مقهى الشام، وقد أضحى المقر المختار للمتذمرين والمتبرجزين، والمتثاقفين فتشاكونا، وتكاذبنا، وتشامتنا، وقهقهنا، وتذكرنا. قال لي، وهو يلتفت يمنة ويسرة.

– أكتب، وأخفي، وأكدس، وأرتعد.

قلت في تخابث:

– طبعاً ما يكتب ليس للنشر

قال، وهو يمضغ سيكارته:

– بل للنشر على حبال الغسيل.

قلت في عتب:

– قالوا لي: إنك دخلت جنة الانتماء.

قال وهو يقفز عن كرسيه:

–لا أستطيع أن أنتمي حتى ولا لفروة رأسي أو لون شعري.

.٤

وتذكرنا معاً "زاويته" عن افتتاح فندق ميريديان في دمشق.

لقد دعيت – وكنت رئيساً لتحرير صحيفة "تشرين"، إلى حفل استقبال كبير بمناسبة تدشين افتتاح فندق الميريديان، ولكن مشاغلي حالت دون حضوري، فرجوت "محمد الماغوط" أن يحضر الحفلة، وكان يتناوب هو وزكريا تامر على كتابة زاوية في الصحيفة تحت عنوان "عزف منفرد" كان لها معجبون كثر، بل لعلها من أكبر العوامل في نجاح الصحيفة، ومضاعفة انتشارها.

تردد "الماغوط"، وتذرع بأن "ذقنه غير حليقة" وأن حذاءه بلا "شواطات"، وأنه بحاجة إلى ربطة عنق. وقد حرصت على أن أُلبي له كل طلباته: استدعي الحلاق على عجل، وأرسل من يشتري "الشواطات"، وتم الحصول على ربطة عنق فاخرة، وحينما أصبح "وجيهاً" كإقطاعي عريق، وضع في سيارة، أوصلته إلى فندق الميريديان.

ويبدو أن إدارة الفندق شاءت أن تجعل من حفل الاستقبال حدثاً إعلامياً واجتماعياً استثنائياً، إذ دعت إليه جمهوراً غفيراً من المسؤولين، وممثلي الفعاليات الاقتصادية والوجهاء والصحفيين، وحرصت على أن يكون نموذجاً رفيعاً في السخاء والذوق الفرنسيين، وأجمع المدعوون أن طاولات الطعام كانت أقرب إلى اللوحات الفنية النادرة من كثرة ماحشد لها من تنسيق وألوان وابتكار في العرض والزينة.

ولم يصدق محمد الماغوط عينيه – فيما روى لي فيما بعد – إذ لم يكن قد اطلع بعد على ترف المجتمع المخملي البورجوازي، ولم يكن يتصور أن طاولات الطعام يمكن أن تكون بمثل هذا السخاء الجنوني، والجمال الأسطوري، وقد كتب زاوية لم أعد أذكر عنوانها، وصف فيها ديكاً محشواً يتصدر الطاولة الرئيسية، وقد أجاد الطاهي في تزيينه وترصيعه حتى خيل للجميع أنه ديك حقيقي، وليس ديكاً مطهياً، وكان مما كتبه الماغوط، على ما أذكر: "خشيت أن أمد إصبعي باتجاه منقار الديك، خشية أن ينقض عليها ويأكلها" وأنهى الماغوط زاويته بنداء إلى "جياع العالم أن يتحدوا" أسوة

www.alkottob.com

بعمال العالم. كانت الزاوية قطعة رائعة من الأدب الساخر الرفيع الذي يمتاز به الماغوط، ويتفوق فيه على الجميع، وقد أثارت إعجاب كل من قرأها، وانهالت علينا في "تشرين" مكالمات الإعجاب والاستحسان.

في صبيحة الغد تلقيت مخابرة هاتفية من وزير السياحة.

قال:

-"هل تقرأ ما يكتب في صحيفتك".

وأدهشني السؤال وقلت مازحاً:

- "قد أقرأ ما يكتب بعض الأحيان!".

وانفجر سيادة الوزير غاضباً:

- "هل قرأت زاوية محمد الماغوط عن حفلة تدشين فندق الميريديان؟ إنها فضيحة لا تحتمل لقد نسفت الخطة التي وضعتها وزارتنا لتشجيع السياحة، إنها تسخر من فكرة بناء فنادق من الدرجة الأولى، وتحرض على إجهاض مشاريعنا المستقبلية".

ولم أنجح في تهدئة غضب الوزير الذي طالب، بكل جدية، بمنع الماغوط من الكتابة، وفرض عقوبة رادعة عليه.

.٥

تشاء الصدف أن أدعى إلى حفل استقبال في فندق الميريديان في باريس، بعد عشر سنوات، بمناسبة انعقاد مؤتمر الفرانكوفونية، دعي إليه حشد كبير من المسؤولين ورجال الأعمال والكتاب والفنانين والصحفيين. وقد تعرفت إلى رئيس مجموعة فنادق ميريديان في العالم السيد فرانسواد. فخطر على بالي أن أحدثه عن افتتاح فندق الميريديان في دمشق، وعن الزاوية التي كتبها شاعرنا الحبيب محمد الماغوط، والضجة التي أثيرت حولها. استمع إليّ باهتمام، وطلب مني أن أوافيه بهذه الزاوية أو على الأصح بترجمة لها. فكان له ما أراد، وترجمت له الزاوية بإتقان وأرسلتها إليه، ولم يمض أسبوعان حتى تلقيت منه مظروفاً يتضمن رسالة ودية ونسخة من المجلة التي تصدرها إدارة فنادق الميريديان، وفيها الترجمة الحرفية لزاوية محمد الماغوط، إضافة إلى كلمة من المدير العام السيد فرانسواد، يقول فيها: "لقد استمتعت بقراءة ما كتبه شاعركم، وأنا مقتنع أن زاويته تصلح لأن تكون دعاية لفندق الميريديان في دمشق. شكراً". وشيكاً متواضعاً بمبلغ ١٥٠٠ دولار، سلمتها إلى الماغوط الذي سُرَّ بها كطفل حصل على "لعبة" - وهذا ما قاله عندما تسلم جائزة "العويس" - فيما روى عنه صحفي في "الحياة".

.٦

ما يدفعني إلى التذكير بما كتبته عن الصديق الماغوط اعتبار أن:

أولهما شعوري بأن الكثير من مناقير الديوك قد غزت منطقتنا بعد أن تزينت وتبرجت، ولكنها ما تزال شريرة وجاهزة للانقضاض والعض، ومن هنا أهمية الزاوية التي كتبها الشاعر الكبير محمد الماغوط.

وثانيها أنني رافقت الماغوط، حينما أتى إلى باريس في أواخر التسعينيات للمعالجة، وقد ذهبنا معاً لاستشارة أحد كبار الاختصاصيين، وبعد أن أخضع الماغوط لفحوص معمقة وشاملة نظر إليه الطبيب الاختصاصي وقال له:

www.alkottob.com

– "يتوجب عليك الإقلاع عن ثلاث مخالفات صحية خطيرة: الانفعال الشديد، والتدخين، الشراب، وإلا فإن حياتك في خطر، وعذر من أنذر!".

وحينما خرجنا نظر إلي الماغوط وقال لي بأسلوبه الساخر:

–"ما يدعوني إليه صاحبك النطاسي هو أن أغتال نفسي، وهذا شيء لن أفعله. ماذا يظن؟ هل يريدني أن أتستر تحت قوقعة من الصدف كالسلحفاة وأن لا أتفاعل مع ما يجري في وطننا العربي المترامي الأطراف. هل يريد مني أن أتوقف عن التدخين والشراب لأطق من القهر والحرمان؟".

ونظرت إليه بهلع وقلت:

– "ولكنه كان جاداً، وهو يحذرك كطبيب مسؤول!".

أشعل سيجارته، وغب دخانها الأسود وقال:

– "وأنا شاعر مسؤول، ولن أستقيل!".

ولم يستقل "الماغوط" حتى آخر يوم في حياته، واستمر يكتب أغنيات حب مشتعلة، وأهازيج في تكريم الإنسان والحرية، ومعلقات دفاعاً عن الفقراء والمسحوقين والمضطهدين، إلى أن أقالته "سنة الكون"، تاركاً لنا جميعاً تراثاً ضخماً نقرؤه، ونعيشه ونفاخر به.

* * *

www.alkottob.com

لقد فعلها وتجرأ على سياف الزهور

رجاء حيدر

تجرأ الموت على أحد العظماء ثانية، لقد سّجله في سجله وغيبه عنا، إنه الأحد الحزين لمدينة السلمية.

سلمية فقدت أيقونتها إنه محمد الماغوط الذي وضع بصماته في تاريخ سورية، شاعر التمرد والعصيان.

في أزقة السلمية الموحلة، وحاراتها المظلمة وبين بيوتها الطينية التي يدلف الماء من سقوفها الخشبية، في مدينة الفقر والفكر هاتان الصفتان المتلازمتان لمدينة السلمية حيث إنه كلما ازدادت أنياب الفقر نهشا في أجساد أهلها أمعن هؤلاء في الغوص بالكتب والعلم وكأنهما في حالة تحدي، من يصرخ أولاً؟

ولد محمد الماغوط في عام ١٩٣٤، من هذا الواقع المتناقض كتب إحساسه بالظلم البشري والفوارق الطبقية.

سلمية هذه القرية الحائرة بين الصحراء والمدينة والمنقسمة إلى أمراء وفلاحين حيث نما عنده حس التمرد، من هنا انطلق ليسطر في التاريخ بصماته، من هذا الواقع كبر إحساسه القومي الذي لا يخلطه شائبة عربي قومي بكل معنى الكلمة لم ينسَ فلسطين لحظة واحدة.

من يشرب من ماء سلمية لن يتخلص من تأثيرها مهما بعد عنها وحاول الهرب منها مآله إليها حتى لو كان رفاةً إلى ترابها يعود، مهما حاول أن يكرهها ستبقى بين خلايا جسده يتذكر وحلها بردها أحلامها غيومها ورياحها ومع كل هذا لا يستطيع إلا أن يتذكرها باعتزاز لأنها "معقل القرامطة والمتنبي" وقد هدمت مئة مرة يقول إن هذه المدينة تعيش في دمه:

" سلمية : الدمعة التي ذرفها الرومان
على أول أسير فك قيوده بأسنانه
ومات حنينا إليها
سلمية : الطفلة التي تعثرت بطرف أوربا
وهي تلهو بأقراطها الفاطمية
وشعرها الذهبي
وظلت جاثية وباكية منذ ذلك الحين
دميتها في البحر
وأصابعها في الصحراء

سلمية كونت شخصيته الإنسانية، دمشق سجن المزة كونت شخصيته الأدبية في ذاك المكان كتب أول قصائده (القتل) على أنها مذكرات سجين إلا أن أدونيس الشاعر الكبير قرأها وسماها شعراً، ومن هنا كان طراز محمد الماغوط الخاص به صار شاعراً من نوع فريد تسكع في شوارع دمشق فقيراً مهلهل الثياب حزين ناقم أشعث الشعر بقي ملاحقاً

www.alkottob.com

في فترة الوحدة بالرغم من عمله رئيساً لتحرير مجلة "الشرطة" إلى أن هرب إلى بيروت ثم عاد دمشق وبقي ملاحقاً. زوجته الشاعرة الكبيرة سنية الصالح تصفه "كان يرتعد هلعاً إثر كل انقلاب مر على الوطن.

يعتبر الماغوط أن " قصيدة النثر هي أول بادرة حنان وتواضع في مضمار الشعر العربي الذي كان قائماً على القسوة والغطرسة اللفظية، كما أن هذه القصيدة مرنة وتستوعب التجارب المعاصرة بكل غزارتها وتعقيداتها، كما أنها تضع الشاعر وجهاً لوجه أمام التجربة، وتضطره إلى مواجهة الأشياء دون لف وراء البحور، ودوران على القوافي "

آه

لو يتم تبادل الأوطان

كالراقصات في الملاهي

عاش الماغوط مع الكوابيس حتى صار سيد كوابيسه وأحلامه وأحزانه، وصار الخوف في لغته نقمة على الفساد والبؤس الإنساني بكل معانيه وأشكاله في قصائده ومقالاته ومسرحياته وأفلامه، قدّم الماغوط نفسه ابن الشهيد في ضيعة تشرين قدّم نفسه طائراً خارج السرب، لغته خاصة لاتنتمي إلا لنفسه لعشقه لعذاباته.. شجاع قوي الحدس منحاز إلى الحرية والجمال والعدل وحب الوطن هو من سيشرب كأس وطنه هو من سيخون وطنه، هو سياف الزهور، هو خارج عن السرب، هو من غرفة نومه بملايين الجدران، هو الفرح ليس مهنته وآخر مسرحياته قيام سكوت جلوس.

مدينة (سلمية).. ودمشق وبيروت محطات حميمة في دفاتر الماغوط وفي حياته الشخصية والإبداعية.

في عام ٢٠٠٥ منحه الرئيس بشار الأسد وسام الاستحقاق السوري، غياب محمد الماغوط الذي يرجع إلى ذلك الجيل العظيم من رجال الشعر والأدب السوريين مثل نزار قباني، أدونيس، عمر أبو ريشة الذي جعل الأدب ثورياً في كافة أنحاء الوطن العربي، أحد أكثر الشعراء الجريئين والموهوبين سيغلق فصلا من تاريخ الشعر والأدب السوري وسيسجل التاريخ..

* * *

www.alkottob.com

رحيل قمر دمشق

حسين نصر الله

منذ كانت رائحة الخبز شهية كالورد" كرائحة الأوطان على ثياب المسافرين" وأنا أسرح شعري كل صباح وأرتدي أجمل ثيابي" وأهرع كالعاشق في موعده الأول لانتظارها" لانتظار الثورة التي يبست قدماي في انتظارها.

بمجرد أن أراها وألمح سوطاً من سياطها" أو رصاصة من رصاصاتها" سأضع يدي حول فمي وأزغرد كالنساء" سأرتمي على صدرها كالطفل المذعور" وأشكو لها كم عذبني الجوع" وأذلني الإرهاب" وفي المساء سآخذها إلى الحواري الضيقة والريف المسطور" سأجلس وإياها تحت مصابيح الشارع" وأروي لها كل شيء" بفمي وأصابعي وعيني"..ولكن إذا لم تأت سأعض شراييني كالمراهق" سأمد عنقي على مداه كشحرور في ذروة الصراخ" وأطلب من الله من يبيد هذه الأمة.

قبل أيام اتصلت بي الزميلة تهامة الجندي، وكانت برفقة الشاعر إلى الإمارات لتسلم جائزة الإبداع الشعري التي منحته إياها مؤسسة العويس. وقالت لي إن الماغوط مشتاق إليك ويرغب في جلسة معك كالأيام الخوالي. فرحت لأن شاعراً مثل الماغوط يتذكرني بعد مضي سنوات على آخر لقاء جمعنا معاً. وقلت للزميلة تهامة، قريباً سوف أسافر إلى "قارة دمشق" بكل لهفتي للقاء الماغوط، والآن بعد رحيله أدرك كم فاتني وأي حسرات سوف ترافقني أنا الذي روضتني الصحافة، مثل الحمام الداجن. لكن محمد الماغوط وحده من بين قلة من شعراء، عرف أنه من الأفضل للمبدع أن يكون عصفور الغابة من أن يكون عصفور القفص، ذلك أن ترويض الشاب الكاتب أو المثقف، حتى لو كان يتحلى في البداية بموهبة كبيرة يبدأ من اللحظة التي ينوي فيها أن ينجح في مهنته. من القاعات الجامعية إلى معاهد الإبداع الأدبي، يرسخون في ذهنه تكيفاً صامتاً وتدريجياً مع قواعد الإرضاء: احترام السلطات المفترضة للمؤسسات القائمة، توافق كل تصرفاته وكتاباته مع الرأي السائد وذوق الجمهور العريض.

لكن الماغوط منذ بداياته الشعرية مع حزن في ضوء القمر ١٩٥٩ أيقن أن بعض المثقفين الذين يزعمون أنهم حديثون وحتى ما بعد الحديثين لا يجازفون بالطيران خلف موقعهم المعروف. أي قفصهم الأكاديمي أو الحرفي أو الإعلامي، أنهم يطيرون حتى بناء المصرف ثم يعودون ثم يعودون، لا يهز مشاعرهم ولا يقلقهم العالم ومآسيه. المهم بالنسبة إليهم هو العودة إلى القفص، احترام كل ما يعتبر محترماً. والتجنب الوقائي إزاء المخاطر وغير المقلد أو المحاكى الذي يفرض ممارسة الحرية. لكن محمد الماغوط صرخ بكل ما تختزنه روحه وقلبه من حشرجة ويأس: سأظل متكئاً على ريشتي حتى الشيخوخة، متكئاً على مرفقي حتى يسيل اللحم على الخشب". وكأنه بذلك كان يضخ من خزان الألم في داخله كل العذاب الإنساني الذي حمله قلبه في وجه كل "الرفاق" الذين ظلوا يقولون: ما لا نستطيع قوله لا ينبغي أن يقال .بل كأنه كان يدفع بالسخرية إلى مداها الأقصى، هزءاً من أولئك الجبناء الذين اختاروا بعناية كبيرة معلمهم وحاميهم وابتعدوا عن كل كلام لا يمتدح "سراي السلطان". أما الماغوط الذي عاش داخل غرفة بملايين الجدران "١٩٦٠" والذي علمّته أقداره أن "الفرح ليس مهنته" كان يظن دائماً ما قال عنه ذات يوم زكريا تامر: "إنه كان دائماً يظن أنه رجل

www.alkottob.com

القضايا الخاسرة والمخفقة"، ولكن الوقوف إلى جانب المعذبين والمشردين والفقراء والمسجونين لم يتحول إلا في زمننا الأهم والأعمى إلى قضية خاسرة! ولهذا رأينا أن الماغوط طوال مسيرته الإبداعية لم يهتم باحتلال المسرح، ولم يقل ما يسمح بقوله فقط. والآن بإمكاني أن أرى وأقيس المسافة التي قطعتها أصابعه المرتعشة في صحراء التيه العربية، بل بإمكاني أن أستعيد سيرته وهو ينتظر الرعود والبروق التي لن تأتي، فهذا الشاعر الذي عاش في البرد والوحل وبين المقابر، كان يجيد تربية الأحلام، ولهذا السبب ربما كان يكتب بأسلوب الاعترافات، كأن قصائده ولدت قبل أن تعرف الإنسانية الكوابيس، بل كأنها هي نفسها الكابوس الذي سوف يهز رقادنا باستمرار،فقصائده جميعها أمينة لذكرياتها، مخلصة لالتزاماتها، عطشى إلى الحقيقة. وهي قبل أي شيء، ليست قصائد بطولية أو ملحمية، إنها تشبه ندف الثلج التي تذوب في اللهيب، ولذلك فإن لغته تتقمص كل الألوان وتزاوج بين السخرية والدمع، وحين تشير أو تهتم بالقراءة في الواقع السياسي والاجتماعي تحتشد فيها الكثير من الرؤى والأسئلة والمواقف الفجائعية. هكذا أبداً كتابة هادمة ومحرقة تبتكر بأسلوبها الفذ مستقبلها الإبداعي. كتابة تذكرنا دائماً بأنه حين يصعد الساسة وباعة الكلام إلى القمم ينزل المستمعون إليهم إلى المزابل. فالقصيدة عند الماغوط تشق طريقها باستمرار بحثاً عن موطن جديد في اللغة، واللافت في هذه القصائد أنها تنحاز دائماً إلى التفاصيل الصغيرة، إلى اليومي والعادي والرتيب في حياتنا، كأنها بذلك تضع حدوداً للواقعية أو للحقائق، لكنها قبل أي شيء قصائد ضد المنظومات والإيديولوجيات يحضر فيها كل ما هو إنساني وبشري. لكن مأساة هذا الشاعر كما تقول زوجته الراحلة سنية صالح "إنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط". وعن هذا الشرق وظلام هذا الشرق كتب الماغوط شعره كله: كتبه بأعصابه، ودخان حرائقه الخاصة، بيده التي تأكل والتي تكتب والتي تجوع. ولهذا السبب ربما لم تعرف تجربته القصيدة المنتهية. بل ظل شعره يتأرجح بين العناد الأقصى والإحباط الأقصى على حد تعبير صديق عمره نزيه أبو عفش. ولكنه مع ذلك في ذروة عناده ويأسه ظل يشهق: "إني لا أجد في كل هذا الشرق مكاناً مرتفعاً أنصب عليه راية استسلامي". ذلك لأن أي مقاربة لفهم تجربة الماغوط الإبداعية، تحتاج إلى فهم غليانه الشعري أولا وقبل أي شيء، تماماً مثلما تحتاج إلى القراءة في التاريخ العربي المعجون من طين الهزائم والنكبات والخسارات أو تحتاج أيضاً لفهم هذا الظلام الذي رزحت تحته هذه الأمة المنكوبة والمجدولة بعصب الفقد والحسرات. إنه شاعر العذاب الإنساني بامتياز. استطاع بغطرسته وبساطته وذكائه الحاد أن يمجد الحب وأن يعيش في بستان الحب رغم كل ما ألمّ به من فجائع شخصية ووطنية وقومية وإنسانية، إنني أراه يمسد على جديلة المنفى والغربة. أراه وقد عاش شباب الموت بعد أن قصف المرض غصن زوجته عن شجرة حياته. إني أراه يقول لنا إن المستقبل لا يقل موتاً عن الماضي. هل هذا هو اليأس وانتحار الأمل. أم أن محمد الماغوط عاش الطفولة والشباب والشيخوخة في وقت واحد. وربما لهذا السبب فقد إيمانه بقوة الزمن وقدرته على التحول. فعند هذا الشاعر أصبح كل شيء متحجراً حتى الينبوع، وفي هذا العالم الرخامي، ليس للكلام صدى. وبسبب الصدمات التي توالت على رؤوسنا لم نعد نميز بين الأمام والخلف. لهذا كتب بحشرجة الروح وأنينها وابتكر للغته أرضاً وسماء.

منذ أكثر من نصف قرن انتمى الماغوط إلى جمعية الباحثين عن الحياة في صحراء العرب، كتب قصائد ومقالات ومسرحيات جوالة تتسكع فيها شخصيات شبحية لا تتوقف عن الزحف نحو الضوء. تمسك بانفعالات وذكريات

www.alkottob.com

وأحاسيس عابرة، ومخاوف ودرامات من الصور الشعرية أقام في بيت من الورق، وعزف على أوتار كتابة متشردة، فهذا الشاعر لم يكن يجيد غير ابتكار الكلمات وتهريبها والتجوال في "خيالات الواقع".

حاول مراراً إعادة ابتكار حياته كما فعل في "العصفور الأحدب" و"المهرج" وركض خلف نفسه على طول عباراته، تماماً مثلما من يتزلج فوق أمواج الحبر. اختبر التسكع بين الحروف، مثلما اختبر الشك والقلق، المجون والتنسك. وسلك طرقات لا تؤدي إلى مكان. عاش كإنسان مهجور يواصل بحثه عن وطن مستحيل، عاش "خارج السرب" مثل متاهة بقدمين. قصائده متمردة على ابتذال العالم، تزيد من دقات قلوبنا المتوحدة، وتقودنا إلى داخل غابات أكثر أسطورية من الواقع، وتعدنا بزمن لن يأتي. قصائد خارج الأوزان والمقاييس. كأنها انبثقت من لامكان ومن كل الأمكنة، قصائد تنتمي بامتياز إلى أولئك الذين بلا مرقد أو وطن أو بيت أو خيمة. تعطينا صورة حية عن الحقبة التي عاش فيها، قصائد خرجت من مدرسة الشارع ومن خلف القضبان والجدران السميكة التي توحي بالنفي والعزلة والاعتقال. قصائد عصبية.. كهربائية تبدو وكأنها خطفت خطفاً كضوء البرق. تكشف عن شاعر مخرب وشرس ومشاكس. قصائد طالعة من ترسبات الحزن، كتبت بأسلوب انفجاري تتيح لنا بسرعة اكتشاف ما يميزها والتعرف فيها على سمات مغامرة عنيفة، متشامخة ومجنونة، منذورة جسداً وروحاً لأخلاقياتها وجماليتها، تأتينا بالأليف المفاجئ والعادي المدهش. وتضعنا أمام الأفق المقرر للشعر.

محمد الماغوط..شاعراً أولاً وشاعراً دائماً، استل سيف الشعر وبدأ هجومه على الإرث والوصايا ودراسات علم البلاغة والأناشيد، وحطم اللغة المزيفة والمجوفة والمقصرة. فهذا الشاعر الذي اختار الإقامة خلف زجاج المقاهي، لم يتوقف عن السفر في خنادق الضمير العربي، ولم يتعب من الحفر في مناجم روح الأمة الغائرة. إنه حركة احتجاج في شاعر، وسيرورة تحرر في رجل، ومعه لمعت نجمة وعي جديد. وكان عليه أن يكد جاهداً لاستكشاف أرض مملكة الإبداع اللامحدودة، فتعاملت معه الأنظمة كخارج على القانون، لكن رغم الحصار الذي فرض على قصائده وأعماله المسرحية ومقالاته التي رفعت باستمرار كأس الوطن الكبير، استطاع الماغوط أن يضع حركة التمرد الشعرية في سياق الزمن، واستطاع كذلك إجبار أباطرة الماضي وحراس الوثنية الأدبية، على الاستسلام لهذا الزلزال الشعري الذي يترنح باتجاه المستقبل.

أيها الصديق.. إلى أين تمضي؟.. يا من تعريت من الظلال، قريباً سوف يؤانسك الموت، ستزداد أرقاً.. وسوف تصر الكلمة على إغلاق فمها. لكن في هذا المدى الأبكم، تلوح أمام أعيننا المضببة قوافل الزملاء والأصدقاء والندماء الذين اغتيلوا وقتلوا وانتحروا. أو الذين يعيشون الحياة كجرح مفتوح. والذين جاؤوا بالأمس مع الفجر، حملتهم خطواتهم في الغربة إلى واقع ملتبس ومدجن، ليشهدوا على انهيار التواصل الإنساني وليعيشوا خلف وليمة الفشل.

أيها الصديق، كل شيء، يوحي بأن بلادنا توزع حصص الرعب في الاتجاهات كلها، وان كل حي فيها يتحرك بقبول وذل وانصياع لكن وسط هذا الحاضر المستقبل علمتنا أنه من نجاح المادة إلى فشل الروح، ثمة مكان للحرية الخلاقة..يا مَن قضى حياته بحثاً عن ذهب الحرية.

* * *

www.alkottob.com

شاعر التمرد والعصيان

موقع الجمل

ربما لم يبارك لأمه أحد بمولده. ربما لم تعرض أيٌ منهن له ثديها ليرضع في حالات جوعه وتشبث الحليب في صدر أمه، كما كانت تفعل النساء تجاه أطفال بعضهن. ربما كانت النسوة يمنعن أطفالهن من اللعب معه لكثرة ما هو أشعث ومهلهل الثياب ويبدو عليه الحمق. لكن، من المؤكد أن أساتذته كانوا يضربونه بحد المسطرة على ظهر يديه لكثرة هيجانه وبلادته. ومن المؤكد أيضاً أن أحداً لم يخطر في باله أنه ذات يوم سيدّعي أنه لعب معه في الطفولة؛ وجلس معه على مقعد واحد في المدرسة، وأنه صديق عمره. إذ لم يكن ثمة ما يشير، ولو إشارة ضئيلة، إلى أن ذلك الطفل المنبوذ، والتلميذ البليد، وبعد أقل من خمسة وعشرين عاماً، سيكون أشبه بمبشر، حيثما يسير، يتبعه آلاف من المريدين، لكنه لا يرتدي الأبيض. أشبه بنبي صغير يفتتح عصراً جديداً من الشعر، وأفقاً جديداً للمسرح، وخطاً جديداً في المقالة والكتابة السياسية الساخرة وشديدة العمق، لكنه بلا لحية، وليس على رأسه عقال.

سوف تجتمع نساء السلمية جميعهن، ويقلن بما يشبه الصوت الواحد: بيتنا ملاصق لبيته.. ياما لعب في هذه الغرفة.. ومن هذا الثدي ياما رضع..وسيقول الرجال جميعاً، وباعتداد فائق: إنه الصديق الوحيد، أمضينا طفولتنا وشبابنا معاً.

هكذا يفعل المبدعون فوق العادة: يغيرون الأمزجة والأنظمة، ويوجهون الرغبات..

* * *

في أزقة السلمية الموحلة، وحاراتها المظلمة، وبين بيوتها الطينية التي يدلف الماء من سقوفها الخشبية الواطيئة، حيث تبرز علامتان ستطبعان المدينة بطابعهما لزمن طويل، ولم تنفكا تتزايدان، علامتان نافرتان بوقاحة كالأنف في الوجه: الفقر والثقافة. وكلما أمعن الفقر نهشاً في أجساد أبنائها، أمعن هؤلاء نهشاً في الكتب، حتى وقفوا: هم، والعالم الذي ينهار وجهاً لوجه، كمصارعين على حلبة. فراحوا يفكرون بطرائق شتى لمنع أو تأجيل انهياره: كأن يكتبون مثلاً، أو يشتغلون بالسياسة. الأمر الذي تكشّف – فيما بعد – عن الأمرين معاً: كثر الكتاب والمهتمون بالشأن الثقافي الذين أثروا على نحو من الأنحاء، بالثقافة السورية، بل والعربية، وكثرت –بالمقابل– الحركات والتنظيمات والأحزاب السياسية العلنية والسرية التي انتشرت إلى الأرجاء السورية، وأثرت–هي الأخرى – بالحركة السياسية العامة للسوريين؛ ما منح المدينة وجوداً لغزياً على امتداد الرقعة التي يقطنها العرب؛ وجعل أبناءها إلى ما بعد القرن العشرين يقدمون أنفسهم على أنهم من السلمية فحسب؛ قبل أن يقدموا أنفسهم على أنهم ذوو ذوات، ودون أن يفكروا أو يتساءلوا: ماذا بقي من هذا الرحم المقدس؟!.

في هذا المكان الكثيف، الضاج بالدلالة، الصاخب، الهادئ، المنعزل الذي ينطوي على الكثير من التنويه بالذات، والمفعم بالطموح، تحقق – بشكل فريد ومفاجئ – المثل الشعبي "ياسما إنت اللي بعتي، ويا أرض ابتليتي"، إذ ولد محمد الماغوط.

www.alkottob.com

حقاً، (ابتليت) الرقعة العربية بهذا الشاعر الذي وضع القوانين الشعرية التي صاغها التراثيون؛ وحتى تلك التي صاغها أصدقاؤه الكبار في العصر الحديث، في كيس الخيش الذي أحضره من السلمية إلى دمشق فبيروت، ورماه خلف ظهره، وابتكر قوانينه الخاصة. إذ إنه يرى أن "الشعر يكاد ينقلب إلى مورِّط بعدما كان منقذاً. لقد أصبح يكرهنا وينأى عنا، كأننا قتلة، صيادون، وهو الطائر الأليف الذي أحببناه. في كل يوم يعطونه وصفاً وقيمة لا علاقة له بهما. إنهم يزخرفونه كأنه سرج وليس الجواد، مهمتي منذ سنين أن أعيد الإلفة بيني وبينه، وأكاد أوفق، لأن الشعر يظل يحمل روح الطفل، بينما الآخرون يعاملونه كأنه شيخ عجوز يجب أن يوارى التراب للاستعاضة عنه بشعر معلب يتفق والخيانات الروحية المتفشية في هذا العصر". لقد دخل الشعر كوحش بري لا يروَّض، فحطم كل الأوزان والقوافي التي تريد ترويضه، وكتب ما ليس للشعر العربي عهد به من قبل، إذ إنه كتب آلامه الشخصية، وتاريخه الشخصي المحمول على الحزن المتطرف، والرعب المتطرف، وعلى وَلَهٍ، متطرف أيضاً، بالحرية.

* * *

ولد محمد الماغوط عام ١٩٣٤ في السلمية، التي يقول إنه اكتسب إحساسه بالظلم البشري والفوارق الطبقية من نشأته في "هذه القرية الحائرة بين الصحراء والمدينة، والمنقسمة إلى أمراء وفلاحين، وأعتقد . والكلام للماغوط . أن ماركس كان ينبغي أن يولد في السلمية وليس في ألمانيا، ليخترع نظريته في الصراع الطبقي". ويعتبر أن السلمية نمّت فيه حس التمرد، "حين تفتح وعيي على مقابر خاصة للأمراء، ومدارس خاصة لأولادهم، فيما كنا نحن أبناء الفلاحين لا نذهب إلى المدرسة، بل إلى الكتّاب". ومن هذا الخلل الطبقي أتت عزة النفس "أذكر مرة أتى أميرٌ فارسٌ ليرمي أثناء دفن أحدهم حنطة للفقراء، فضربته بحجر. ولاتزال آثار سوطه على جلدي إلى هذه اللحظة".

فهو يعتبر أنه "في مطلع الثلاثينات لم تكن السلمية مدينة، كانت قرية نائية وباسلة، تنظر إلى وحلها ودخانها وعيونها المحمرة كما تنظر الفرس إلى أجراسها، أما التاريخ المتسلسل في المعارك الكبرى فيظل في جيب المختار" ويرى أن الموت كان طبيعياً فيها، بل ضرورياً ومتوقعاً في كل لحظة. وعلى هذا الأساس كان أطفالها شرسين كالحشرات، ورجالها لا يتورعون عن ضرب أشجارهم بالسوط لأنها لم تثمر في الوقت المحدد. حتى دجاجها كان يصرخ باستمرار كأنه مصاب بذات الرئة. يقول: "كانت السلمية نقطة زيت في ماء الوطن. ولقد فكرت السلطات المتعاقبة جدياً في تقطيعها كالحية، هي وكهولها وشبابها ومقابرها ووضعها داخل كيس، ثم قذفها إلى الجحيم". ويروي أنه "حين حاول البدو في أحد سني المجاعة والقحط غزو القرية من جهة الشرق، تم تمزيق طلائع فرسانهم تمزيقاً قبل أن تصل إلى الضواحي؛ بعد أن شطرت رؤوس أمرائهم بأطراف المعاول. ولعل هذه التقاليد البدوية التي تتحكم بتلك المنطقة هي التي أججت الثأر، فقد وجدت في عام ١٩٠٠ مئات الجثث في الكروم بسبب دجاجة".

ربما يكون هذا الظرف القاسي وشديد الوطأة هو الذي صاغ شخصية الماغوط على نحو من الأنحاء بمزاجه الحاد والمتقلب في آن، وكآبته المزمنة، ونزقه، وحزنه الذي لا يشبهه سوى الحزن الكربلائي الذي يفترق عنه في أنّ حزن الماغوط شخصي جداً. إن أكثر ما يميز شخصيته، هو انطوائها على هذا الحزن البدوي الذي استطاع كتابته بصدق نادر حتى لا تكاد تخلو قصائده من تلك المفردة الباطشة: الدموع. ويكاد قارئ هذا الشاعر الكبير يحار أيهما صاغ الآخر: القصيدة

www.alkottob.com

أم الشاعر؟ وربما في هذا الظرف أيضاً، وبسببه، نشأت تلك النزعة الثأرية التي تربطه بالعالم. إن قراءة أعماله تجعلنا نكتشف، دون عناء، أن محمد الماغوط طالب ثأر.

لم يخرج صاحب (كاسك يا وطن) من بيته إلى الحارة إلا في السابعة من عمره، إنما ليس ليلعب مع الأطفال، بل ليرعى الخراف. لذلك فإن جل ما يتذكره من السلمية هو "الوحل والبرد والأحلام والغيوم والأبقار والرياح". ومع هذا فإنه يذكرها باعتزاز باعتبارها: "معقل القرامطة والمتنبي". وفي أنها "هُدِمتْ مئة مرة". ثم يقول: "إن هذه المدينة مقيمة في دمي". ويكتب:

"سلمية: الدمعة التي ذرفها الرومان
على أول أسير فك قيوده بأسنانه
ومات حنيناً إليها
سلمية: الطفلة التي تعثرت بطرف أوروبا
وهي تلهو بأقراطها الفاطمية
وشعرها الذهبي
وظلت جاثية وباكية منذ ذلك الحين
دميتها في البحر
وأصابعها في الصحراء"

وكما كان لتلك المدينة أثر هائل في تكوين شخصيته الثأرية، المزاجية، النزقة، وذات التطلع السوداوي الكئيب الحزين، فقد كان – كما يبدو – لأمه دور حاسم في تربيته. إذ إن غياب والده المستمر عن البيت بسبب عمله أجيراً في أراضي الآخرين، منح أمه هذا الدور المركزي. فهي قوية، وصلبة، جميلة، وشاعرية و..صارمة أيضاً. أخذ منها "الحس الساخر، الصدق والسذاجة، ورؤية العالم كحلم قابل للتحقيق" كما يقول.

إذا كانت السلمية كونت شخصيته الإنسانية، فإن دمشق، بل أسوأ ما فيها: سجن المزة، كونت شخصيته الأدبية. سلمية جعلت منه شخصاً لا يشبه سوى نفسه، ودمشق سجن المزة جعلت منه شاعراً وكاتباً لا يشبه –كذلك – سوى نفسه.

إن فرحة والده بشروع ابنه العاق دراسة الزراعة في دمشق – مدرسة خرابو في الغوطة عام ١٩٤٨ – لم تكتمل. فهذه مدرسة داخلية تقدم الطعام والشراب والنوم مجاناً. وهذا يعني لوالده، إضافة إلى إزاحة عبء التكاليف التي تحتاجها الدراسة؛ التخلص من ابنه الذي "لا يطاق" لشدة تبرمه من الحياة والعالم. إلا أن الماغوط، وفيما هو في غرفته الداخلية، أخذ يفكر فيما إذا كانت هذه الدراسة تلبي طموحه الذي كان يتشكل رويداً رويداً في تغيير العالم. هذا الطموح الذي بدا له، في الحقيقة، أشبه بمهمة، أو أنه، حقاً، مهمة، وأن ثمة قوة خفية ندبته لتحقيقها، حينها اكتشف أن "ليس اختصاصه الحشرات الزراعية، بل الحشرات البشرية"، فهرب من تلك المدرسة، ومشى ١٥ كيلومتراً، ولجأ إلى المكان الأثير لديه: الرصيف، وإلى الهواية المتمكنة منه: التسكع. وهذا هو قدومه الأول إلى دمشق، وكان موفقاً بالنسبة إليه، حيث اكتشف أرصفة لقدميه، وشوارع طويلة لدخان سجائره، مما لم يكن في السلمية.

www.alkottob.com

أما قدومه الثاني والأخير فكان عام ١٩٥٥ – ١٩٥٦ حيث بدأ حياته الأدبية والكتابية، ولم يتوقف، منذ ذلك الوقت، عن إشعال الحرائق في الثقافة العربية، وبين المثقفين العرب. وبدا كل كتاب من كتبه وكأنه الكتاب الأول من نوعه. وبدا أن التاريخ الأدبي بعامة، والشعري بخاصة، يتحدد على وقع قلمه، وضجره، وغضبه. وسرعان ما وجد الفقراء والمشردون والمنعزلون والمطرودون والمهمشون وفاقدو الأمل وقاطنو أطراف المدن..ناطقاً رسمياً بآلامهم، اسمه: محمد الماغوط. وسرعان ما وجد الشعراء الجدد – طالبو الحرية، برمثيوس يُحضِر النار والحرية إليهم، مُخَلِّصاً إياهم، عبر تخليصه الشعر، من عبودية الشكل، ومن أوزان داحس والغبراء، وقوافي البسوس، وبلاغة قس بن ساعدة الإيادي..

لكن دمشق، آنذاك، استقبلته استقبالاً لا يليق بالشعراء. على أطرافها، وفي مكان يشكل علامة كبيرة من علاماتها يدعى المزة، حيث ثمة غرف متلاصقة، معتمة، رطبة، ومليئة بالقضبان الحديدية، أُطلق عليه، سجن المزة، في هذا المكان تم استقباله لمدة تسعة أشهر من العام ١٩٥٥، سوف تطبع حياته وكتابته بطابعها. سوف يعيش حياته وهو يشعر أنه ملاحق ومهدد، سوف يعيش في ريبة وتوجس من كل نأمة: من رنين الهاتف، من طرقة على الباب، ومن تحرك الستارة في غرفته.. ومن أجل ماذا؟ من أجل مدفأة؟ قد يبدو الأمر مستغرباً، لكنه حقيقي.

في السلمية في منتصف القرن العشرين كان ثمة حزبان يتنافسان: حزب البعث، والحزب السوري القومي الاجتماعي. وإذ خرج الشاعر الكبير من بيته، وهو يكاد يتجمد من شدة البرد، انتبه إلى مقر الحزب السوري القومي فوجد فيه مدفأة، وكان قريباً من حارته، فدخل المقر والحزب معاً. ولو أنه وجد مدفأة في مقر حزب البعث لدخله وصار بعثياً. فالأمر لا يتعلق بالحزب بل بالمدفأة. وعلى هذه التهمة: الانتماء إلى الحزب السوري القومي، سجن الماغوط، دون أن يصدق جهاز المخابرات أن علاقته بالحزب لا تتعدى علاقته بمدفأة الحزب. يقول: "وأنا في التاسعة عشرة من عمري، أتساءل: ما هي تهمتي بالضبط؟" ويضيف: "لم أقرأ صفحتين من مبادئ الحزب، ومنذ أن انتهت موجة البرد الأولى، لم أحضر له اجتماعاً، ولم أقم بأي نشاط لصالحه على الإطلاق.." وهو لم ينظر إلى أنطون سعادة على أنه مؤسس ذلك الحزب، وزعيم سياسي، بل على أنه "شاعر أخطأ الطريق". لكن، كما أن للسجن جرائم، فإن له أيضاً فضائل. ففي السجن كتب أولى قصائده "القتل"، على أساس أنها مجرد مذكرات سجين، إلا أن أدونيس الكبير قرأها وسماها شعراً. وهكذا تعرف محمد الماغوط على نفسه، وتعرف عليه العالم، على أنه شاعر، إنما من طراز خاص.

في دمشق الخمسينيات لم يكن الماغوط سوى شاب متسكع، فقير لدرجة ليس من الممكن تصورها، مهلهل الثياب، أشعث الشعر، وحزين في الحد الأعظمي، وناقم لدرجة صفيقة. إن عمله رئيساً لتحرير مجلة "الشرطة" لم ينقذه. إذ سرعان ما وجد نفسه في فترة الوحدة ملاحقاً، فما كان منه إلا أن هرب إلى بيروت.

حين عاد من بيروت وجد نفسه – أيضاً– ملاحقاً. فاستأجر غرفة في دمشق – عين الكرش "كانت غرفة ضيقة ومسدلة الستائر كأنها غرفة تحميض:" كنت دائماً في غرفة ضيقة. كان لدي بابور كاز وفرشة ومطبخ بحجم معلف الفرس.." كما يصفها. وتصفه في تلك الفترة الشاعرة الكبيرة، زوجته سنية صالح، وتصف أيضاً غرفته، وتقول: "كان يرتعد هلعاً إثر كل انقلاب مر على الوطن، وفي أحدها خرجت أبحث عنه، كان في ضائقة قد تجره إلى السجن أو ما هو أمر منه، وساعدني انتقاله إلى غرفة جديدة في إخفائه عن الأنظار؛ غرفة صغيرة ذات سقف واطيء حشرت حشراً في أحد المباني بحيث كان على من يعبر عتبتها أن ينحني وكأنه يعبر بوابة ذلك الزمن. سرير قديم، ملاءات صفراء، كنبة زرقاء

www.alkottob.com

طويلة سرعان ما هبط مقعدها، ستارة حمراء من مخلفات مسرح قديم. في هذا المناخ عاش محمد الماغوط أشهراً عدة بدت الأيام الأولى كاللعبة البطولية لنا نحن الاثنين. ولكن لما شحب لونه ومال إلى الاصفرار المرضي، وبدأ مزاجه يحتد بدت لي خطورة اللعبة، كنت أنقل له الطعام والصحف والزهور خفية. كان يقرأ مدفوعاً برغبة جنونية، وكنت أركض في البرد القارس والشمس المحرقة لأشبع له هذه الرغبة، فلا ألبث أن أرى أكثر الكتب أهمية وأغلاها ثمناً ممزقة أو مبعثرة فوق الأرض، مبقعة بالقهوة، حيث ألتقطها وأغسلها ثم أرصفها على حافة النافذة حتى تجف. كان يشعل نيرانه الخاصة في روائع أدبية بينما كانت الهتافات في الخارج تأخذ من بعيد شكلاً معادياً".

في هذه الغرفة الواطئة التي تضطر الداخل إليها أن ينحني، شعر الماغوط أن حدبة بدأت تنبت على ظهره، هو الذي لا تنطفئ رغبته في الطيران. هنا، في قلب هذا الشعور، كتب مسرحية (العصفور الأحدب) (١٩٦٣): وثيقة انهيار الإنسان العربي أمام جرافة الأنظمة التي بدأت تصل السلطة السياسية شيئاً فشيئاً، وتكرس نفسها كأنظمة مستبدة. لقد تنقل بين عدة غرف على تلك المواصفات. في إحداها كتب ديوان (غرفة بملايين الجدران) (١٩٦٠). إذ إنه لم يكن ليكتب إلا في حالات دمار شخصي قصوى، ومزاج مشدود كالقوس، وأعصاب متوترة كأوتار العود في ذروة أدائه، حيث يكون على مفترق أمرين: الانتحار شنقاً، أو الكتابة، ولحسن حظنا نحن القراء، ولقوة موهبته، كان يختار الأمر الثاني. والحقيقة أنّ ما ساعده على ذلك هو ثقافته الواسعة. فقد كانت سنية صالح وذلك (الحداد في وطن من الفخار): زكريا تامر، يمدانه بالكتب: إن في فترتي سجنه عامي (١٩٥٥ – ١٩٦١) أو في فترات ملاحقته. وعلى هذا الأساس، فنحن لن نصدق ادعاءاته المتكررة أنه ليس مثقفاً، وأنه لا يعرف ماذا يكتب: شعراً أم غير ذلك. الأمر كله أنه كان يخفي مرجعياته المعرفية، ويسمح لتلك العفوية الباهرة (عفوية الماغوط، حصراً) أن تتدفق، وللكلام البسيط أن يحمل كل تلك التفاصيل والمهملات والمتروكات؛ ليحقنها بذلك الإكسير الذي يحول الكلام إلى شعر. وذلك على خلاف أدونيس، كمثال، الذي تظهر ثقافته الهائلة في كل ما يكتب، شعراً ونثراً على السواء، ويعتبر؛ أي أدونيس أن الشعر بلا فكر، شعر بلا قول، وهذا يحطم الشعر. فيما يرى الماغوط العكس: الفكر يخرب الشعر. في هذا السياق نتذكر أن أدونيس وصف عروة بن الورد أنه شاعر كبير لكنه ليس قائلاً كبيراً. وهذه مشكلة لم تزل قيد البحث: هل على الشاعر أن يخفي مرجعياته؟ هل على الشعر أن يبدو بلا ثقافة؟ ثم أليس ضبط الجملة الشعرية على نحو يجعلها قادرة أن تحمل الكثير من الدلالات، يعتبر بحد ذاته ناتج ثقافة ومانحها، في الوقت ذاته، أيضاً؟ وأمامنا نماذج كبيرة على الاتجاهين، أدونيس والماغوط ذاتهما.. وفي التراث أمامنا المعري وأبي نواس.. الأمر كان هكذا، ولم يزل.

* * *

مرحلة خمسينيات وستينيات القرن العشرين، المرحلة التي ظهر فيها من يسمون (شعراء الحداثة) أو (شعراء الستينيات)، مرحلة تاريخية متميزة. فعلى المستوى الأيديولوجي: كانت الماركسية من جهة، والقومية العربية من جهة أخرى، في حالة استثنائية من الصعود والمد لا مثيل لهما.

فالماركسية كانت تغطي أكثر من نصف الكرة الأرضية، على مستوى أنظمة الحكم. وكان الاتحاد السوفييتي: حامي الشيوعية العالمية، في حالة استثنائية أيضاً من القوة. وحركات التحرر العالمية نشطة جداً (ومتكاثرة) ومدعومة (أو هكذا، على الأقل، كان يُظن) سوفييتياً. ما أثر بشكل كبير على الوضع العربي، في اتجاهه الماركسي، فتكاثرت وكثرت التنظيمات

www.alkottob.com

الشيوعية العربية واتسع تحركها وانتشارها بشكل لافت. وبما أن الماركسية نظرية كبيرة حقاً، ولديها ما تقوله بشكل كبير حقاً، فكان أغلب متبنيها من العرب على قناعة عالية أن الشيوعية العربية قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى السلطة والسيادة السياسية لتنفيذ مشروعاتها.

لم تكن الفكرة القومية تختلف كثيراً من حيث الانتشار والمد والتعامل والتعاطي عن الماركسية، فقد كانت هي و"جمال عبد الناصر" يمارسان سطوة سحرية على الأرض العربية، فالأرض (بتتكلم عربي) ولا حياة للفرد إلا ضمن الجماعة (الأمة) العربية التي جزأها (وخلَّفَها) الاستعمار وهاهي الآن، كما كان يطرح أصحابها، تنهض من جديد وسيدخل العرب، بعد قليل، في إطار وحدة استثنائية حيث الاقتصاد والسياسة والثقافة والمجتمع..كل واحد لدى هذه الأمة التي تبعث الآن.

إلى جانب هذا، كان (العرق) السوري يمثل اتجاهاً فكرياً لا مثيل له على مستوى الفكر السوري القومي الاجتماعي، والذي ذهب معظم متبنيه إلى الانتظام في إطار الحزب السوري القومي الاجتماعي، حيث "أنطون سعادة" يمثل قيمة كلية. فطروحاته – كما يرونها – حل أوحد للسوريين، وكما يعلم الجميع فإن معظم شعراء الحداثة كانوا داخلين في هذه البنية: فكرياً وتنظيمياً، وذلك على المستوى الإقليمي لما يسمى: سورية الكبرى.

في الفترة ذاتها كان لدى العرب، على مستويات أخرى، أفراد لا يقلون طموحاً عن كل ما تقدم. لقد قامت حركة فنية وإبداعية في التاريخ العربي الحديث والمعاصر كبيرة حقاً، فمثلاً: كانت "أم كلثوم" وثن الجماهير العربية، وعلى أوتار (فريد الأطرش) تهتز العقول والأخيلة، وكان "عبد الحليم حافظ" ترمومتر الشارع العربي، حتى ليخيل أن العرب على المستوى الشعبي يقيسون تاريخهم ومستقبلهم على (آهاته) كان يشكل، حقاً، شارة كبيرة لحلم عربي (لم يتحقق أي شيء منه طبعاً) كأن كل شيء كان، بدءاً من "عبد الحليم حافظ"، والحلم العربي، يتحقق. كذلك فإن (فيروز) والرحابنة كانوا يصوغون ذوقاً عربياً جديداً، مشكلين قوة فنية وإبداعية، كانت، ولم تزل، استثناءً عربياً ربما منذ العصر العباسي.

كل تلك المظاهر (التي أشرت لها إشارات سريعة تدل على حجم تلك المرحلة التي ظهر فيها شعراء الحداثة وشعرهم) جعلت قناعة معظم النخب العربية أن أمتهم العربية أو السورية أو الماركسية..؟! ستنبعث من جديد، وبعد فترة ليست طويلة. (لذلك نجد الكثير من مفردات البعث: تموز مثلاً، منتشرة بكثرة في شعر الحداثة، حتى إن الثقافة العربية أطلقت على تلك المرحلة الشعرية اسم: المرحلة التموزية. وتموز لم يكن يمثل خلاصاً أو بعثاً فردياً، بل يشير في إطار التجربة إلى خلاص أو بعث أمة).

فالحداثة التي تبنتها مجلة (شعر) كان طموحها ليس فنياً فحسب، بل أن تشمل، كما يعبر يوسف الخال: "مختلف حقول النشاط الإنساني".

فالشعر بتعبير الحال "نهضة هدفها، رفع النفس العربية إلى مستوى الحداثة"، وكذلك "وضع هذه الثقافة (العربية) بأصولها الدينية والإلهية –كما يريد "أدونيس"– موضع تساؤل أو شك أو رفض"، فالمسألة الحداثية تخص، لدى شعراء الحداثة، أمةً. و"قضية العالم العربي الراهنة، هي قضية النهوض بعد كبوة، دامت أكثر من ألف سنة".

www.alkottob.com

إذاً، إن تلك المرحلة تمثل تباشير نهضة، كان العرب في منأى عنها لحوالي عشرة قرون، وكانت المرحلة العثمانية بمثابة الهاوية الأسطورية التي ترسب العرب في قاعها لأربعمئة سنة، كانت أشد السنوات التي مر بها العرب ظلامية وبؤساً وتخلفاً وانحطاطاً.

في هذه المرحلة المتميزة ظهر شعراء الحداثة والشعر الحديث.

في هذه المرحلة، أيضاً، تمت الوحدة بين سورية ومصر ١٩٥٨ – ١٩٦١، وتميزت بوطأة أمنية شديدة، طالت الشعب السوري ومن ضمنه المثقفين المعارضين أو الذين يحملون آراء ومواقف معارضة لآراء ومواقف حكومة الوحدة. في هذا السياق، تمت مطاردة محمد الماغوط، فهرب إلى لبنان.

كانت بيروت الخيمة الأخيرة التي تظلل الهاربين من بلدانهم، وفيها يجتمع الخارجون عن القانون السلطوي والاجتماعي والإبداعي، والذين يريدون أن يبتكروا طرائق جديدة للحياة والتفكير والكتابة، كانت بيروت مساحة للحلم والحرية. وفيها أسس الشاعر السوري يوسف الخال مجلة "شعر": المجلة الأكثر ثورية في تاريخ الشعر العربي، والتي ستغير ملامحه وبنيته، وتنقله من طور إلى طور آخر لم يعرفه قرّاء العربية قبلاً. وقد أدارها مع أدونيس. بدأت المجلة باستقطاب الشعراء العرب الذين يحلقون في هذا الفضاء والذين يهجسون بالحرية والتجديد مثل، بدر شاكر السياب. أما بشأن محمد الماغوط، فثمة قصة مثيرة وشيّقة تكتبها سنية صالح: "كان محمد الماغوط غريباً ووحيداً في بيروت. وعندما قدمه أدونيس في أحد اجتماعات مجلة)شعر(المكتظة بالوافدين، وقرأ له بعض نتاجه الجديد بصوت رخيم دون أن يعلن عن اسمه، وترك المستمعين يتخبطون (بودلير؟.. رامبو؟..)، لكن أدونيس أشار إلى شاب مجهول، غير أنيق، أشعث الشعر، وقال: "هو الشاعر..". لاشك أن تلك المفاجأة قد أدهشتهم وانقلب فضولهم إلى تمتمات خفيضة. أما هو، وكنت أرقبه بصمت، فقد ارتبك واشتد لمعان عينيه"، وتتابع سنية: " بلغة هذه التفاصيل، وفي هذا الضوء الشخصي، نقرأ غربة محمد الماغوط. ومع الأيام لم يخرج من عزلته بل غير موقعها من عزلة الغريب إلى عزلة الرافض".

كان أعضاء (شعر) في هذه الأثناء يتحاورون ويكتبون وينظرون حول القصيدة: ماهيتها، بنيتها، ما هو الشكل الذي يجب أن تكون عليه الكلمات لتصير قصيدة؟.. متى يمكن أن نقول عن مقروء ما إنه شعر، ومتى نقول إنه ليس شعراً؟.. وماذا على الشعر أن يقول؟.. كانوا يصوغون ذوقاً جديداً ورؤية جديدة للشعر بخاصة، وللحياة بعامة. ويبتكرون قوانين جديدة للكتابة. قوانين تسمح للفكر أن يسيل بحرية، وللقصيدة أن ترقص بحرية. فأطاحوا بالبحور الشعرية التي كان الشعر لما يزل يرتسم عليها منذ نشأته الأولى وحتى منتصف القرن العشرين. واكتفوا بأن تسير القصيدة على التفعيلة. وكانت نازك الملائكة وبدر شاكر السياب قد بدآ بهذا. واتفقوا على أن الشعر ليس مدحاً وذماً وهجاء ووصفاً، بل رؤية. وسرعان ما انقسمت المواقف حول هذا الجديد: فمن جانب، كثر الشعر الذي يقوم على التفعيلة، ومن جانب آخر كثرت الصرخات المعادية التي تتهم (شعر) وجماعتها بأنهم يهدمون التراث العربي، ويشاركون في إشاعة النوع الجديد للاستعمار الغربي، الاستعمار الثقافي، لاسيما أن آثار أقدام المستعمرين كانت لم تزل بعد ظاهرة كالوشم على الأرض العربية. يشكو أدونيس إلى يوسف الخال ذلك ويقول: "صحيح أن الرفض الذي قوبلت به أفكارنا، كان يمنحها قوة غامضة، مع أنه كان يعرقلها أو يحجبها..حاربتنا السياسة، ورافقت حربها علينا حرباً أكثر مضاضة: تلك التي يشنها عاطلون عن المعرفة".

www.alkottob.com

كذلك، في السياق ذاته، يقول فايز خضور: "..كنا في دمشق يقام علينا الحد من قبل خراتيت المدرسة التقليدية، لأننا نعمل في الحداثة، حتى وصل الوهم بهؤلاء أننا "عملاء للاستعمار والإمبريالية" و"موظفون لتهديم التراث".

في هذه الأثناء، أيضاً، كان الشعر بصفة عامة، وبتأثير قوي من أدونيس، يتقدم بلغة معقدة وصعبة وكان ذا أفق صوفي متعال. كانت مفردات الوجود والعدم، الموت والحياة، البعث والانبعاث، ومفردات الأساطير..شديدة الحضور فيه، وكان ما يسمى بالشعر الرمزي حاضراً لدرجةٍ يُظن معها أن الشعر هو الشعر الرمزي فحسب. الأمر الذي أدى إلى ظهور معركة أخرى بدأت تُشن على الغموض في الشعر الجديد آنذاك. وكان، حقاً، ثمة قصائد يكتبها عديمو أو قليلو الموهبة، مستغلقة على المتلقي، دون مبررات فنية حقيقية.

داخل هذه الحميا الثقافية برقتها وصلافتها، بصعوبتها وإغرائها، ووسط تلك المعارك التي تتطلب شحذ أقوى الأسلحة المعرفية، كان محمد الماغوط مشغولاً بقلق آخر: الوطن والحرية، الهذيان والرعب. كان الشعر بالنسبة إليه مجرد ملجأ يلجأ إليه كما يلجأ البدائي إلى أقرب جذع شجرة خوفاً من الوحوش، مع فارق أن الوحوش التي يخافها الماغوط بشرية. لكنه – بالمقابل– كان يرى الشعر الذي تدعو إليه مجلة "شعر" غارقاً في متاهات جدلية عن الوجود والعدم، وألغاز تفصلها مئة سنة ضوئية عما يدور على الأرض. يقول عن نفسه: "أما أنا فكنت غاضباً وجائعاً، أتحدث عن قمل السجن، والقدم الحجرية للسجان على قلبي، وعن التوابيت وساحات الإعدام وشفاه غليظة لرجال قساة، وعن الحلم الذي انطفأ، وابتساماتنا وأهدابنا قاتمة". لم يكن يهمه اللغة التي يكتب، والأسلوب الذي يلتزم، يهمه أن "يعقد مؤتمراً لكل الجياع ومشردي ومضطهدي الوطن العربي ويلقي عليهم قصيدة". وإلى ذلك كان يرى أن جماعة (شعر) "يكتبون في المطلق"، فيما هو حاول أن يسحبهم إلى الأرض بكل ما فيها من أرصفة وتشرد وحطام. ثم يؤكد بشيء من النشوة والتنويه بالذات: "علمتهم التسكع في الطرقات وتحت المطر". وعلى دخان سيجارته المتصاعد والكثيف، يستند على كرسيه، ويحدق في الأفق، ويقول: "أنا فتحت ثغرة في جدار أصم".

لقد وجد المجال اللغوي الرحب الذي يمكن خلاله أن يحقق تلك الأحلام، وكان هذا المجال قصيدة النثر: تلك الطفلة التي تمردت على أبيها وأمها وسلالتها، وعلى الشرعية، وأعلنت العصيان المضاد منذ تشكلها الأول على يد مجموعة قليلة ومتناثرة هنا وهناك، وكان من بين هذه القلة: سليمان عواد، ذلك الشاعر الذي كان يقبع في مجاهل السلمية، الذي يعتبره الماغوط معلمه الأول، حيث كان يقرأ له رامبو مترجماً، ويكتب قصيدة النثر، ويعتبر أنه: "شاعر مبدع على مستوى بودلير وفيرلين ورامبو"، فيما كان الماغوط وقتها لم يتجاوز الرابعة عشرة، ويتلمس خطواته الأولى المرتبكة. وفي بيروت في مجلة (شعر)، وجد قرينه الكبير: أنسي الحاج، وتشاركا في إنماء هذا الشكل الشعري الجديد وانتشاره. فإذا كانت قصيدة الحداثة عصياناً، فإن قصيدة النثر عصيان مضاد.

يعتبر الماغوط أن "قصيدة النثر هي أول بادرة حنان وتواضع في مضمار الشعر العربي الذي كان قائماً على القسوة والغطرسة اللفظية، كما أن هذه القصيدة مرنة وتستوعب التجارب المعاصرة بكل غزارتها وتعقيداتها، كما أنها تضع الشاعر وجهاً لوجه أمام التجربة، وتضطره إلى مواجهة الأشياء دون لف وراء البحور؛ ودوران على القوافي". ويعتبر أنها جاءت كضرورة صحية لإلغاء ديكتاتورية الشعر الكلاسيكي، إنها أشبه بعملية بتر لكل الأطراف والزوائد المعيقة لاندفاع التجربة،

www.alkottob.com

كي تتخذ إطارها الواضح والمختلف. وهي تسعى في تجاربها الأصيلة كي تصل إلى الصدارة دون تزكية من رأسماليي الأوزان والقوافي، باعتبارها رؤية جديدة للعالم وسط زحام الاعتبارات الشاحبة وتقاليد الطرب ورقص الكلمات".

ولنا أن نتأكد من نجاحاته ومما يقول، حين نعرف أن عتاة الشعر التقليدي والأوزان، وحين يواصلون هجومهم على قصيدة النثر ويطلقون عليها من الأسماء ما يتوقعون أنه يُخرجها من فضاء الشعر، مثل: نثيرة، نثر شعري،..الخ، فإنهم، جميعاً وبلا استثناء، يستثنون محمد الماغوط، وإذ يريدون أن يتسامحوا حيالها ولو قليلاً، فإنهم يشترطون كتابتها مثل محمد الماغوط، نافين عن الآخرين إمكانية كتابتها، ليس لصعوبتها، ولكن كما يرون، لأنها ليست شعراً. فيما الماغوط، كتبها بوصفها شعراً. وهذا استثناء لا يقاس عليه الآخرون. وثمة من ينكر على أنسي الحاج ذاته شعريته، فقط لأنه يكتب قصيد النثر. لقد انتزع الماغوط اعتراف الجميع حتى خصومه، وذلك لقوة موهبته وإصراره وعناده. باتجاه آخر، فإن معظم شعراء قصيدة النثر خرجوا من غرفة محمد الماغوط ذات الجدران الملايين. وبذلك تم تتويجه كمؤسس لا ينازع لهذه المملكة الشعبية الرحبة والديمقراطية: قصيدة النثر، دون أن ننسى أنسي الحاج. إذ إنها وإن كتبت زمنياً قبله، فإنه جعلها قصيدة متكاملة: لغة خاصة، بل استخدام خاص لهذه اللغة، يبدو أنه مختلف حتى عن استخدامها في شعر التفعيلة، وأنزلها من سماء الحنين الرومانسي والروحانيات والوجوديات إلى أرض الحفاة والعراة والجائعين والمحطمين، عبر تهكم عال حتى من القضايا التي يعتبرها كبيرة، كالوطن:

"آه

لو يتم تبادل الأوطان

كالراقصات في الملاهي"

وذلك عبر علاقات فريدة بين الكلمة والشيء، ليست بعيدة وليست قريبة، ليست مألوفة وليست غريبة، إنها ما يقال عنها نقدياً: مدهشة وصادمة.

"..فأنا قطعاً

ما كنت مربوطاً إلى رحمي بحبل سرة

بل بحبل مشنقة"

وكذلك:

"فليذهب القادة إلى الحروب

والعشاق إلى الغابات

والعلماء إلى المختبرات

أما أنا

فسأبحث عن مسبحة وكرسي عتيق..لأعود كما كنت

حاجباً قديماً على باب الحزن".

وكذلك:

"اهربي أيتها الغيوم

www.alkottob.com

فأرصفة الوطن

لم تعد جديرة حتى بالوحل"

والأمثلة كثيرة جداً على حجم الصدمة التي تخلفها قصائده وهولها. لقد مشى بالاتجاه المعاكس حتى لأصدقائه ورفاقه الكبار الذين ساروا، أيضاً، بالاتجاه المعاكس للشعر العربي، بل، وللثقافة العربية: جماعة (شعر)، وشعراء القصيدة الحديثة الآخرين. فمن المعروف، كمثال، أن النسق الذي أسسه الشعر العربي منذ المرحلة المسماة (جاهلية)، والمتعلق بالفخر والاعتداد بالذات، كما في قول طرفة، مثلاً: "أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه / خشاش كرأس الحية المتوقد" الذي كرسه نهائياً المتنبي: "أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي / وأسمعت كلماتي من به صمم". وعمّقه – وإن باتجاه آخر– أدونيس: "قادر أن أغير، لغم الحضارة: هذا هو اسمي". لم يزل يوالي حضوره القوي في الشعر الحديث، ويمكن اعتبار محمود درويش من أبرز ممثليه، كون مرموزه هو الفدائي القادر على الكثير، في صراعه البطولي مع محتلي أرضه: "أنا هرقل الذي شد البحار إلى قرون اليابسة (..) أنا نبي الأنبياء وخاتم الشعراء". هذا النسق جعله الماغوط مشكوكاً فيه، حين نظر إلى "الأنا" من زاوية هزيمتها:

"ألحق المارة من شارع إلى شارع

أنا بطل.. أين شعبي؟

أنا خائن.. أين مشنقتي؟

أنا حذاء.. أين طريقي؟"

كذلك:

"فهل أنا مشروع بطل

أم مشروع خائن"

بالإضافة إلى نظرته المتبرمة على طول الخط من العالم بكل ما فيه، مطلقاً عليه أقذع الشتائم والأوصاف مما يتجنبه الشعراء – عادة – بحجة أن العالم ليس كتلة واحدة، وإن ثمة فيه ما هو جدير بالحب :

"لقد كرهت العالم دفعة واحدة

هذا النسيج الحشري الفتاك"

يقول أيضاً:

"اليوم الذي يمر، ولا أحقد فيه على شعب، أو حزب، أو طائفة، أو زعيم، أو خطيب، أو صحافي، أو شاعر، أو مذيع، أو سائق، أو راكب، أو شارع، أو نافذة، أو عصفور، أو زهرة، أو سحابة في هذه الأمة، لا أعتبره يوماً من عمري، أو يخصني من قريب أو بعيد"

..

" أحب الحدائق المعلقة وناطحات السحاب

ولكني أحب الزلازل والقصف الجوي أكثر"

..

www.alkottob.com

"أحب الشمس والقمر والنجوم
ولكني أحب الظلام أكثر"

..

"أحب المقاومة ورايات النصر ومعارك التحرير
ولكنني أحب وأرتاح للهزائم أكثر"

إنّ النزعة المضادة في كتابة الماغوط متجلية على الدوام في كل ما كتب، حتى في الأمر الذي يشكل ما يشبه الإجماع لدى العالم على جماله، وإطلاق ما يعتبر كاملاً من الأوصاف عليه، فإن الماغوط يقيم معه علاقة من الجانب الغامض والصاعق، كوصف النهدين، مثلاً. ففي حين أننا لم نقرأ، أو لم نتذكر قولاً قوياً، إلا أوصاف الإعجاب بهما، من حيث دلالتهما المانحة للحياة، إضافة للدلدلة الجمالية، فإن العلاقة التي أنشأها لهما الماغوط شديدة الالتباس والقسوة، يقول:

"نهداها الأزرقان
يتأرجحان تحت المطر كمثانتين فارغتين"

قبل الماغوط، لم يكن من الممكن التصور أن النهدين بقدرتهما الكاملة على بناء العالم أو دحره يمكن أن يكونا "مثانتين" (وإن فارغتين!)؛ كل ذلك عبر / أو في لغة قادرة على البناء والهندسة والتمثل، وأيضاً هذه طاقة إضافية للشعر الماغوطي، على الإيصال. الأمر الذي جعلها نافرة في المشهد الشعري العربي، ومنتشرة فيه كالفضيحة، إنها كالدخان يعشش، ليس في الرئتين فحسب، بل في الثياب والستائر وأثاث البيت أيضاً. مع هذا فإن الكتابة على مثاله أو تقليده رهان خاسر، ويتعين على الشعراء الذين يريدون تجاوزه أن يكونوا منتسبين لنادي المتفوقين المصغر دون أن نشك أبداً بوجودهم؛ إن الحرف الذي استخدمه، بشكل شديد البروز والسعة، لبناء هذه العلاقات اللغوية الفائقة هو (الكاف)، وفق ما يسمى بالبلاغة العربية: "كاف التشبيه". وعلى الرغم من المحاذير الكثيرة في الاعتماد على أدوات التشبيه، ومن ضمنها (الكاف) من حيث أنها تضعف التصوير، لأن التشبيه بـ (الكاف) هو مقابلة بين شيئين، وليس دمجاً لأحدهما في الآخر. إلا أن الماغوط، بعيداً عن هذه المحاذير التي أطلقتها خالدة سعيد، جعل من الكاف لغة كاملة، لا يقوم النص إلا بها، ولا يحدث العالم الذي يريده إلا عبر استخدامها. إذ إن ما يسمى "المشبه" و"المشبه به" لدى هذا الشاعر الخطير سرعان ما يندمجان ويتبادلان الموقع، ويتحولان إلى بنية، كل عنصر وجزء فيها ضروري لعمل الآخر، بل، إن أيّ عنصر أو جزء فيها لا يعمل إلا بالآخر. الأمر الذي جعل استخدام أدوات التشبيه، وبصورة خاصة (الكاف)، في شعر ما بعد الماغوط مشوباً بالحذر وبالدقة. وبهذا يكون قد رفع مستوى اللغة، الأمر الذي شكل خدمة جليلة للغة ولعمالها: الشعراء اللاحقين.

ثمة الكثير مما يمكن قوله في شعره وكتابته عامة، وهذا يلزمه دراسات نقدية كثيرة، ولن يعدم النقاد والدارسون أبواباً متعددة وواسعة تفتحها لهم كتاباته، بما فيها الدراسات النفسية غير المحمودة كثيراً، كمثال، التي يمكن أن تربط بين فقره وجوعه التاريخيين وبين قوله:

"آه كم أود

www.alkottob.com

أن آكل النساء بالملاعق"

والأمثلة لا تحصى على الكثير من الوجهات التي تتخذها الدراسات النقدية.

إلا أن قبول شعر الماغوط في تلك الفترة، لم يتحقق دون زوابع من المعارضة المتشددة. واللافت أن هذه المعارضة تمت من داخل حركة التجديد الشعري ذاتها. كان ثمة تنافس حاد بين مجلة (شعر) التي تبنت قصيدة النثر،إضافة لقصيدة التفعيلة، وفق ما يسمى بـ (الشعر الحر): ذلك المصطلح الذي أطلقته وأشاعته نازك الملائكة، وبين مجلة (الآداب) التي تبنت قصيدة التفعيلة، لكنها وقفت بشدة ضد قصيدة النثر. ففور صدور ديوان (حزن في ضوء القمر) كتبت خالدة سعيد دراسة عنه ونشرتها في (شعر)، فقامت نازك الملائكة بكتابة دراسة عن قصيدة النثر ضمنتها ردا قوياً على دراسة خالدة سعيد ونشرتها في (الآداب)، اعتبرت فيه أن قصيدة النثر (بدعة)، وأن "دعواها ركيكة فارغة من المعنى"، ولا "مصلحة لا للأدب العربي ولا للغة العربية ولا للأمة العربية نفسها" فيها. وحين راحت تعرف مضمون (دعوى) تلك القصيدة قالت: إنه "ما جاء في مقال كتبته السيدة الأديبة خزامى صبري عن كتاب نثر فيه تأملات وخواطر لأديب لبناني ناشئ". أما خزامى صبري فهي خالدة سعيد، حيث أنها كانت توقع بهذا الاسم، وأما الأديب (اللبناني؟) الناشئ فهو محمد الماغوط. فترد (شعر) بدورها على الملائكة مفصلة في الرد أنواع الشعر، وخاصة النوع الذي يكتبه الماغوط. كذلك ترد الملائكة على جبرا إبراهيم جبرا الذي اعتبر أن شعر المستقبل هو الشعر الخالي من الوزن والقافية كليهما، وأن محمد الماغوط وتوفيق صايغ وهو-أي جبرا ذاته- من بين الشعراء العرب الذين يكتبون هذا النوع. إن نازك الملائكة لا تتصور شعراً بلا تفعيلة، لأن هذه هي التي تمنح القصيدة شرعيتها، من حيث إنها تجعلها منتسبة لبحور الشعر العربي الكلاسيكي التي اكتشفها الفراهيدي.

أعلنت سنة ١٩٥٨ جريدة النهار – الصفحة الأدبية فيها الذي كان يشرف عليها أنسي الحاج، عن جائزة قصيدة النثر وقيمتها خمسمئة ليرة لبنانية، وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من: سليم باسيلا وأدونيس ويوسف الخال وشوقي أبي شقرا وأنسي الحاج. وكان من بين المتنافسين على الجائزة: محمد الماغوط وسنية صالح. ففاز الماغوط بها عن قصيدته: "احتضار عام ١٩٥٨" التي لم ينشرها في كتاب إلا في العام ٢٠٠٥ حيث نشرها في كتابه "شرق عدن.. غرب الله"، وكانت هذه الجائزة موازية لجائزة قصيدة التفعيلة وقيمتها ألف ليرة لبنانية، وفاز فيها بدر شاكر السياب عن قصيدته (أنشودة المطر). إلا أن (الآداب) لم تستطع البقاء مكتوفة الأيدي تجاه تلك (الخزعبلات) التي تقوم بها (شعر) و(النهار)، فأسست جائزة مضادة، ومنحتها لديوان (كلمات ريفية) للشاعر صلاح عبد الصبور.

جابر عصفور يعتبر أن منح الجائزة للماغوط اعتراف له مغزاه وتقدير له دلالته، من حيث هو تأكيد لما قامت به كتابته التي كانت أشبه بحصان طروادة، في اقتحامها الأسوار العمودية والدخول من الباب الذي لم تستطع الدخول منه محاولات سابقة ومعاصرة لم تتميز بالزخم الشعري نفسه".

الحقيقة، ومع هذا، فإنه إذا كانت توجد معارك جميلة في التاريخ، فإن هذه المعركة من أجملها. لقد أسفرت عن ولادة الشعر العربي الحديث، الذي أنقذ الشعر العربي منذ ما بعد عصوره الذهبية من موت كاد يكون محققاً.

* * *

إذا كان لبنان جعل الشاعر الكبير يقرر إطلاق النار على حنجرته والكف عن كتابة الأشعار:

www.alkottob.com

"لا أشعار بعد اليوم

إذا صرعوك يا لبنان

وانتهت ليالي الشعر والتسكع

سأطلق الرصاص على حنجرتي"

وإذا كان لبنان هو الذي جعله يعي نفسه كإنسان عربي مهزوم حتى أقصى بقعة في داخله:

"سئمتك أيها الشعر، أيها الجيفة الخالدة

لبنان يحترق

يئن كفرس جريحة عند مدخل لصحراء

وأنا أبحث عن فتاة سمينة

أحتك بها في الحافلة".

فإن دمشق ورغم أنها كما يقول "مدينة تحبها ولا تحبك" وأنه أعطاها صدره أربعين عاماً ولا يجرؤ على إعطائها ظهره ثانية واحدة، رغم ذلك، فإنها سكنته، ولا يعرف أن يبتعد عنها. فكان أن عاد من بيروت إليها.

في دمشق اختار مكاناً لا يجلس فيه الشعراء والمثقفون، ولا الأثرياء ومحدثو النعمة، بل الناس الذين يحكون، على دخان أراكيلهم وصوت النرد على الطاولة، عن همومهم ومشاكلهم العالقة على جلودهم منذ ولادتهم، هذا المكان هو مقهى (أبو شفيق) المتكئ على نهر بردى في الربوة.

كان مقهى (أبو شفيق) الملاذ الأخير الذي يلجأ إليه الماغوط ليقيم علاقته السرية والمشبوهة مع نهر بردى ومع السوريين. كان قدومه إليه واجباً يومياً لا يجرؤ على التقاعس عن ممارسته: الاستيقاظ فجراً، ثم المشي على القدمين لمسافة خمسة كيلو مترات للوصول إليه، إلى طاولته الثابتة التي يجرى بردى تحتها، وإلى صحفه، وأوراقه الكثيرة والباذخة، وقلمه القاطع، ليكتب مسرحيات: (ضيعة تشرين)، (غربة)، (كاسك يا وطن)، و(شقائق النعمان)، وسيناريوهات أفلام: (الحدود)، (التقرير)، (المسافر)، وبعض القصائد؟ تلك المسرحيات والأفلام التي أثرت، ليس بالمزاج السوري فحسب، بل بالوضع العربي عموماً. وقد قام الفنان دريد لحام بتمثيلها جميعاً، الأمر الذي أتاح للشعوب العربية مشاهدتها والتأثر بها. وقد صنعت هذه المسرحيات ما سمي "مسرح محمد الماغوط"، وتلك الأفلام، على قلتها عددياً، ما سمي، أيضاً، سينما محمد الماغوط، وذلك كما صنع شعره، قبل ذلك، ما سمي (شعر محمد الماغوط)، وذلك لتلك الفرادة التي ظهرت بها أعماله جميعها.

ثلاثون عاماً لم تنقطع صلة الأقنومين ببعضهما: الماغوط ومقهاه. فإذا كان (أبو شفيق) قدم للشاعر المكان الآسر الذي يتيح له تعميق العلاقة ببردى، وبالسوريين، وكذلك العزلة والهواء الدمشقي الذي شكل له حصانة ما، وإلى حد ما، من سجائره التي أخذ يتعاطاها كالمنتحر، بعد وفاة زوجته الشاعرة الكبيرة سنية صالح، فإن الماغوط أعطاه المجد والركون في ذاكرة الثقافة العربية كمكان كان يجلس فيه ذات يوم، شاعر قلب مائدة الشعر والكتابة في وجوه الجميع، وغادر. وقد كان هذا المقهى وفياً بشدة، إذ إنه، وبعد أن تم إغلاقه، كان يفتح يومياً لاستقبال صديقه التاريخي: في الساعة السابعة صباحاً، وكل يوم، كان النادل فارس يأتي لهذا الغرض فقط: يفتح الباب ليدخل الماغوط، ثم يغادر، ولا يعود إلا عند

www.alkottob.com

انتهاء الشاعر من مناوبته، من التزامه الفولاذي، من ممارسة طقسه التعبدي مع ورقه وقلمه. إلى أن أصيب الكاتب بمرض نقص التروية في قدمه، فأقسم أنه لن يعود إلى شقيقه: (مقهى أبو شفيق) بعكاز. وبهذا انقطعت الصلة المباشرة بينهما، لكنها بقيت في ثنايا كتابته، وفي الذاكرة، لتساهم في تكريس فكرة المكان، وتحديداً: المكان الثقافي.

ورغم أنه كتب زاوية (تحت القسم) التي كان ينشرها في مجلة (الوسط) اللندنية (١٩٨٩ – ٢٠٠١)، في (مقهى الشام)، والتي أعاد نشرها في كتاب (سياف الزهور)، إلا أن هذا المقهى الفخم ذي النجوم الخمس على جبينه، لم يستطع أن ينافس، ولو منافسة بسيطة، (مقهى أبو شفيق)، الذي لم يكن يتطلع إلى أية نجمة يضعها على جبينه، بل كان يتطلع إلى النجوم في السماء، ويرقبها وهي تسقط نجمة تلو الأخرى في نهر بردى، ليعيد الماغوط منذ صباح اليوم التالي، صياغتها متلألئة أكثر على أوراقه.

حين ذهب إلى باريس، اعتبر أن "كل شيء فيها: السياسة، الدين، الفن، الاقتصاد، يبدو حراً ومرناً كراقص الباليه، ومتماسكاً كحلقات السلاسل حول أقدام الأسرى لكن رغم كل ذلك –يقول– لم أستطع أن أكتب فيها حتى لو رسالة. وأحسست أن (مقهى أبو شفيق) أهم من كل مقاهي الشانزيليزيه ومقتنيات متحف اللوفر".

* * *

من المقاهي والتسكع إلى العزلة المديدة في المنزل، كتب محمد الماغوط تاريخه الشخصي وتاريخ الذين تتجمع الآهات في حلوقهم، لتترسب على شكل غصات تجعل الدمع ينفطر في عيونهم وهم صامتون، تاريخ الذين يمارسون كل لحظة أقسى حالات البكاء في زمن كانت الأنظمة ومثقفون كثيرون يشيعون أن الأيام القادمة أيام عز وبطولة. لقد فتح الماغوط ملفات الفضيحة، وأرّخ للهزائم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. والروحية والنفسية وتنبأ بهزائم لاحقة، وقعت فعلاً. لقد نجح الماغوط في تحقيق مشروعه الكتابي على نحو فذ، وخسر العربي مستقبله على نحو فذ أيضاً.

* * *

الآن في نهايات العام ٢٠٠٥ يعيش الشاعر في منزله بدمشق –حي المزرعة – شارع أسامة بن زيد وحيداً، مريضاً، منعزلاً: "الأريكة التي يتمدد عليها في صالة منزله لا يغادرها إلا إلى المطبخ لإعداد كأس أو لإحضار طعام بسيط، وعلى الطاولة التي أمامه عشرات الأنواع من الأدوية، أرقام هواتف، زجاجات كحول، كتب، دفتر ملاحظات، منفضة سجائر، ولاعات، وسكاكر. وعلى يمينه جهاز الهاتف وآلة تسجيل لا تسمع منها سوى صوتِ فيروز، على الجدار المقابل لوحة لفاتح المدرس بعنوان: (العصفور الأحدب)، وأخرى لنذير نبعة، شلبية إبراهيم، والياس زيات، صور فوتوغرافية، صورة لسنية صالح..والنافذة، رغم سحب الدخان، مغلقة". ثمة من يزوره ليساعده في أمر، وثمة من يفعل لمجرد التفاخر أمام الأصدقاء والعائلة. ولكن على هذا وذاك أن يتحمل مزاجه الحاد والمتقلب وشديد التطرف أيضاً، فما يُضحك الآخرين قد يزعجه، وما يزعجهم قد يُفرحه..وهكذا.

فإذا كان للمبدعين فوق العادة حقوق ليست لسواهم، حقوق انتزعوها انتزاعاً، فإن من حق الماغوط كلّ شيء: ألم يغير مفهوم الشعر والمسرح والفيلم السينمائي والمقالة، بل ومفهوم الكتابة برمتها؟ كل هذا، ودون مكتب فاخر أو مكتبة ستشهدها الأجيال: فقد يكتب على وصفة دواء، أو علبة محارم. إذا أتته فكرة يكتبها على أقرب ورقة، وأحياناً يتركها على ظهر البراد، أو في غرفة النوم، ثم يقوم بجمع الأوراق المتناثرة ويجلس ليكتب. غالباً ما تضيع أوراقه وينسى أين

www.alkottob.com

وضعها. يكتب حتى في الشارع، ودون التقيد بمواعيد. إذ يعتقد أن ثمة خللاً ما في المبدع الذي يتقيد بمواعيد ثابتة. لا يحب الكتابة وراء مكتب أنيق، ولا القراءة في مكان مريح. شرطه الوحيد: الضجة أو الإزعاج.

وعلى موسيقى الضجة والإزعاج هذه، انتسب الماغوط إلى عمالقة الشعر العربي بإجلال بالغ.

* * *

www.alkottob.com

آخر حديثٍ

لا أنتمي إلى طائفة بل إلى أرض الله..أحب بيروت أكثر من دمشق ولا أدري لماذا

عبده وازن

الحوار الأخير الذي أجرته "الحياة" مع الشاعر محمد الماغوط الذي رحل من غير أن تتسنى له قراءته، يحمل ما يشبه وصايا أخيرة وأقوالاً وأفكاراً أدلى بها في شكل تلقائي على طريقته التي تجمع بين السخرية والحس المأساوي .

هنا الجزء الثاني والأخير من الحوار الذي تفرّدت به" الحياة "وكانت أجرته معه قبل ثلاثة أسابيع في دبي لدى تسلمه جائزة لعويس .

في هذا الجزء يستعيد الماغوط ذكرياته الأليمة والجميلة متحدثاً عن الشعر والسياسة والمقهى والشارع..

- **هل تعتبر أنك صنعت نفسك بنفسك؟**
  - أجل، صنعت نفسي بنفسي ولم أكن في حاجة إلى أحد .
- **لماذا لم تحاول أن تتعلم لغة أجنبية؟**
  - لم يهمني هذا الأمر. لم أتعلّم أي لغة أجنبية ولم أحاول طول حياتي. لا جَلَد لي على اللغة الأجنبية.إنني أحب الكسل والفوضى .
- **أدونيس عاش ظروفك نفسها لكنه درس وتعلّم !**
  - أدونيس شاعر مجتهد .
- **لكن قيمتك الشعرية تكمن في أنها آتية من صلب الحياة نفسها !**
  - ربما. أنا شاعر طالع من الحياة والتجربة وليس من الثقافة والكتب .
- **هل قرأت كثيراً في حياتك؟**
  - لم أكن أقرأ كثيراً .
- **هل هناك كتب أثّرت فيك مباشرة؟**
  - لا أذكر كتاباً بعينه.كافكا قرأته بالعربية.وكذلك رامبو. رامبو وفيرلين أحببتهما كثيراً. وهناك بودلير. لكنني قرأت لهم مختارات وليس دواوين بكاملها .
- **وشعراء النهضة العربية؟**
  - هؤلاء لم أقرأهم كثيراً .اكتفيت بما درّسونا من قصائدهم في مدرسة القرية .
- **والشعر العربي القديم؟**

www.alkottob.com

- قرأت بعضه. حتى المتنبي لم أقرأ ديوانه كاملاً. قصائد فقط. وكذلك العصر العباسي لم أقرأه كله. أحبّ أبا النواس.جبران قرأته كاملاً .وأحببت طه حسين .

- **كيف تعلّمت أصول اللغة العربية؟**

- في القرآن. تعلمت في القرآن اللغة العربية. وقوّة اللغة لدي آتية منه. لدي إحساس عميق باللغة. وكنت درست القواعد على شيخ المدرسة أيام المراهقة .

- **سعيد عقل منحك جائزته في السبعينيات!**

- أجل، حصلت على جائزته وكانت قيمتها حينذاك ألف ليرة. وصرفتها بسرعة .

- **لماذا اختارك سعيد عقل، هو الشاعر الذي يرفض قصيدة النثر؟**

- قال عني سعيد إنني الشعر شخصاً. وقال إنه أعطاني جائزته مع أنني لست لبنانياً، لأنني "مرسحي كبير".

- **هل تحب شعره؟**

- أحب سعيد عقل كثيراً مع أنه نقيضي. يكفي أن يقول: "مشوار جينا ع الدني مشوار" .

- **لك ذكريات مع الأخوين رحباني أيام بيروت !**

- كتبت ثلاثة أرباع "المحطة" باللغة العامية ولم يهمني أن يضعوا اسمي. ومسرحيتي "المهرج" استوحوا منها مسرحية "ناس من ورق" وأعطوني ألف ليرة. المصاري كانت لها قيمة في تلك الأيام .

- **هل كنت تشارك في لقاءات مجلة "شعر" أو ما يُسمى "خميس" المجلة؟**

- أجل، كنت أشارك. لكنني كنت أضجر فأنسحب. لم تكن تهمني النظريات ولا الآراء النقدية. وفي بيت يوسف الخال كنت أنسحب إلى البراد وآكل، فيما النقاش حامٍ. إنني أكره الحركات الجماعية وأحب الوحدة .

- **يقال دوماً إنك شاركت في ثورة مجلة "شعر" من خلال القصائد الجديدة التي كتبتها !**

- من الممكن أنني شاركت في ثورة "شعر" ولكن لا أعرف كيف. وكنت أقرأ هذه المجلة وأشارك فيها .

- **كنت على صداقة حينذاك مع أدونيس؟**

- أجل، على رغم اختلافنا شعرياً. كل واحد لديه اجتهاداته الخاصة وإنجازاته الخاصة. أدونيس شخص كريم. وعلى رغم كل ما حصل بيننا أظل أحبه. أما شعره فلا أحب منه سوى "أوراق في الريح" و"أغاني مهيار الدمشقي" .

- **ومن أحببت من شعراء مجلة "شعر"؟**

- أنسي الحاج صديقي الدائم. أحب لديه رغبته في التخريب. وهذه موهبة. شوقي أبي شقرا أحبه كثيراً، أحب جوّه الطفولي ولغته الجديدة فعلاً. ومرة أحييت أنا وشوقي أمسية شعرية مشتركة في الجامعة الأميركية حضرها

www.alkottob.com

بدر شاكر السياب. كان شوقي يكتب حينذاك قصيدة التفعيلة، لكن صوته كان خفيضاً فيما كان صوتي ملعلعاً. وكان كلما وصل شوقي إلى القافية يمر القطار ويطغى صفيره عليها. وعندما انتهت الأمسية قال له السياب: "بطحك" الماغوط، فردّ شوقي: إنه القطار .

- **ونزار قباني؟**

○ أحبّه كثيراً في غزلياته. أما شعره السياسي فلا. أحب أيضاً بدوي الجبل. أحببته في مطلع حياتي وكذلك نديم محمد. ولكن كما قلت لك لم تكن قراءاتي كثيرة .

- **لماذا لم تحاول أن تكتب قصيدة موزونة ومقفاة في مقتبل حياتك كما فعل شعراء كثيرون من المدرسة الحديثة؟**

○ لم أحاول أن أكتب قصيدة عمودية ولا موزونة. أنا غير مقتنع بالقصيدة العمودية. إنني شخص لجوج وتلقائي وسريع. وهمومي لم تكن تسمح لي بالبحث عن القافية. كنت هارباً وجائعاً ومتشرداً أبحث عن مخبأ أو ملجأ يؤويني. ولم يكن لدي وقت للقافية. (يشتم القافية) .

- **قصيدة النثر كانت قادرة أكثر على احتواء مأساتك؟**

○ أجل. وأنا اخترتها بالصدفة. وأحببتها حباً من أول نظرة وأول كرباج (يضحك). إنها طريقة في التعبير الشعري، طريقة بديعة .

- **أصبحت خلال ديوانك الأول "حزن في ضوء القمر" أحد رواد هذه القصيدة ولكن من دون أن تدرك بعدها النظري !**

○ لم أعرف كيف أنظّر لقصيدة النثر. أنا كتبتها وأكتبها ولا يهمني البعد النظري. هناك من نظّر لقصيدة النثر من دون أن يكتبها .

- **أنسي الحاج كان رفيقك في كتابة قصيدة النثر، لكن بينكما اختلافاً كبيراً. فأنسي جاءها من الحياة والثقافة في آن واحد. فما رأيك؟**

○ لا أحب أن أتكلم عن قصيدة النثر لدى أنسي. أحب شعره فقط .

- **ألم يساورك أي شك في القصيدة الجديدة التي تكتبها؟**

○ لا. إنني أحترم أي قصيدة ولو كانت فاشلة. ولا أهزأ من أي قصيدة. أما خطب الرؤساء العرب فلا أحترمها ولو كانت صادقة وجدية. المرحلة كلها التي نعيشها الآن غير جدية .

- **والحداثة كيف فهمتها؟**

○ كتبتها ولم أنظّر لها. وإذا قيل لي إنني شاعر حديث، فهذا لا يعني لي شيئاً. ما يهمني هو الشعر .

- **وإذا قيل عنك أنك لست حديثاً؟**

○ لا يهمني. أنا شاعر حديث ولست تقليدياً. وأصلاً أنا لا أرد على الذين ينتقدونني. لم أحسد أحداً في حياتي. حتى عندما كنت في السجن لم أحسد أحداً. وأعتقد أن الذين يهاجمونني هم قلائل. وأتذكر ما قاله عني

www.alkottob.com

جوزف حرب: محمد الماغوط مثل فيروز لا أحد يختلف عليه. أحياناً أحزن من مقالات فيها تجنّ شخصي عليّ . هذا ما يحزنني فقط. التجني الشخصي أمر مقيت .

- **أثرك الشعري بارز بوضوح في نتاج الكثر من الشعراء الجدد .**
  - هذا يفرحني. أمر جميل أن أجد أثر قصائدي لدى الشعراء الشباب. إنني أعطيت أكثر مما أخذت .
- **كان هناك صراع في الستينيات بين مجلة "شعر" ومجلة "الآداب". لماذا انحزت إلى "شعر" ولم تنشر في "الآداب"؟**
  - حاولت "الآداب" أن تساومني وطلبت مني أن أكتب قصيدة عن جمال عبد الناصر. وقال لي سهيل إدريس إنه ينشرها في الصفحة الأولى. رفضت طبعاً. أنا أرفض المساومة في الشعر. عبدالناصر أحببته بعد رحيله. عندما كان حياً كتبت مقالات ضده في جريدة "الصدى العام" في دمشق .
- **وماذا عن الوحدة المصرية – السورية حينذاك؟**
  - كانت هلاكاً لنا. وكنت ضدها .
- **تكتب الكثير من المقالات لكنك لم تكتب مرة مقالة نقدية أدبية !**
  - لا أذكر إن كنت كتبت عن كتاب أعجبني .لكنني لم أكتب بتاتاً نقداً أدبياً. النقد هذا ليس مهنتي. وهو في رأيي تخريب. يقال إن المبدع عندما يفشل يتحول إلى النقد. هذا أمر لا يهمني .
- **لكنك عملت في الصحافة الأدبية في جريدة "الخليج" الإماراتية .**
  - أجل كان ذلك خلال العامين ١٩٨١ و١٩٨٢ .
- **هل تتذكر ماذا فعلت في هذه الصحافة؟**
  - حاولت أن أخلق في الصحافة الثقافية شيئاً جديداً. وأعتقد أنني نجحت في هذه التجربة القصيرة ولم أواصل العمل الصحافي لأنني مللت سريعاً. وأذكر أنني كنت محاطاً بشعراء شباً في الإمارات ومنهم أحمد راشد ثاني .
- **أنت الآن في الثانية والسبعين، هل فكرت في الموت يوماً؟ هل تخافه؟**
  - إحساسي بالحياة قوي، وذاكرتي قوية. لا أفكر في الموت بتاتاً. أعتبر الموت مثل الصديق، ألعب معه لعبة "الطاولة" .
- **هل تفكر بما وراء الموت مثل بعض الشعراء؟**
  - لا أعرف ماذا هناك بعد الموت .
- **هل أنت مؤمن؟**
  - أجل، أنا مؤمن جداً. لكنني لا أصلي. لا أحب الشعائر. يكفي أنني أكتب .
- **هل تشعر بأنك تنتمي إلى طائفة معينة؟**
  - لا، لا أحس أنني أنتمي إلى طائفة. إنني أنتمي إلى أرض الله .

www.alkottob.com

- **هل تعتبر أن جسدك خانك؟ ماذا تقول عن خيانته لك؟**

○ دائماً كنت أعامل جسدي كعدو والجسد ينتقم من ثم. الجسد حقود كالبدوي ولا ينسى. تخونك يدك يوماً ثم رجلك ثم جسدك كله .

- **والرغبة هل تخونك؟**

○ الرغبة تبقى في الروح .

- **ماذا يعني لك الكرسي المتحرك الذي تتنقل به؟**

○ أحب الكرسي المتحرك. إنه الآن صديقي. الكرسي المتحرك: هل هناك أجمل من هذه الصفة؟

- **هل تشعر بالخجل إذا شاهدك أصدقاؤك على الكرسي هذا؟**

○ بتاتاً. لا أشعر بأي نقص ولا بأي خجل. أصبح الكرسي صديقي. مثل العصا التي أتوكأ عليها. وأنا لم أخجل من شيء في حياتي ولم أندم على شيء. أنا أقول الأشياء التي يخجل الآخرون أن يقولوها .

- **في العام ١٩٤٨ جئت إلى دمشق آتياً من قريتك السلمية. كيف تستعيد صورة هذا الفتى الذي كنته؟**

○ لا أستطيع أن أتذكر بوضوح ذلك الفتى الذي كنته. تعيساً كنت وفقيراً ومتشرداً. كنت هارباً دائماً، وهذا الهروب عشته فترة .

- **هل عشت صدمة المدينة بعدما نزلت إليها من الريف؟**

○ لم تصدمني المدينة في المعنى السلبي عند انتقالي إليها. لا شيء يصدمني في العالم. أمي كانت مقهورة ولم يغلبها شيء. لكنني عشت حياة فيها الكثير من الفقر والقلق وعدم الأمان .

- **يحتل المقهى جزءاً مهماً من حياتك ونصوصك وذاكرتك، ماذا يعني لك المقهى؟**

○ المقهى وطني غير المحتل .

- **أي مقهى كان المفضل لديك؟**

○ أحببت مقهى أبو شفيق في دمشق كثيراً .

- **وبقية المقاهي التي كنت تجلس فيها مثل مقهى "الشام" الذي كنا نراك فيه؟**

○ المقاهي تختلف بعضها عن بعض. ولكل مقهى جوه ووقته .

- **هل أنت شاعر مقهى؟**

○ منذ شبابي أجلس في المقاهي .أحياناً كنت أكتب فيها. أحياناً أقرأ. أحياناً أضرب مواعيد غرام. أحياناً أجلس من دون أن أفعل شيئاً آخر. إنني أحب فكرة المقهى .

- **والشارع، ما قصة علاقتك به؟**

○ الشارع وطن أيضاً. الشارع سرير. حضن أم. عبّ جد. أحب الشارع أكثر من البيت. هذا الأمر كان أيام الشباب والصحة الآن أحب بيتي. البيت أصبح هو الوطن. لم يبق لي من العالم سوى هذا البيت .

- **لكنك تعيش في البيت حالاً من العزلة! هل تتحمل مثل هذه العزلة؟**

www.alkottob.com

- أستطيع أن أعيش عشر سنين وحيداً، لا أكلم أحداً. إنني كائن يؤثر العزلة. بدءاً من الغروب أشعر بالكآبة وترافقني في المساء .

- **أنت شاعر حزين! هل حاولت أن تكشف سر هذا الحزن لديك؟**

- لا. لم أحاول. إذا بحثت عن جذور هذا الحزن فإنني أخرّبه .

- **أي وقت هو الأنسب لديك للكتابة؟ الصباح؟ الليل؟**

- لا وقت أستطيع أن أقول عنه إنه الأنسب للكتابة. أكتب عندما أكون في حاجة إلى أن أكتب. أحياناً تخطر في بالي فكرة أو لمعة وأنا على الطريق، فأسجلها على الدفتر .

- **ما الذي يحفزك على الكتابة؟**

- حوافزي على الكتابة كثيرة. الظلم والقهر هما من أقوى هذه الحوافز.الحب. الألم. الحزن.. طوال حرب حزيران لم تسقط دمعة من عيني. أغنية لفيروز أو نجاة أو عبد الحليم حافظ تبكيني .

- **والنشيد الوطني؟**

- لا يعني لي شيئاً ولا يهمني. عمري لم أسمع هذا النشيد إلى آخره. هنا تكمن أهمية الكرسيّ المتحرّك. هم يقفون عند النشيد الوطني وأنا أجلس .

- **عندما تنظر إلى الشارع من نافذتك، هل تحنّ إليه؟**

- كثيراً، لكنني لم أعد أخرج إليه. لم أعد قادراً على الخروج .

- **مدينتان تحضران في شعرك وحياتك: دمشق وبيروت؟ ماذا عن علاقتك بهما؟**

- أحبّ هاتين المدينتين. هما الوحيدتان في حياتي. أحبّ بيروت أكثر من دمشق ولا أدري لماذا. دمشق طردتني وبيروت استقبلتني، فتحت لي أبوابها كإنسان وشاعر. فتحت لي منابرها ومطابعها ومجلاتها. أثرت بيروت فيّ كثيراً كشاعر. بيروت كانت لي بمثابة الأم. كنت أحبّ مقاهيها وأرصفتها، وكذلك شارع الحمراء الذي كنت أمشي فيه. بيروت تعيش في قلبي. وما أقسى الذين شبّهوها بالعاهرة. هؤلاء لم يعرفوها. دمشق هي مدينة الذكريات أيام جئت فتى. أحب شوارعها وحاراتها. واليوم أشعر بالغربة فيها. إنها تنام بين أوراقي .

- **ماذا يعني لك الفرح الذي قلت إنه ليس مهنتك؟**

- لحظة الفرح لا تجعلني أكتب. ولكن في أحيان يكون الفرح جميلاً ولو عابراً .

- **هل ما زلت تصرّ على أنك "حاجب على بوابة الحزن"؟**

- أجل. هذه القصيدة أليمة حقاً .

- **ماذا يعني لك الالتزام شعرياً؟**

- أنا شاعر مقاومة ولكن ليس على طريقة الشعراء المنبريين الذين يصيحون ويصرخون. الشعر مقاومة. والمقاوم يدخل في أي زاروب أو أي حارة ويخاطب الناس. وما لا أحققه من طريق الشعر أحققه من خلال المسرح أو المقالة أو السيناريو. إنني أحبّ القارئ ولا أتاجر به. أحب دائماً أن أعطي لا أن آخذ .

- **هل وجدت نفسك في المسرح مثلما وجدتها في الشعر؟**

www.alkottob.com

- أنا نفسي في الشعر والمسرح. وحتى في المقالة. ليس من اختلاف بين الشعر والمسرح ما دمت أعبّر عن همومي وأفكاري ومشاعري. أنا أكتب ولا همّ أن يكون ما أكتبه شعراً أو مسرحاً .

- **هل شعرت يوماً بأنّك عاجز عن الكتابة؟**

- لا مشكلة لدي مع الكتابة أو مع الورقة البيضاء. إذا لم يكن لديّ قدرة على الكتابة لا أقترب من الورقة. الكتابة تأتي وحدها، هكذا بلا مقدّمات .

- **والقصيدة كيف تكتبها؟**

- أكتبها دفعة واحدة، ثم اشتغل عليها. اختصرها، أضبطها، أضيف إليها. أحياناً تكون القصيدة صفحة فتصبح سطرين. وأحياناً تكون سطرين فتصبح قصيدة طويلة .

- **هل شعرت يوماً بالملل من الكتابة؟**

- لم أملّ من الكتابة في أي يوم. إنها حياتي. وسأظل أكتب حتى آخر لحظة .

- **هل تشعر أحياناً بأنّك تكرّر نفسك بين القصيدة والمقالة؟**

- أنا لا أكرّر نفسي، ولكن لديّ ثوابت: الحرية، الخبز، الحبّ..

- **هل ترمي نصوصاً لك لا تراها موفّقة؟**

- لا أرمي أيّ نص. هناك، في أي نص شيء ما .

- **هل تتابع ما يحصل في العالم .**

- أجل أتابع ما يحصل من بعيد. نشرة الأخبار لا أكمل مشاهدتها إلى النهاية. الخطب السياسية لا أتحمّلها. حتى مقالات المديح التي تكتب عنّي لا أقرأها كلّها .

- **ما السبب؟**

- ربما لأنني إنسان ملول .

- **والبرامج التلفزيونية؟**

- قليلاً ما أشاهد التلفزيون. والمسلسلات لا أتابعها. حتى الدراما السورية لا أتابعها .

- **أنت تحب الموسيقى؟**

- كثيراً. عشت ثلاثين سنة و "الوكمان" على أذنيّ. أسمع الموسيقى ساعتين وثلاثاً يومياً. أحبّ بيتهوفن وشوبان وفاغنر وخاشادوريان والرحبانيين.. وكنت أحب الربابة .وأسمع القرآن مجوّداً .

- **الرقابة هل ما زلت تواجهها؟**

- واجهتها كثيراً،حتى أصبح الرقيب في داخلي.لكنّ الرئيس حافظ الأسد قال لي مرة اكتب ما تشاء ولن يراقبك أحد .

- **هل تأثرت لما يحصل في العراق؟**

www.alkottob.com

- كثيراً .

- **وفي لبنان؟**

- تألمت كثيراً للاغتيالات التي حصلت في لبنان. هذا أمر يصعب تصوّره .

- **كيف تبدأ نهارك؟**

- لا أعرف متى أصحو ولا متى أنام. نومي أصبح قليلاً. أغفو ثم أصحو ثم أغفو، حتى ليختلط عليّ النهار والليل .

- **والوقت كيف يمضي؟**

- أدعه يمضي وحده.

* * *

www.alkottob.com

الماغوط والصوبيا

غسان الشامي

" في تمام الساعة السادسة من القرن العشرين حيث لا شيء يفصل جثث الموتى عن أحذية المارة سوى الإسفلت.. "
هذا وصف ماغوطي أصلي لعالم عاشه ونعايشه يستحق شاهدة باسقة في ساحة عربية كبيرة، لا خبراً في جريدة .

كنت أتابع أخبار هذا الكون بقتلاه وجرحاه وبوشه ورايساه عندما أنبأنا خبر مراسلتنا في دمشق أن الماغوط سيعود إلى صقيع باديته.. يا ألله كم من الجثث نرسل في وكالات الأنباء يومياً إلى المقابر العارية إلاّ من وحشة الموت والطغيان..، لكن موت الشاعر وحده يحيل العالم إلى.. جثة.

لأعترف ومن دون خجل أنني ما أحببت الماغوط كثيراً،لأنني لمحت في مرسم سعيد مخلوف ذات خريف دمشقي ألماً في عيني سنية صالح، وعندما تتألم شاعرة منمّشة كرغيف نساء أسطوريات مثل سنيّة لا يمكنك أن تكنَّ ودّاً للذكر الذي تزوجته حتى لو كان من جنس الملائكة أو آلهة الإغريق أنفسهم.. لكن هذا لا يعني أنني لم أقتت على خبز الماغوط وخمره الشعري منذ حزن في ضوء القمر وحتى آخر حرف، أو لم أنزع مسحوراً إلى سخرية مقالاته ومساميرها وكأنها قصائد من نوع آخر.

ذات مرّة كتبت منتقداً الماغوط لأنه قال إن انتماءه للحزب السوري القومي كان من أجل (صوبيا) في مكتب الحزب في بلدته الهائلة التنوع، الجارة الحقيقية للأندرين، سلمية، ونشرت مع المقال نصّ قسم الانتماء لهذا الحزب، وهو قسمٌ صعب ويحمّل المرء أخلاقياً وإجرائياً تبعات واسعة، مستغرباً كيف يمكن أن تقسم به من أجل صوبيا.. وفيما بعد تحسستُ حجم البرْدِ الدهري الذي كان يسري في جسد الماغوط فعذرته وكرهت..الصوبيا.

لا شك أن الماغوط مجموعة من النقائض فهو لا معارض ولا موالٍ، شاعر وصامت، ريفيّ أذهلته أضواء المدينة وطحنته سجونها، وذات مرّة أخبرنا الياس مقدسي الياس الذي جاء بيروت من الجزيرة السورية هرباً، وكان ضخم الجثة أكولاً وفكهاً، أنه نكاية بخميس شعر الشهير، حيث يلتقي جماعة المجلة ليقرؤوا ويناقشوا استحدث (اثنين شوربة) واكترى خلقيناً كبيراً وكان ينزل إلى السوق لشراء أجنحة الدجاج ليصنع منها شوربة، يفضلها الماغوط على خميس الشعراء وربما بقية أيام أسبوعهم.

هذا هو الماغوط، كما هو، لم يتجمّل شعرياً أو يتزيّن، لم يتفرنج أو يتعصرن أو يتفلسف،لكنه كان من السمّيعة النادرين، ما كان حزبياً أو منتمياً إلى عقائد بل منكسراً يكره الألوان القاتمة ومهجوساً بالصورة، وربما لذلك كان ربيب قهوة أبو شفيق في الربوة يكتب قرب الماء والخضرة نكاية بالمشهد الصحراوي برمته.

سيأتي زمان تجتاح فيه الحرائق التي أشعلها الماغوط صقيع هذا العالم الجليدي الروح، حيث لن يحتاج بعدها إلى صوبيا لتدفئة عظامه الصغيرة..

www.alkottob.com

لماذا أحترم محمد الماغوط؟

هاشم صالح

قد أكون آخر من يحق له التحدث عن محمد الماغوط. ومع ذلك فسوف أكتب عنه مقالة كاملة! فأنا لا أعرفه شخصياً (ولكن هذه قد تكون ميزة)، وثانيا أنا غير مطلع على معظم نتاجه ما عدا بعض القصائد الرائعة، الطرية، الفوضوية، العدمية..

تعجبني أولاً فيه عدميته، التي تصل أحياناً إلى حد الفوضى الجنونية والتي بدونها لا يمكن أن يكون هناك أي شعر. عندما تموت العدمية الخلاقة في أعماق الشاعر يموت الشعر. فالشاعر يتحول عندئذ إلى رجل موظف (في بنك مثلا)، رجل حسابات صغيرة أو تكتيكات انتهازية، وعلاقات عامة تقضي على كل شيء اسمه شعر أو فكر. الشعر لا يزدهر إلا في جو العدم، والفراغ، والمحال.. الشعر كتابة مجانية: أي لا نفعية باجرة. في الشعر من يخسر يربح كما يقول جان بول سارتر. والشاعر الحقيقي هو ذلك الذي اختار أن يخسر حتى الموت كي يربح! انظر بودلير، رامبو، فيرلين.. ماذا ربحوا من حياتهم إلا المرارات والخذلان؟..

هنا يكمن مقتل كبار الشعراء العرب أو الذين كانوا كباراً يوما ما.. لقد استسلموا للسهولة والإغراءات وأضواء الشهرة بدلا من أن يشتبهوا بها ويعتبروها عدوهم الأول. ويخيل إليّ أن محمد الماغوط لم يكن يركض وراء الجوائز والتشريفات، وإنما هي التي ركضت وراءه. ولم يكن يبحث عن العالمية لأنه كان يعرف ثمنها المدفوع سلفا عدا ونقدا. إذ ما معنى أن تربح العالم كله وتخسر نفسك؟!

وبالمناسبة فإن جائزة نوبل العربية للآداب (أي سلطان العويس) تأخرت قليلاً أو حتى كثيراً بالنسبة له. كان ينبغي أن تعطى له منذ سنوات طويلة فهو يستحقها أكثر من بعضهم بكثير.. ولكن لا بأس بها حتى لو جاءت متأخرة وسبقت الموت بأسابيع قليلة. فربما أدخلت بعض الفرحة إلى قلبه قبل أن يرحل، هو الذي كان مولعاً بالتسكع والرحيل..

وأنا أتسكع تحت نور المصابيح
أنتقل كالعواهر من شارع إلى شارع
أشتهي جريمة واسعة
وسفينة بيضاء تقلني بين نهديها المالحين
إلى بلاد بعيدة،
حيث في كل خطوة حانة وشجرة خضراء،
وفتاة خلاسية،
تسهر وحيدة مع نهدها العطشان

www.alkottob.com

بمثل هذه المقاطع وسواها، استطاع محمد الماغوط أن يخلع على قصيدة النثر مشروعية كاملة في الساحة الثقافية العربية. وهذا إنجاز ضخم لا يستهان به. لقد قدم للغتنا العربية إمكانية التحول إلى لغة عادية، يومية، مفعمة بنبض الواقع، ودون أن تفقد شحنتها الشعرية. لقد خلق شعراً جديداً، أو قل أسس حداثة داخل الحداثة عندما انتقل بالشعر العربي من قصيدة التفعيلة إلى قصيدة النثر الكامل. وهكذا خطا بالشعر العربي خطوة إضافية بالقياس إلى شعراء الحداثة الأوائل الذين ظلوا مسجونين داخل إطار القصيدة الإيقاعية.

لكن تجديد الماغوط لم يكن فقط شكلياً وإنما كان مضمونياً أيضاً، وقد أصاب الفكر العربي في العمق. فموقف التمرد العدمي أو الفوضوي الذي اتخذه كان خصباً جداً ومنتجاً إلى أبعد الحدود. والواقع هو انه الموقف الوحيد الممكن في حصار الشعر والوجود. فماذا يمكن أن تفعل تجاه واقع مسدود من كل النواحي إنه مسدود سياسيًا، ومسدود تراثياً، ومسدود أخلاقياً، وجنسياً، وكل شيء.. من هنا تنتج الشحنة التحريرية الهائلة لشعر الماغوط وأدونيس في مراحله الأولى وبقية شعراء الحداثة العربية. لقد فتحوا ثغرة في جدار التاريخ المسدود كما تقول سنية صالح في عبارة رائعة: "مأساة محمد الماغوط أنه ولد في غرفة مسدلة الستائر اسمها الشرق الأوسط!" ومنذ مجموعته الأولى "حزن في ضوء القمر" وهو يحاول إيجاد بعض الكوى أو توسيع ما بين قضبان النوافذ ليرى العالم ويتنسم بعض الحرية".

من يستطيع أن يقول أفضل من هذا الكلام الآن؟ هذا الكلام أقوى من كل شعر لأنه يجمع، في ضربة واحدة، بين الشكل والمضمون، بين الشعر والفكر.

لحسن الحظ فإن محمد الماغوط لم يتزوج بعد موت سنية صالح الفاجع. وربما لهذا السبب احترمه أكثر من أي شيء آخر. وقد يعتبر هذا الكلام تدخلاً في الحياة الشخصية للناس. ولكنه ليس شخصياً إلى الحد الذي يتصورونه. إنه يخص قضية عامة شديدة الخطورة ولا أستطيع أن أتوقف عندها في هذه العجالة. كل ما أستطيع قوله هو أن وفاء محمد الماغوط لزوجته الأولى، والوحيدة، يستحق الإكبار والإعجاب حقاً. وهو وفاء ظاهر حتى في آخر مقابلاته. إنه يقدمها على نفسه حتى شعرياً. ولا يمل من تكرار مآثرها والحديث عنها. ألا يكفي ذلك للإعجاب به؟ نقول ذلك وبخاصة أننا نحن العرب نأنف من التعبير عن حزننا على المرأة. وربما اعتبرنا ذلك عيباً أو انتقاصاً من قيم الفحولة والرجولة.. وبالمناسبة أوجه التحية إلى المفكر اللبناني الصديق علي حرب الذي فقد زوجته مؤخراً ورثاها بنص جميل ومؤثر في "السفير".

فهل نشهد تحولاً في القيم العربية يا ترى؟ هل سننتقل من عصر المسكين جرير الذي كان يخشى إظهار الحزن على زوجته إلى عصر آخر؟

لولا الحياء لهاجني استعبار

ولزرت قبرك والحبيب يزار..

لماذا أشكر محمد الماغوط على موقفه هذا؟ ليس فقط من أجل الوفاء والإخلاص للحب الأول، وإنما لأنه جنب ابنتيه جحيم العيش في ظل امرأة أخرى وتحت نفس السقف!. وهذا موقف إنساني رائع لا يمكن أن يصدر إلا عن رجل حديث، حضاري، عرف معنى العذاب:

فأنا أسهر كثيرا يا أبي

أنا لا أنام

www.alkottob.com

حياتي، سواد وعبودية وانتظار
فأعطني طفولتي
وضحكاتي القديمة على شجرة الكرز
وصندلي المعلق في عريشة العنب..

* * *

www.alkottob.com

كسر التفاؤل الرومانسي بيأس كاسر

قاسم حداد

-١-

في ذروة مكتشفات شعراء مجلة (شعر) لمقترحات الحداثة الشعرية الأوروبية، وفي غمرة انهماك شعراء العربية المحدثين في مشروعهم التموزي المتألق في تفاؤله، وبمعزل عن ورشة الشعر العربي المفعم بمكتسبات هواء العالم الثقافي (فكراً ورؤية ومبتكرات)، طلع علينا محمد الماغوط، من الركن القصي للمشهد، مجترحاً حزنه ولمسته الجارحة للعتمة المسكوت عنها في سياق مشروع الحلم العربي الناهض، ليفجر ضوءه الأسود في (غرفة بملايين الجدران) معلناً علينا حزناً صادقاً جريئاً يمسّ الشغاف (الفرح ليس مهنتي).

-٢-

الآن، أريد أن أرى في تلك اللحظة المفصلية منعطفاً رؤيوياً، ليس على صعيد التعبير الشعري، منفلتاً عن تخوم التفعيلة وأقفالها، ولكن، خصوصاً، على صعيد الرؤية الشعرية النقيضة لمشروع التفاؤل العام الذي يكاد يطوي مجمل المتن الشعري العربي في تلك اللحظة، من كان مع تلك الأحلام (أيديولوجيا) ومن كان بعيداً عنها (سياسياً)، فقد كان الجيل العربي كله منهمكاً في ورشة ذلك الحلم، معتبراً مجرد الغفلة عن ذلك الحلم وتأكيده هو بمثابة النظر والفعل القاصر عن (المستقبل). هكذا كان المشهد الذي صار التفاؤل الفظ عنوانه الأول والرئيسي والغالب.

وهنا نستطيع أن نكتشف قوة الصدمة وعمق الدلالات الإبداعية التي أحدثتها نصوص محمد الماغوط في تلك اللحظة. وأريد أن أقترح، هنا، بأن هذه الخاصية المتميزة في جرأة الرؤية الحزينة الجارحة والأبعد من التشاؤمية، هي العنصر الجوهري الذي منح تجربة الماغوط أهميته الكونية في سياق حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، وأظن أن خروجه عن التفعيلة لم يكن هو (فقط) ماميز شعريته عن جيله (قبله قليلاً، وبعده قليلاً). خصوصاً إذا لاحظنا أن ثمة تجارب رافقت السياب أو ربما سبقته قليلاً في كتابة القصيدة الحرة، لكن دون أن تخرج عن سكة التفاؤل التي تطلبها مشروع نهضة الحلم العربي في تلك اللحظة.

-٣-

غير أن حزن الماغوط لم يكن حزن الرومانسيين المتثائبين على جسر التنهدات. لقد كان يضع أحداقه في الدم الفائر فيطفر حتى صدغيه. وهذا ما جعل كتابته تفتح أرضاً غير التي فتحتها مجلة (الآداب) أو التي ذهبت إليها مجلة (شعر)، كان محمد الماغوط كائناً وحشياً (طافراً) من غابة تغرس جذورها على أجسادنا وأرواحنا، دون أن يعبأ أو يكترث بالكلام عن البدائل، بمعنى أنه لا يطرح خطابات أحلام، كما كان يفعل شعر الآخرين، الأمر الذي لفت نظر الشعراء العرب محاولين أن يجدوا في عالمه نافذة على أفق مغاير.

www.alkottob.com

وكنت عندا أجلس إلى كتاب (غرفة بملايين الجدران) أشعر برهبة غامضة لفرط المسافة التي كان يتوجب عليَ أن أقطعها بعد (أنشودة المطر)، أو (أوراق في الريح) أو (أباريق مهشمة) أو (أحلام الفارس القديم) كي أصل إلى الأرض التي يحرثها نص الماغوط بعظام أطراف الكائن البشري.

فإذن، كانت المسألة لا تتصل بالشكل دائماً، وأخشى أنها لم تتوقف عليه أبداً. لأن الروح الجديدة عند الماغوط هي ما ميزته بقوة، ومرة واحدة، عن رفاقه. وهنا تكمن أهمية التجربة الشعرية.

-٤-

لكن، بعد ذلك كله، وبعد حوالي جيلين من الشعراء العرب، هل يمكننا الزعم بأن الأجيال الجديدة، وهي تطرح علينا الصوت عن الحداثة والتجديد في الكتابة الشعرية، منافحة عن حقها في التجديد، محتجة بمن سبقها من الشعراء، ومن بينهم محمد الماغوط خصوصاً، أقول هل نستطيع القول، بدون قلق، أن الأجيال الجديدة قد قرأت حقاً تجربة الماغوط الشعرية بالشكل الذي يجب على الشاعر أن يكتشف تجربة شاعر آخر ؟ أطرح هذا السؤال، ليس ترفاً، ولكن لأن قلقاً ينتابني وأنا أرقب العديد من الكتابات الشعرية الشابة وأعيد تأملها باحثاً عن ملامح تشي بأن ثمة وعياً لمجمل الإنجاز الشعري العربي الحديث، وأعني الإنجاز بالمعنى التقني والفيزيائي المباشر، بحيث يمكننا أن نشعر بأن الشاعر الراهن، فيما يعمل على تجاوز النص السابق، قد أحسن القراءة والدرس قبل وبعد الكتابة.

هذا السؤال من بين أسئلة أخرى لا بد لنا، كي نحسن التعاطي مع راهن ومستقبل كتابتنا الشعرية العربية، أن نتوقف عنده برحابة الصدر وجمال الأحلام.

* * *

www.alkottob.com

لكن الحياة تتغير يا أبانا محمد

شاكر الانباري

سلمان تمام، ينتمي إلى قبيلة بني لام، التي ينتسب إليها أيضاً جمعة اللامي، هو من كتب الروايات والقصص عن تاريخ هذه القبيلة المنتمية إلى طائفة الشيعة، وتسكن الأهوار جنوب العراق، وفي مدينة الناصرية تحديداً. سلمان تمام كان واحداً من زملائنا في جامعة السليمانية، وهي من مدن كردستان العراق. كان يدرس الهندسة الزراعية، هو شاب أسمر يشبه إلهاً سومرياً. قصير وسمين قليلاً، صعلوك حقيقي من صعاليك الجامعة. أما أنا فكنت أدرس الهندسة المدنية، أيام كان المهندس واحداً من نخبة المجتمع. ما كان يميز سلمان تمام أكثر من غيره، ليس مواصفاته الجسدية، ولا شبهه بالسومريين، وإنما حفظه لكل شعر محمد الماغوط تقريباً. كان مهووساً بمحمد الماغوط. يفطر على قصائده، يتغدى بطرائفه، يتعشى بذكره. ولم نكن نعرف لماذا. كان يترنم بقصائده في المقاهي، في جلسات الشراب وعند أروقة الكلية، وفي السفرات الجامعية، حتى أوشكنا نؤمن أن سلمان تمام القادم من الهور، وكيل الماغوط الثقافي في جامعة السليمانية. ليس هنا الغرابة أيضاً. المسألة أن سلمان تمام راح يعيش حياته اليومية طبقاً لفلسفة الماغوط، المتشائمة من الواقع العربي، المتشكية من الحظ البائس، غياب العدالة السماوية، الكفاف البشري في الحياة. لازمة سلمان الدائمة هي : أنا سأرفع رسالة إلى الله، ممهورة بعذاب البشر، لكن كل ما أخشاه أن يكون الله أميا.

ربما لم تكن القصيدة هكذا بالضبط، لأني أعتمد الآن على ذاكرتي، إلا أن جوهر القصيدة هو ذاك. يردد تمام هذا المقطع كلما رسب في الامتحان أو غابت عنه محاضرة مهمة أو أفلس وبدأ الجوع يعضه ولا يجد من يستدين منه.

أعتقد أن سلمان تمام استسهل قصائد الماغوط، لذلك كان يقف إلى جانبه ومعجباً ومحازباً، وكلما جاءت المساجلات لتقارن بين أدونيس ومحمد الماغوط، في جلساتنا الخمرية التي كنا نجريها في نادي نقابة المهندسين، وهو ناد يقع في وسط المدينة. والسليمانية لمن لا يعرفها، مدينة محاطة بالجبال، أسماء جبالها هي بيره مكرون، كويجة، قرداغ، وكانت في ذلك الوقت تشتعل بالنار ليلاً. نراها ونحن جلوس إلى كأس من العرق المستكه، نتجادل حول محمد الماغوط ومحمود درويش وأدونيس وسعدي يوسف وقصيدة النثر الوليدة آنذاك. ذات مرة حرف سلمان تمام واحدة من قصائد الماغوط التمردية، قال بصوت عال : " أنا الشاعر من جبل بيره مكرون إلى قرداغ". فما كان من أحد الشعراء الأكراد، الجالسين إلى طاولة قريبة منا إلا أن رد عليه بصوت أجش : اخرس أيها الصعلوك. وكادت أن تقع مشاجرة حول قصيدة الماغوط في الظاهر،لكن الحقيقة هي وجود الحساسيات القومية وتوتر الوضع في كردستان العراق، التعريب الجاري على قدم وساق. وكاد المسكين سلمان تمام أن يذهب ضحية الماغوط الذي كان وقتها يعب العرق إما في بيروت، أو في دمشق، من دون أن يعرف أن شباباً لم تصل أعمارهم إلى الخامسة والعشرين، في مدينة تختبئ وسط الجبال، يخوضون حروباً حول قصائده. وما كان يشعل النقاش وقتذاك سؤال هل أن قصائد الماغوط يمكن اعتبارها شعراً أم لا ؟ كونها ليست موزونة، لا تتكئ على تراث القصيدة العربية؟ وهل يكتب الماغوط بهذه الطريقة لأنه لا يعرف الأوزان ليس إلا؟

www.alkottob.com

أو هل يمكن كتابة القصيدة من فكرة عارية فقط؟ ولما كان معظم أصدقائنا وفي مقدمتهم سلمان تمام، لا يعرفون الوزن لكنهم يحبون الشعر، فقد هبوا يكتبون قصيدة النثر على شاكلة محمد الماغوط. يكتبونها في مقهى الجامعة، وفي الحدائق العامة، وقبل النوم على الأسرة، وفي المراحيض قبل أن يستمنوا. ومادتها كانت الجوارب والتبغ والنساء والجوع والبذاءات اليومية والشعارات السياسية التي تنتقم من خنوع ما هو سائد وعاهر. تركنا محاضراتنا ودروسنا وكتبنا، وانغمرنا حتى الآذان بقصائد الشعر. وكان الماغوط عملاقاً بيننا. شيء يشبه الأسطورة، غامضاً وعنيفاً، يفتح نيرانه على الأرصفة والشوارع والمدن والحكام والفسق والسأم اليومي الضارب الإطناب على المدن العربية. تبغ وأرصفة وخمرة وموت، يخول بروح متصوفة شيئاً من هذا القبيل. وكنا ندخن علبتين في اليوم، ونجلس على الأرصفة، وننظر بريبة إلى العسكر والحزبيين والجرائد الصفراء بمحرريها الذين يركلهم رئيس التحرير على أقفيتهم من دون أن ينبسوا بحرف. الماغوط هو المتمرد الأوحد في تلك الشلة، بتلك المدينة. وكان سلمان تمام بكرشه الصغير، سنة بعد سنة، يروم بلوغ مرتبة محمد الماغوط. تحول سلمان إلى ماغوط صغير، فهجر كتبه ودراسته، ولم يعد يأتي إلى المحاضرات. سحره الماغوط بقصائده وعبثه وحياته المنفلتة، فكتب على غرفته في القسم الداخلي شعار رامبو:"من الغباء أن تبلى سراويلنا على مقاعد الدراسة". وحين رسب تمام سنتين متتاليتين، ولم تنفع قصائد الماغوط في معالجة الإحباط البشري، الذي غير العالم، سحب تمام إلى الخدمة الإلزامية من شاربيه. صار جندياً مكلفاً، يأتمر بأوامر عريف بالكاد أنهى دورة محو الأمية، يعاقبه أكثر الأحيان بالزحف في الطين أو حش الحلفاء في ساحات المعسكر.

زارنا ذات يوم في نهاية عهدنا بالجامعة، سهرنا في نقابة المهندسين. صار سلمان شخصاً مهدماً، مروضاً، وقال لنا بعدما سكر، ادرسوا حتى لو أكلتم الحجار، فالحياة معقدة أكثر من الشعر. سمعت بعدما قامت الحرب العراقية – الإيرانية أن سلمان تمام قتل في واحد من الهجومات الصيفية على عبادان. وكان أن أكلت أنا الحجارة لكنني لم أنسَ الشعر، ولا الماغوط. طوفت في أرض الله الواسعة، وتعلمت لغات عديدة، وعرفت نساء، شاهدت مدناً، وكدت إلا قليلاً أن أنس الماغوط، أحزانه في ضوء القمر، لم أعد أرفع رسائل إلى أحد، فلم أجدني بحاجة إلى أحد حتى لو كان ذاك الذي "صكئ ! الماغوط. اشتعلت حروب وماتت حروب. وحفرت دهليزي الخاص الذي أعادني إلى الشرق. عام ١٩٩٧ رجعت من تطوافي الأبدي لأستقر في دمشق الشام، محباً لنسائها، خمورها وأنهارها، شبابها المتصعلكين، أحفاد الماغوط. وكان أن اشتغلت سكرتير تحرير ل " دار المدى للثقافة، النشر"، وكان أحد واجباتي الإشراف على القراءة الأخيرة للكتب التي تطبعها الدار. وقع بين يدي "الأعمال الكاملة لمحمد الماغوط" التي أصدرتها الدار لاحقاً. مسرحيات،أشعار،مقالات. التقيت ثانية بمحمد الماغوط، بعد أكثر من عشرين سنة. لم أعد فتى كما السابق، كما لم يعد محمد الماغوط، فارس الساحة الشعرية. ولدت أجيال جديدة من الشعراء، وغابت قمم، وامحت قسمات أظن أنها واعدة. بدأت أقرأ مخطوطات الماغوط بدقة ! حاملاً رائي ثقافة لا بأس بها، خبرات حياتية جديدة، ودلتني الأيام على دروبها المعتمة، الخفية، المواربة. أسفر لي الماغوط عن شخصية أخرى. لم أجد الشخص نفسه الذي كان في خيالي وأنا أجلس مع سلمان تمام، جنان جاسم حلاوي، شيركو بيكيه وسط تلك المدينة الجبلية. لم أستسهل الإنشاء، في جملة الماغوط، وهو الوباء الذي خلفته لنا قرون من الركود الحضاري في الروح العربية، لغة وعمقاً وطزاجة. وكان هناك خلل في

www.alkottob.com

إمساك المعنى، يغطي عليه الضباب الكثيف الذي يثيره الشاعر ليستر ضياعه الشخصي. إما الاشتطاط والسرد المنفلش والتيه في التفاصيل، أو السباحة في عموميات الأفكار، فيمكن ملاحظتها بوضوح.

هناك أيضاً السهولة المجانية، وهذا ما يؤول إليه شاعر لا يتمتع بعمق ثقافي ربما. كما لاحظت في شعر الماغوط ذلك الهروب الكبير من نبض الواقع. ناتج من العيش في أبراج الثقافة العاجية. أبراج مصنوعة من كتب، أفكار، شعر، روايات،.. الخ. لم أشم رائحة العرق، الأرصفة التي تكلم عنها. كما لم أقرأ ملامح المرأة التي أحبها شعرياً، فكان يتمرد في فضاء اللغة"، يحب في فضائها أيضاً. يكفر في اللغة، يهاجم السلطة في اللغة، وظل شعره وليد لغة عربية مليئة بالإنشاء والتضخيم والادعاء والصنعة. وكان إن عرفت أن هذا ربما ناتج من بعد الشاعر عن إيقاع الحياة وعن إيقاع اليومي الذي يجده المرء في ساحة المرجة، عند سوق الحرامية في جسر الثورة، وفي أصقاع الريف بفلاحيه، بقره، حقوله. بحانات المدينة السفلية، هي تغص بالشاربين من كل صنف ولون. من الذين أنهكهم الدين واللصوص والقوادون، الصحافيون المحبطون، العمال المياومون، النساء العاهرات. كل ذلك الفرن المتوهج لم أجد صداه في شعر الماغوط.

وكان أن جاء الماغوط إلى مكتب "دار المدى" في ركن الدين، وسط دمشق، شيخاً يدب على عكازه، تلف سماءه غيمة من الارتباك، الهزيمة والوحدة. الزمن يبتلع ما عداه. لم أشعر برهبة منه. لم أعد صغيراً، صرت أعتز بتجاربي حتى لو كانت ضئيلة. شعرت بالاحترام العميق لهذا الرجل. هذا الكائن الذي ترنمنا بشعره بين قرداغ. بيره مكرون. هذا الذي تمردنا معه على الأرصفة، دخنا أحزانه وتشرده ويأسه، ونحن نحتسي الشاي الكردي، نتحدث عن ثورة البارزاني. محمد الماغوط اليوم يعيش في وحدة قاتلة، بعدما فارقته سنية صالح، وثقل سمعه وأرهق بصره الضوء. إنه زمن الصحافيات الصغيرات، اللواتي يشتغلن مخبرات. لا زمن المتمرد العملاق محمد الماغوط. ربما أدرك الماغوط بؤس السلطة، وبؤس الزمن، وتفاهة مدعي الثقافة، لذا انتحى جانباً. كلما رأيته يسير نحو فندق الشام ليحتسي قهوته الصباحية، أندب حظ الثقافة في هذه الأمة. لكني مع نفسي أقف وأقول أنحني لك إجلالاً أيها الشاعر، الذي أشعلت فينا جذوة التمرد منذ الربع قرن. وأتذكر أيضاً الماغوط الصغير، المدعو سلمان تمام الذي شطرته الحرب شطرين، دفنته في مستنقعات الناصرية. أنحني لك أيها الشاعر الذي لقمتني التمرد. لكن الحياة تتغير يا أبانا محمد.

* * *

www.alkottob.com

مسرح الماغوط: الكتابة بالسكين

صلاح حزين

السكين لا القلم هو مايكتب به محمد الماغوط أعماله سواء كانت تلك قصائد أو مقالات أو مسرحيات، وهو يعمل القلم في ذلك الجزء الذي يبدو سليماً من الجسد وينكأ الجراح المنتشرة فيه حتى لا تكون هناك راحة واسترخاء وحتى لا تكون هناك طمأنينة إلى أن الجسد سليم معافى، فالجسد ليس سليماً بل مريض مثخن بالجراح من الرأس حتى أخمص القدم والتغافل عن هذه الحقيقة يعني مزيداً من الجراح ومزيداً من الخراب.

السكين التي يكتب بها الماغوط هي سكين السخرية الجارحة القاتمة القاتلة المقطعة للأوصال والجسد هو جسد المواطن العربي – بالمعنى الحرفي للكلمة- الذي أنهكته سياط الجلادين قبل أن ينهكه بؤس الحياة نفسها والذي عانى من خيانات الأصدقاء أكثر مما عانى من طعنات الخصوم وهزمته الزازين والأقبية قبل أن يهزمه الأعداء فتحول من" إنسان" يبحث عن مستقبل مشرق في وطنه الحر السعيد إلى "حطام إنسان " يبحث في حاويات القمامة عما يسد به رمقه.

وهذا البؤس وتلك القتامة ليست وليدة أخطاء هنا أو هناك كما أنها ليست أخطاء في تطبيق نظريات التقدم السياسي والعدالة الاجتماعية حدثت في هذا البلد أو ذاك، بل هي وليدة خلل في المجتمعات العربية تراكم عبر تاريخ دموي مليء بالقمع والاضطهاد وتجريد الإنسان من آدميته، يتساوى في ذلك الحاضر مع التاريخ الحديث والقديم والأمجاد التي يكثر الحديث عنها هي مجرد قصائد تلقى وأناشيد ترتل وأغاني تؤدى، وهي في واقع الأمر نقيض الواقع والتاريخ معاً وما يزيد الأمر قتامة أن الذين يحاولون أن يغيروا هذا الواقع عادة ما يكونون حالمين أو انتهازيين، وإن نجحوا في إحراز نصر ما فإن هذا النصر محكوم بالوقوع في أيدي مجموعة من اللصوص وسارقي النصر والثورات والفرح.

في مسرحيات الماغوط يجد المتفرج نفسه وجهاً لوجه أمام التناقضات التي تعيشها مجتمعاتنا وهي عديدة فهناك التناقضات بين طبقات المجتمع وفئاته تناقضات الحاكم والمحكوم، الضحية والجلاد الثري والمسحوق المثقف والجاهل المناضل والانتهازي الثائر وسارق الثورة ن وهناك تناقضات المجتمع مع قيمه تناقضات بين الإنشاء الذي يملأ حياتنا عن واقعنا الزاهي وحياتنا الرضية ومجتمعنا المتكافل، وبين واقعنا الحقيقي الذي ينتشر فيه الفقر والجهل والظلم والاضطهاد ويسود التآمر وتكثر الوشايات والدسائس تناقضات بين الإنشاء الفارغ الذي يتحدث عن المواطن باعتباره القيمة العليا في المجتمع وبين الحقيقة المرة التي ترى في المواطن عبئاً ثقيلاً يجب التخلص منه بالسجن (ضيعة تشرين) أو بإقصائه خارج البلاد في غربة أكثر إذلالاً من البقاء على أرض الوطن (غربة).

تكاد هذه الأفكار أن تكون قاسماً مشتركاً في أعمال الماغوط جميعاً من شعر ومقالة ومسرح ولكن بسبب الطبيعة الخاصة بالمسرح، باعتباره الفن الذي يطرح القضايا الكبرى للإنسان والمجتمع فإن السخرية تصبح أكثر حدةً وتتسع مساحتها لتشمل الحاضر والماضي ولا تترك فسحة من الأمل للمستقبل في لوحة سوداء قاتمة لا تخترقها سوى أغنية شجية تنبعث من عمق المشهد أو نشيد حزين تتردد أصداؤه في جنبات المسرح.

www.alkottob.com

مسرح محمد الماغوط مسرح أفكار أساساً، ولكنه لا يعبر عن هذه الأفكار من خلال أحداث متسلسلة تتطور دراماياً نحو ذروة تحل في نهاية المسرحية وعلى إيقاع هذه الأحداث تتطور الشخصيات وتتحدد مصائرها كما هو شأن المسرح التقليدي بل من خلال معادلة، مختلفة تماماً معادلة، تتوالى فيها المشاهد واحداً إثر الآخر لترسم في النهاية صورة المجتمع الذي نعيشه وموقع المواطن فيه وهي في العادة صورة داكنةلمجتمع منخور، أما موقع المواطن فيها فأكثر المناطق سواداً.

المعادلة المسرحية لدى الماغوط تبدو بسيطة لا تعقيد فيها، فهي تنطلق من وضع المجتمع أمام تناقضاته مباشرة من دون أي محاولة للتنميق أو التجميل أو التزيين تناقضات اجتماعية وسياسية وثقافية وقيمية تبدو في كثير من الأحيان مضخمة في صورة كاريكاتورية تستثير ضحكاً أسود كالبكاء والشخصيات في مسرحياته تنتمي إلى ذلك النوع المعروف بالشخصيات المسطحة(Flat Characters) وهي الشخصيات التي لا تتطور دراماياً على مدى زمن المسرحية، ليس لعيب في تركيبها الدرامي أو في رسمها، بل لأنها تمثل قيمة ما أو طبقة أو فئة اجتماعية في مسرحيات ضيعة تشرين وغربة وكاسك يا وطن وشقائق النعمان وتقف كل شخصية فيها لتمثل فئة اجتماعية أو قيمة إنسانية ما. في "ضيعة تشرين" و" غربة" هناك المختار الذي يمثل السلطة وهناك سكان الضيعة الذين يتوزعون على الفئات الاجتماعية المختلفة، وبعضهم يمثل قيماً إنسانية نبيلة أو قبيحة، المدرس الذي يريد نشر التعليم بين جمهور الضيعة الجاهل، والعجوز غربة التي تمثل الجانب المشرق والإنساني في مجتمع القرية، وفي "كاسك ياوطن" هناك المواطن المسحوق الذي يجاهد يومياً حتى "لا يبقى لديه من الوقت ما يمكنه من شكر الحكومة على كل ما تقدمه لمواطنيها" كما يقول. وفي المقابل هناك عشرات الانتهازيين والوصوليين، وهناك الجلادون بالمعنى الحرفي للكلمة، وهناك الناس العاديون الذين يعانون من الجهل والمرض والفقر من دون شكوى أو تذمر مستسلمين لها وكأنها قدر كتب عليهم، وفي شقائق النعمان هناك الشهيد الذي يفترض أن يمثل في بلادنا قيمة سامية، وهناك السكان العاديون الذين يتوزعون علىالوطن العربي بأكمله.

على المستوى الفني تتحول هذه الشخصيات إلى شخصيات رقمية يلعب بها كل ممثل عدداً كبيراً منها في محاولة لكسر الإيهام وتحويل الانتباه إلى خشبة المسرح للحؤول دون الاندماج مع ما يجري عليها بل اليقظة تجاهها بطريقة تذكر بأسلوب بريخت الشهير القائم على التذكير بأن ما يجري على خشبة المسرح ما هو إلا رواية تروى. وقد مكن ذلك الماغوط من أن يوظف أكبر عدد ممكن من الأساليب الفنية لتعزيز أفكاره تلك من الميلودراما التي كثيراً ما نراها في قصة حب تنسج بين شاب وفتاة على هامش أحداث المسرحية، وحتى الفانتازيا التي تأتي من خلال مزج الأزمنة في مشهد واحد، في مسرحية "شقائق النعمان" يظهر أحد الخلفاء العابثين وهو يدندن بأغنية حديثة، أو من خلال مشهد يقف فيه المواطن البسيط في "كاسك ياوطن" على قارعة الطريق عارضاً أبناءه للبيع، أو من خلال شخصية المرحوم، ذلك الميت الذي يشكو من الظلم الذي يلاحقه حتى بعد أن رحل من الدنيا إلى الآخرة.

في مسرحية "المهرج " يلجأ الماغوط إلى حيلة مسرحية مختلفة عبر مقابلة الماضي بالحاضر وهي حيلة أصبحت أثيرة فكررها في معظم مسرحياته اللاحقة وتقوم المقابلة في " المهرج" عبر استحضار شخصية " صقر قريش" تلك الشخصية المبجلة في تاريخنا العربي ويحكم عليها بالعيش في زمننا الحاضر لتبدو المفارقة ليس بين مستويات اجتماعية مختلفة هذه المرة بل بين ماضٍ نعتبره مجيداً وحاضرٍ لا مجد فيه على الإطلاق، والأوضاع المريرة في مجتمعاتنا الراهنة ليست إلا نقيضاً لتاريخ عربي مشرف ومضيءكما تذهب الأفكار الإنشائية المتداولة بكثرة في بلادنا، بل هي استمرار لذلك التاريخ وهي منبثقة

www.alkottob.com

عنه وهذه الأوضاع المهلهلة اليوم ما هي إلا تعبير حديث عن أوضاع أكثر هلهلة كانت سائدة في بلادنا في الماضي وهي بالتالي الابنة الشرعية لذلك التاريخ الذي لم يكن مشرقاً ومضيئاً كما يقال، فهو في الحقيقة ممتلئ دماً ورؤوساً مقطوعة وجثثاً ممثلاً بها، وأسلافنا العظام لم يكونوا في الواقع شجعاناً عادلين مؤمنين بالضرورة بل كان فيهم المتهتكون والماجنون وعبيد الشهوات والملذات وصرعى الغواني.

المقابلة بين الماضي والحاضر موضوعة أساسية في مسرحيات الماغوط ففي "ضيعة تشرين " يشير المواطن البسيط الذي يؤدي دوره دريد لحام إلى الأندلس باعتبارها وطناً سليباً، وإلى القصائد التي تقال في استرجاع فلسطين قائلاً " إن لديه شعراً يستطيع أن يسترجع به الأندلس " وفي "كاسك ياوطن" تحضر الأندلس حين يتذكر ذلك المواطن أن العرب هم الذين كانوا يمثلون الاستعمار هناك.

في مسرحية "شقائق النعمان " يرسم الماغوط مقابلة الماضي بالحاضر على مستويين مستوى مقابلة الحاضر البائس مع الماضي القريب الذي يتمثل في عودة الشهيد(دريد لحام) ليكتشف أن أخاه قد استولى على إرثه ولم يبقِ له شيئاً فيضطر للسكن في المقابر، ومقابلة الحاضر مع الماضي البعيد حيث الخليفة يلاحق غانية في مشهد ويأمر بقطع رأس أحد المعارضين في مشهد آخر لتكتمل صورة الماضي الذي لا يقل بشاعة عن الحاضر لكنه في مسرحية " المهرج " يسترجع الماضي ليقول شيئاً مختلفاً، فهو يسترجع الماضي في صورة شخصية عبد الرحمن الداخل " صقر قريش" الذي يجد نفسه في مواجهة آلة القمع في الوقت الراهن بما فيها من حداثة وقسوة فيضعف أمامها ويتحول هو البطل التاريخي الهارب من بطش العباسيين وفاتح الأندلس ومؤسس الخلافة فيها إلى جبان رعديد غير قادر على الصمود أمام آلة القمع الحديثة الجبارة.

لقد نظر الماغوط حوله فرأى القتامة والسواد والخراب، لم يهمل الناس البسطاء الذين يجابهون كل هذا الظلم بالصبر والأغاني الجميلة، ولم يتجاهل وجود أوجه للخير في مجتمعاتنا، ولكنه الخير المسروق دائماً حيث يكافأ الشهداء بالطرد والزجر والإقصاء ويكون مصير أبنائهم الإهمال والحرمان والتجاهل ولم ينسَ الماغوط أن هناك كوى للأمل في هذه الصورة السوداء لكنها بالنسبة له مجرد كوى متناثرة هنا وهناك، أما مجمل الصور فقتامة تشمل الماضي والحاضر وتلقي ظلالها على المستقبل لذا فقد اختار الاستفزاز والكتابة بالسكين، فمن غير الماغوط يمكنه أن يعطي أحد كتبه عنواناً مثل " سأخون وطني"؟ أو لمسرحية عنواناً مثل "كاسك يا وطن "؟.

* * *

www.alkottob.com

ما زالت رائحة صوته تتردد

غازي الذيبة

تشبه لحظة اكتشافي لمحمد الماغوط شاعراً وناثراً، سفراً جديداً ورحلة خاصة، لهما طعم الاختلاف والغرابة الممزوجة بالدهشة المثيرة للأسئلة، فهذا الشاعر الخارج للتو من بر الطزاجة اللغوية ، والعفوي، صاحب الوقع المفاجئ في الكتابة الشعرية والنثرية، والمتمرد الصاخب، والمندفع في ذهابه للحرية، يمتلك طاقة غير عادية على الجاذبية، بلغته المشفرة والعميقة والبسيطة التي تمنح قارئها خلوصاً إلى المعنى، وتذهب بالنص إلى مناطق ما كان منشغلاً بها قبل محمد الماغوط. كانت الأسئلة وما زالت تتردد في داخلي، حين أصاب بوله ما، وغالباً ما كانت الكتابات الفاتنة هي التي تثير حاستها تلك فيّ، وتمنحني ولهها الفريد الذي يتمكن من وضعي في دائرة الانشغال بها دون توقف. ومحمد الماغوط هو الاسم الحركي لبعث هذه الدهشة.

السفر الخاص وطعم الاختلاف

* * *

مثل ومض حاذق ينصب فخاخه، يدفعك إلى قراءته بنظرة تبدد السكون فيك، تحرضك على أن تخرج على صمتك وسكونيتك المريبة، يدفعك إلى الاحتجاج على الصمت، والاحتجاج على الوقوف في متاهة البلادة والبله، يخرج بك من كينونتك الصغرى إلى فضاء تسبح فيه طيور زرقاء وخضراء وحمراء وبنية، طيور مشغولة بالتعدد واللوان والتحليق والخروج على الرمادي.

إنه شاعر ممتلئ بالقلق، وقلقه معدٍ، يجتاحك ليعبئك بوجوده الكامل، تقرؤه لتصاب بالألفة، ولتذهب إلى مكان جديد، تستطيع أن تصرخ وتضحك وتميل برأسك فيه، وتقول أنك لا تفهم شيئاً منه، أو أنك تفهمه، أو أنك لا تريد أن تفهم أو تريد أن تفهم، فالأشياء تصبح مثار توتر عالٍ حين يكون الماغوط حاضراً، وهذا التوتر يفصح عن حاجة ملحة فينا للانعتاق والذهاب بعيداً في غواية الحرية وذهبها.

قصائده المتناثرة في أعداد مجلة شعر اللبنانية أوالسورية — لا فرق- تشبه الغرابة في امتحانها الأول، الغرابة وهي تحاول قنص مكانها في المفاجئ والمثير والمحمل بالاختلاف، أوقفتني بهدوء عند ومضها الحاذق، ثمة سحب جديدة وفضاءات ذات لون لم أره بهذه الكثافة من قبل، وعند هذا النوع الجديد من الكتابة التي تسمي نفسها شعراً، ولكنها بلا وزن وبلا قافية وبلا إيقاع مباشر، كنت أمضي باتجاه الاكتشاف، كان في ثمانينيات القرن العشرين، ولم أكن بعد قد قرأت كتاباً كاملاً للماغوط، الشاعر والمسرحي وكاتب المقالات الإشكالي والروائي لاحقاً، فقد كانت كتبه ممنوعة من الانتشار في أمكنة عديدة على ما بدا، ربما لأنها مشحونة بكمية هائلة من الهواء النظيف، مما يفقد الذين أدمنوا تنفس الهواء الوسخ أعصابهم ويجعلهم يشدونها من الغضب على من يفضحهم، ويعريهم أمام ضحالتهم، حين يمنعون كتاباً أو قصيدةً أو مقالاً أو لوحةً فنيةً، كما كان يحدث وما زال وحتى أجمع أجزاء صورته التي صارت تتقاطع كلما تعرفت نصاً أو مقالاً له،

www.alkottob.com

بدأت أبحث عن كتبه فيما تيسر لي من مكتبات ولدى الأصدقاء، ثم عرفت أنه مؤلف مسرحيات " ضيعة تشرين" و"كاسك يا وطن" و"غربة" وكان صدى عروضهن يتردد في أنحاء العالم العربي ومن ثم صنعن شهرة غير عادية للممثل دريد لحام الذي كان يقوم دائماً بأدوار البطولة فيهن، وظلت الصورة ناقصة، غير مكتملة، تبحث عن قطع مفقودة في اللوحة، فمحمد الماغوط على ما استطعت أن أعرف من خلال الأجزاء القليلة التي قرأتها آنذاك من كتابته، يصيب بالدوار، كتابته مستفزة وغامضة، حد إثارة السؤال وتعميق السجال فيه، إنها أيضاً كتابة جميلة حتى الألم، مبهرة تأخذك منذ لحظتها الأولى إلى تقليدها، لكنها صعبة الانقياد، جودتها عالية ونبرتها الإنسانية حقيقية، فبطلها شاعر يعترف فيما بعد أنه كتب وسيظل يكتب، غير معني بتسمية أو تصنيف ما كتبه كثيراً، المهم أنه كتب وما زال قادراً على الكتابة.

* * *

توقفت كثيراً عندما أصابني بسبب مسرحياته التي أثارت جدلاً واسعاً حين بدأت تعرض في البلدان العربية في السبعينات والثمانينيات، وتساءلت عن سر هذه الشعبية العريضة لما يقدمه هذا المسرح، الذي استحق وعن جدارة أن يكون جماهيرياً، محملاً بنبرة صاغها نقاد متعبون من البحث عن مصطلح لائق به واستعاروا تسمية المسرح الملتزم ليشيروا إليه دون التباس، ولأنه يحمل هوية ماغوطية سحرية، ولم تكن هذه الهوية، ليلة عرض إحدى مسرحياته في قاعة العرض تترك مقعداً فارغاً، ولم نكن نلمح إيماءة منه في مسرحية لم يكتبها، حتى نقول : محمد الماغوط هنا أوهناك، واستطاعت مسرحياته القليلة التي عرضتها تلفزيوناتنا العربية بمناسبة أو بدونها، أن تقدم نوعاً جديداً من المسرح، له مفرداته ومضامينه الجادة والجذابة، لكن هذه المسرحيات التي كنا نشاهدها، كانت بعيدة عما ضمنه الماغوط بين دفتي كتب وضعها في مجموعة أعماله الكاملة، لتقدم لنا مسرحاً آخر مختلفاً، يقرأ بطريقة أكثر سبراً لفهم الماغوط عن المسرح، غير أن الروح الفائضة بالسخرية والتهكم والنقد التي رافقت مسرحياته التي عرضت على خشبة المسرح وشارك فيها دريد لحام، ظلت تطارد مسرحه المكتوب والأكثر قرباً من الجدة، فحين قرأت مسرحيته " العصفور الأحدب" مثلاً، أصابني بوجع في ظهري لبعض الوقت وجعلني أمتلئ بالضحك المر لوقت طويل.

إن كتابته المؤثرة والعميقة تقرأ الذات وتتمكن منها بسهولة، حتى وهو يقدم نصاً غير شعبي، أو نصاً مثقفاً جاداً ومتزمتاً لقوانين اللعبة المسرحية، ويمتلك تلك الصيغ المحمومة بالتناسق والتناغم الهارموني لكن مسرحياته الشعبية التي كان التلفزيون يعرضها بعد تسجيلها في عروضها على المسرح، كانت تثير رغبتي لمشاهدتهاوكانت مع مسرحياته " المثقفة " تجعلني حائراً متسائلاً : لماذا يكتب الماغوط نصوصاً جارحة كهذه ؟ من أين يبتكر هذه الأحداث ؟ وشخوصه الذين يفرون من جلودنا لماذا يستلهم من أجسادنا ليعيد صياغتهم بأرواحهم المتمردة والمدمرة بسبب العسف والطغيان والقمع؟ كيف تمكن من رصد حيوات هذا العالم المريب والقاهر والأسود، بهذه الروح السلسة والبسيطة والبعيدة عن السوداوية المخربة؟ مالذي يريدنا أن نفعله من وراء إثارة حاستي التساؤل والتمرد فينا ؟نعم. سرح هذا الذي يبتكر نظامه من إعادة تشخيص الواقع دون رتوش كثيرة؟ نعم.. محمد الماغوط معلم كبير في كتابة الحرية والألم والحياة والواقع، سجل اسمه بريشة هذه الحيوات، وهكذا بدأت أتعرفه شاعراً ممتناً للحرية أكثر المساحات توقاً لبحثه الإبداعي وانطلاقاً في ذاته والضاحة بالغناء لها، فهذا الطائر المجروح في الوطن العربي والذي يحمل اسم الحرية، ماهو إلا ابن حلمنا المصاب بالسجون والطغاة، ولأجله يخبط الماغوط أجنحته باتجاهه في حرقته العالية، حرقة كسر القيود التي عرفت لاحقاً أنها نهشت الماغوط.

www.alkottob.com

* * *

عليَّ أن أعترف أن قصيدة النثر التي شغلني الماغوط بها إلى جانب عدد من شعرائها العظام، لم تكن تحمل في هوائها غير جهة طلقة وحيدة حين انعتقت في سماء الشعر العربي في الخمسينيات، هي جهة الحرية والتحرر، فيما أنتجته تلك الحقبة، وما تلاها من نتاج في هذا الفضاء الفسيح الذي أطلقنا عليه فرحين ومرتبكين اسم قصيدة نثر، كان بفعل توهج الرغبة العربية في اتجاه الحرية، حيث كانت الاستعمارات آنذاك تأكل أيامها الأخيرة، وكانت الحاجة تلح لكي تبني إنساناً عربياً يدرك معنى أن يكون مستقلاً، بعدما نسي في حمأة الاحتلالات لأوطانه كينونته ككائن له حقوقه.

الحرية إذن هي التي دلت على قصيدة النثر، في انشغالاتها العظيمة، وفي ترجمتها لهموم الذات العربية، الذات التي تستشعر كمية هواء كبيرة في رئتيها، وعليها أن تتعامل معها برحابة وطلاقة، الحرية التي كانت قصائد ومسرحيات الماغوط تتنفسها بحرية جميلة، حرية، تكون الكتابة فيها تعبيراً خالصاً عن الإنسان في تحولاته وتبدلاته وحاجاته.

مجرد قصائد متناثرة في مجلة شعر التي كانت ضمن مجلدات لما صدر من أعدادها، عرفتني بمحمد الماغوط. لقد حيرتني هذه الكتابة/ القصائد، وأمام هذا النوع الجديد منها حتى في شكله الهندسي، وأمام هذه الانقلابة المريبة التي صارت تذهب بي إلى هؤلاء الذين يكتبون بطلاقة لا قيود فيها، محملين بعيون الناس في شوارعنا وهمومهم وآلامهم وغموضهم وانتكاساتهم (كنت آمل أن أقول أيضاً : وانتصاراتهم ،لكن..) استطعت أن أشعر بالارتباك والحيرة والدهشة في آن واحد. عالم أوسع مما تخيلت، ومغامروه ليسوا خارج منطقة الحلم الذي أتطلع إليه : التغيير.أصابتنيٍ هذه الكتابة الماغوطية بمسها، إلى جانب كتابات شعرية لـ: فؤاد رفقة وسعدي يوسف ونزار قباني وأدونيس وأنسي الحاج ويوسف الخال وخليل حاوي والسياب، وكل كتيبة مجلة شعر التي دفعتني إلى أن أقرأها منذ المجلد الأول وحتى الأخير، وحضتني على القراءة في مداراتها الجديدة والغريبة على ذائقتي التي تعرف الشعر في صورته السائدة آنذاك، كان هذا الشعر الجديد مبعداً عن السياق العام للشعر العربي الذي أعرف شكله وأوزانه ومواضيعه المنشغلة بالهجاء والمدح والوصف والحماسة والغزل والمباهاة وغيرها من التصانيف التي كان يضعها مؤرخو هذه الأنواع، وعلى ما كنت أظن، اعتقدت أنني صاحب هذا الاكتشاف الخارق والوحيد لهذا المجال الحيوي من الكتابة التي أسمح لنفسي أن أسميها كتابة حرة، واعتقدت كذلك أن الماغوط أحد أسراري الخاصة، الذي ما إن ذكرت اسمه أمام بعض الأصدقاء، حتى تحسسوا ما يحملونه من كتب، لكنني لم أهتم لذلك ذهبت إلى كل تلك الكتيبة، وبدأت أنحرف عن الكتابة السائدة بفضلها، وبدأت أعي أن الماغوط واحد من قلة يستطيع تطويع الكتابة إلى أن تصبح في متناول الجميع، ودون أن تظهر على وجهها تلك الثقوب المميتة. لقد كان محمد الماغوط شاعراً نوعياً منذ أطلق قصائده الأولى في مجلة شعرٍ وغيرها من الدوريات، لم يكن عادياً، ولم يكن منمطاً، أو خاضعاً لسيرة " شعر " التي شكلت ما يشبه النهج الكتابي الجديد عندما أصدرتها جماعتها، لكن كل من كتب فوق صفحاتها كان يحمل حنجرته الخاصة، يصرخ أو يغني بأوتاره الصوتية هو، لا بأوتار غيره، وقد راحت كتابات الماغوط لصناعة مثل هذا التوهج، الذي شدني ببساطته وغموضه وغنائيته الرفيعة وجموحه وتوقه الحميم للتحرر من فضاء العادي، والمضي في تمجيد الحياة واحترام المهمل، ونبش المسكوت عنه وإماطة اللثام عن التفاصيل، وقراءة اليومي بطريقة تثير الحب واستخدام المفردات الممنوعة دون خوف أو تربص وتأنيق النص كما لو أنه زهرة الجمال الفريدة.

www.alkottob.com

ومثل أي مفاجأة حارة، قرأت الماغوط، ليخلف فيّ انقلاباً نوعياً في التوجه إلى الكتابة الحرة، كتابة العالم والحياة، بكامل بهائهما وغضبهما ونزقهما وتفجرهما وترددهما، وللحق كان شركاؤه في التأثير علي كثر في هذا المدى المؤرق، لكن أثره العذب جعلني أمتن لمنجزه في الكتابة، وأنحاز إلى مغامراته التي لم تتوقف حتى وهو يمارس بعض كتابة المقالات في مجلات متناثرة مؤخراً، من باب استعادة الصوت لا أكثر ولا أقل، لكنها استعادة ملتبسة.

* * *

لقد تسنى لي أن أقرأ بكثافة مبالغ فيها أحياناً، أو- ربما مضرة ومسببة للتزمت-ما توافر في مكتبة أمانة عمان الكبرى وسط العاصمة، من كتب ونصوص الشعر العربي القديم بفترته الواقعة ما قبل الإسلام وما بعدها، وفي دهشة الاكتشافات الكثيرة التي ارتكبتني حين اقتربت من طرفة وأبي نواس وامرئ القيس والأعشى والنابغة الذبياني ولبيد والأخطل والفرزدق وجرير والمتنبي وأبي تمام وحسان بن ثابت والبحتري وعروة بن الورد وعنترة، وغيرهم ممن هجمت عليهم واحداً واحداً، كي أربي قريحتي على الأصالة، وجدتني ألتفت إلى مساحة أخرى، أريد من خلالها أن أتعرف على الكتابة، ليس بمفهومها الذي عودتني عليه قراءاتي تلك، بل بما هو جديد ومغاير، ولكن أين سأجد ذلك، أين سأمسك بنصوص تربكني كالتي قرأتها للماغوط وأنسي الحاج والسياب ؟ أين؟ وترددت في أسئلة مرتابة تبحث عما هو مختلف: هل شعرنا العربي كامن فيما قرأته من النصوص العربية القديمة والمنشغلة بالفخامة الأسلوبية، الذاهبة في تقاليد القصيدة الكلاسيكية إلى أقصى عنايتها بالإيقاع والوزن والمعنى والتركيب والصورة ؟ أين المختلف من هذا الشعر المتفارق والجديد مع الشكل الهندسي والروح للقصيدة العمودية ؟ لم يكن هذا هجاء للكلاسيكي بقدر ما هو بحث مضنٍ عما يمكنني من ممارسة ما قام به الكلاسيكيون أو القول، بعض مراحل توقدهم من بحث وخروج إلى مناطق جديدة في تصوراتهم عن الشعر والكتابة والقول. لم أكن بعد قد وعيت أن مثل هذه الأسئلة ستقودني إلى معركة عنيفة: التمسك بالشكل الذي عرفته للقصيدة والشعر العربيين أم التحلل منه، والبحث في مناطق أخرى تساعدني على قراءة تشبع حواسي المدربة على فخامة القصيدة الكلاسيكية، وآنذاك كنت قد بدأت أعنى بقراءة الكلاسيكيين العرب الجدد أمثال عمر أبو ريشة والجواهري وأحمد الصافي النجفي والزهاوي وإبراهيم ناجي والياس أبو شبكة وإيليا أبو ماضي وإبراهيم طوقان وأبو سلمى وغيرهم..لكن تلك القراءات ما دفعت بي إلى الاسترخاء في هدأتها، فالنفس أمارة بالخروج إلى مناطق لم أعرفها من قبل، والنفس مشدودة إلى المغاير الذي كنت أقرأ بعضه لماماً في هذه الصحيفة أو ذاك الكتاب، والمغاير، هو تلك النصوص كان تعرفي عليها، محروساً بخوفٍ شديدٍ من أن تتسرب إلي بحكم التقاليد التربوية في مدارسنا، لذا اقتصرت قراءتي لها على التعرف على هذا النوع الكتابي الذي حاولت أن أرغم نفسي على عدم الاقتراب منه كثيراً، وبقليلٍ من الجرأة تقدمت إلى أرفف المجموعات الشعرية العربية والحديثة، قرأت نزار قباني في غزلياته الفاتنة، وهجائياته، قرأت السياب في أساطيره وانشغالاته التموزية، قرأت خليل حاوي الخارج على أعراف القصيدة العربية السلسة قرأت بعضاً من محمود درويش وسميح القاسم ومعين بسيسو، قرأت لكتاب قصيدة التفعيلة الذين مر بعضهم عليّ في مجلة شعر سابقاً، لكن محمد الماغوط لم يحضر في مجموعاته الشعرية بعد، وكنت بحق أتشوق لكتاباته الشعرية والنثرية وأتحين الفرصة لأجد شيئاً منها لكن ذلك لم يحدث إلا في وقت متأخر، فمع نهاية الثمانييات، بدأت أحصل على كتب هذا الشاعر الذي حين قرأته أول مرة، فاجأني

www.alkottob.com

باستخدامه لبعض المفردات الضالة في الكتابة العربية، فأعاد لها رونقها ووضعها في سياقات ارتاحت الكلمات لها، فبدت وكأنها جديدة، ابنة اللحظة الراهنة.

وبعدها تسنى لي قراءة ما صدر من أعماله الشعرية والمسرحية والمقالات، وعرفت أن صورة محمد الماغوط لا يمكن أن تكتمل بقراءة شعره ونثره وحدهما، وستظل ناقصة إلى حين أن أراه، لكن محاولاتي لرؤيته باءت بالفشل، فحين زرت دمشق ليوم واحد، بحثت عنه في مقهى الهافانا كما قالوا لي، لكنه في ذلك اليوم الذي نسيت تاريخه من عام ١٩٩٣ لم يكن حاضراً، ثم غادرت إلى اللاذقية، لأقيم فيها بعض الوقت، لكن الماغوط ظل ماثلاً، أبحث عنه في مكتبات اللاذقية، وهناك وجدت بعض أعماله التي رافقتني أثناء زيارتي القصيرة والوحيدة لسورية، فقرأتها مرة أخرى.

وحين صدر له رواية "الأرجوحة" وكتاب "سأخون وطني" عن دار رياض نجيب الريس، بعد غياب طويل نسبياً عن النشر والكتابة، كان محمد الماغوط هو هو، لم تتغير نبرته الفذة في اقتفاء أثر الحرية والمعادن النبيلة في الحياة وفي الكتابة، كان صوته رغم سني عمره المرهقة، ورغم المرض الذي أخذه إلى أحد مستشفيات باريس قبل أعوام، عالياً ونقياً، لا تشوبه ارتجافة الوهن ولا سنوات الكهولة، كنت أتلمس فيه ذلك الشاب الذي قرأته قبل سنوات بعيدة، والذي أدهشتني حكايته حين كتب مسرحيته العصفور الأحدب في قبو، وكان متخفياً عن الأنظار لأنه مطارد ومطلوب لأسباب سياسية.

على يديه تعرفت طويلاً على الهواء الطلق للكتابة المفعمة بالحنكة والجرأة والبعيدة عن المباشرة الفجة، وعلى يديه تمكنت من تذوق فاكهة جديدة من شعرنا العربي، فهو واحد ممن شكلوا وعي أجيال من المثقفين والشعراء والكتّاب العرب، وما زالت رائحة صوته تتردد في كثير من الواهين بالكتابة، ولن أغفل أثراً له في كتاباتي إذا ما دققت فيها قليلاً.

* * *

www.alkottob.com

فراق تعسفي

فاطمة النظامي

هل يستطيع القلب أن يكبح حنينه إلى مشهد كان فيه الثابت وكنّا المتحوّلين؟
وهل كان بإمكان كل الفرسان والسيّافين والمبارزين إلاّ أن يلقوا بأسلحتهم أمام حرب انقلب فيها حلفاؤه عليه وانتهت بالتعادل ؟
سقط الكأس متشظياً
وسقطت لفائف التبغ صرعى، بعد أن استبسلت في طعانه وأبلت كل البلاء في قلبه ورئتيه.
برحيله، نُكّست الأقلام وسِطّرت كلمة حق.
" هذا شاعر من الشرق"
حفظ كلمة الله
وكان نبياً بلا وسيط
مملكته الحزن
وعرشه الألم
ومع ذلك، فإن دمعة واحدة لم تسل من عينيه
أتعرفون لماذا ؟
لأنه قضى وعالمه غارق بالهموم
وعبر مسير
لم يتعثر بفرح يستحق أن تهرق من أجله الدّموع.

في عاصمة الضباب تلك، حجرته الدخان، وبين زوابع ودوائر الدّخان المتكاثف المرتطم بالزوايا والجدران عاش وكتب ومات الماغوط، معمّداً بآلامه وأوجاعه ووحدته التي اختارها كحلٍّ أمثل لغجري سئم التشرد والتسكع والتجوال، ولبطل إنساني منكسر، نصب راية استسلامه على قمّة عزلة ظلت من أغرب وأعجب ما سمعت وما قرأت، عزلة منفتحة على كل همٍ وكل زائر.

لقد قضى وثأره من الحضارة لما ينتهِ كما كان يشتهي، وما حفاظه على رائحة الماء والطين تحت أظافره إلاّ لتصميمٍ عازمٍ على إعادة دورة العالم واسترجاع عهده المشاعي.

كواحد من كبار شيوخ الهونزا، كان يعيش وحدته، يكتب شعره بوسائله البدائية وطرقه الخاصة بما ملكت يداه وبما كان يستخلصه من جسده، ولعل أفضل فضائله كانت بما أعاده إلى الأدب من بعد إنساني نابض بصدق النوايا وقوة

www.alkottob.com

الإحساس. ولما كان يصمت أحياناً كشاعر ليتكلم كمسرحي، كان صوته يتهدّج دائماً بنفس النقمة والثورة والتمرد والكآبة السوداء.

في كل مرة سيستعرض فيها القارئ نصوص محمد الماغوط، سيشعر أنه أمام نصوص كتبت للتو، وسوف يلامس العذاب الذي يهزّ وجدان العالم العربي وضمير كتّابه ومثقّفيه، سيسمع استغاثة من ضيّق عليه الخناق وينشد الخلاص للجميع في منأى عن المجاملة البلهاء وزخرفها البراق، والتخفي وراء أقنعة الخوف وذلّ الجبن ودناءة الرّياء، ثائر حقيقي في الشكل والمضمون، مبدع حقيقي في الباطن والظّاهر، يناصب العداء لكل ما هو لا إنساني، ويتنطّح دائماً لدكّ العروش والتيجان وأسوار القوانين المحنّطة بقلبٍ ثابتٍ غير هيّاب، يقتضيها بحد القلم، وسواء عنده ،إن عاد ظافراً أو مات معذوراً، ولعل أعظم صنائعه كانت بنسف الأخلاق المهيمنة على المجتمعات العربية ومحاربة المحظورات من أي صنف، إنه ظاهرة العصر بامتياز والصوت الجريء الذي يرتفع من خلف الأسوار يمجّد الحريّة ويهتف للأرق مذكّراً بأن الحلم ليس غفوة تحت جنح الليل، بل هو قراءة مرهفة في ذهولٍ ملمّحٍ لغياب المجهول.

هذا هو محمد الماغوط، يهرب اليوم بطفولته العائمة في مهدٍ خشبيٍ على صفحة أليم، يتأبّط عذاباته، كنزه الوحيد، يصونها بكل إخلاص ويحيطها بالعناية، فمنها ولد الحب، وثارت النقمة، وتأجّجت الثورة مفسحةً رأياً لشيء من الأمل، وعلى ضفافها أينعت الدعابة والسخرية السوداء.

انطفأ السّعال المزمن، وماتت دهشة الأطفال، وتحطّم الصوت المتهدّج الذي كان يصلني عبر أسلاك الهاتف، مرّة كصوت جدٍّ يسأل عن حفيدته المدلّلة، ومرّة كصوت آخر الأولاد وهو يقول : اشتقت إليك يا أمي! لقد جاءني الرّد المفحم على تساؤل طالما كان يقلقني: ماذا بعد تفجّر الشرايين؟ ماذا بعد غرفة العناية المشدّدة؟ ماذا بعد هذا الصّلب على سرير المرض ؟

لقد تعلمت منه أضعاف ما علمتني المناهج والكتب والمقررات..

تعلّمت كيف يذوب إله النار في كأس مثلّجة.

كيف يصبح إله الريح سدّاً في وجه الرّيح.

كيف ينسى إله الحرب ثاراته، ويصبح عاشقاً لأنين النّايات ودبيب النّملة خلف حبّة السّكر.

كيف يمتطي إله الطوفان صهوة العدم ويصبح غيماً

وكيف يستعذب المهاجر الموت إن كان الموت وحده يعيده إلى أرضه

لست أدري من كان يجيب بصمته.

لست أدري إن كان أحد يومئ له من الأعلى: سنيّة صالح، غسّان كنفاني، لؤي كيّالي، خليل حاوي، بوشكين، ناظم حكمت، أبو نوّاس، السيّاب، ديك الجن أم بابلو نيرودا؟؟!! لم يقل شيئاً ! مضى إلى المقبرة غير آبه بكل ما أعيد له وهو في طريقه إليها..

كم حذره الوطن من الإسراف في سفّ ترابه، لم يكن الوطن متجنّياً وما فعل ذلك إلا ليدّخر له من حصته فيه حصة بمساحة قبر.. سأشتاق إليك كثيراً يا محمد الماغوط ! وسأبحث عن ملامحك في القصيدة وفي غصّة كل طفلٍ مات وهو يشتهي لعبة من طين.

www.alkottob.com

أعزي فيك الوطن، أعزّي فيك الثقافة العربية والإنسانية، أعزي فيك سلميّة ودمشق وبيروت..

وأسمح لنفسي بتعزيةٍ خاصة أقدّمها من القلب إلى ابنه الروحي الدكتور محمد بدور، وإلى صديقيه الحميمين وصديقيّ أيضاً الأستاذين الكريمين الياس مسّوح، والياس فاضل.

البقاء للصدق

البقاء لشرف الكلمة

البقاء للحق

والرحمة والحب للفقيد.

* * *

www.alkottob.com

نعم تقريباً هذا هو

محمد علي شمس الدين

أخيراً مات الماغوط

وأحسب أنه سيحل في جسد طائر

وبدأت أفكر : ما هو ؟وأين؟

❖ الحمامة؟

- كلا، الماغوط ليس في بياض الحمامة ووداعتها.

❖ الغراب؟

- ومن أين له ريش أسود كريش الغراب ونعيب لا ينقطع على الأموات؟

❖ النسر؟

- كلا الماغوط وإن كان له عين النسر ومنقاره، إلا أنه لا يحطّ على الجيف.

❖ العصفور ؟..الأحدب؟

- كلا. الماغوط ليس عصفوراً يصطاده الصيادون المتجولون، ولا هو بأحدب فيكون فرجة.

❖ الهدهد؟

- كلا فالماغوط ما كان رسولاً ينتقل من بلاط لآخر.

❖ الطاووس؟

- آه ما كان أبعده عن ريش الطواويس الملوّن.

❖ الكنار؟

- وما كان صوته يغرّد ويثرثر ويكرّ كالكنار ألف كرّة في اللحظة.

❖ ببغاء؟

- كلا فهو يستعصي على التلقين.

❖ حجلاً؟

- ويستعصي على الصيّاد.

❖ أهو طائر حبّ ملون؟

- أيضاً كلا، هو أشد قسوة من هذا اللطيف العاطفي.

❖ سنونوة سوداء، إذن..

- لقد كان أضخم من ألف سنونوة سوداء متراكمة بعضها فوق بعض.

www.alkottob.com

❖ رخّ.. عنقاء.. سيمرغ؟

– آه.. إنها طيور الخرافة، كلا الماغوط ليس من طيور الخرافة.

❖ أهو طائر الهامة؟

– كلا، وإن رأيته مرّةً يقف على جدار المقبرة ويصرخ اسقوني.

❖ هل سقيته؟

– نعم

لكنه رفض الماء.

❖ إذن

لا هو الرخ ولا العنقاء

لا السيمرغ ولا الهامة

لا النسر ولا الحمامة ولا الطاووس ولا الكنار..

فمن هو إذن ؟

– حسناً

سأروي لكم حكاية رواها رسول عن طاغور قال :

" رأيت في كلكوتا في بيت رامبرانت طاغور العظيم، طائراً مرسوماً، هذا الطائر ليس موجوداً على الأرض ولم يوجد عليها إطلاقاً، إنه ولد وعاش في نفس طاغور، إنه ثمرة خياله، لكن، طبعاً، لو لم يرَ طاغور أبداً طيوراً حقيقيةً ، طيوراً على هذه الأرض، لما استطاع أن يخلق صورة طائره البديع".

❖ إذن : الماغوط طائر نفسه.

– نعم، تقريباً، هذا هو.

* * *

www.alkottob.com

كأن الزمن لم يبرح مكانه

سيف الرحبي

لم يكن محمد الماغوط، في انطلاقته الأولى ذات النزوع المغامر، يتبين خيطاً من وضوح، لما ستؤول إليه تجربته الشعرية، وربما من هنا تأخذ صفة المغامرة جدارتها، في مناخ شعري يسود فيه ما هو مخالف لذلك الصوت الملتبس القادم من ضباب التخوم النثرية التي ستكون سطوتها وحضورها.

حين قدم أدونيس، الماغوط في إحدى المناسبات مجلة (شعر) وقرأ بعضاً من شعره من غير ذكر اسمه، ذهب التوقع إلى أسماء ومرجعيات أجنبية، فرنسية على الأخص، ولم يذهب إلى ذلك الشاب المرتبك، القادم من الوهاد السورية الذي كان يجلس بينه (الحضور) والذي كان مسلحاً بموهبته وثراء أحاسيسه الفطرية والغريزية، التي ستكون وقوده الشعري في مقبل الأيام..

هذا الحدث الدال لهذا القادم إلى بيروت، أسوة بأدباء ومبدعين سوريين، هذه المدينة المختبر، المحتدمة بالسجال الثقافي والفكري والشعري، لم يكن هذا القادم يمتلك تحصيلاً دراسياً وأكاديمياً يعين موهبته على فرض نفسها على نمط أقرانه، في هذه الأجواء المعبأة بالمشاريع والأحلام.

لكن الماغوط بموهبته وبذلك المناخ الليبرالي الفريد، خاصة مناخ مجلة (شعر) وجماعتها ذات المنابت والوجهات المختلفة، التي كانت تأخذ بمثل هذه المواهب الباحثة عن أفق، عن موطئ قدم في غابة القمع والسحل والإلغاء، من أقطار عربية مختلفة متجاوزة (دوغما) التصنيفات والتصورات القطعية التي كانت مزدهرة مع صعود الإيديولوجيات السياسية التي لم تكن تعتبر الأدب والشعر ذا أهمية إلا إذا كان متطابقاً مع تصوراتها وبرامجها حول المجتمع والتاريخ.

لم يكن محمد الماغوط من الأساس، معنياً بتلك الإيديولوجيات يسارها ويمينها، التي مر عبر (مطهرها) اليسارية خاصة، معظم الأدباء والكتاب، فتكوينه الشخصي والشعري مفارقاً لذلك التأطير والقولبة ولتلك التصورات الجاهزة السهلة، هناك آخرون بالطبع يندرجون في هذا السياق لكن الماغوط كان أكثر حدية ومزاجية وأكثر ميلاً إلى التحرر من أعباء تلك المعايير الناجزة في السلوك والشعر..

وهو لا يخفي تبرمه وضجره البالغين من ذلك حتى فترة متأخرة من عمره، أي مطلع الثمانينيات على ما أذكر حين كنت أعيش في دمشق وسألته إحدى الصحف السورية في سياق مقابلة معه، عن ما يزعجه في تلك الأيام فقال (الضجر والشيوعيون) مثل هذا الكلام في ذلك المناخ المحتدم برايات اليسار وتطلعاتهم، يعتبر جرأة تصل حدود الانتحار الثقافي.

* * *

لم يكن الماغوط بحكم حدية مزاجه الشعري يمكنه الاندراج ضمن مشروع جماعي، ليس في السياسة التي لم تعرف عنه أي محطة مر عبرها، تبشّر أو تدعو إلى يقين مستقبل ما، لفكر ضمن منظومة أفكار تلك المرحلة التي تبين هشاشتها أمام أي ارتطام بالوقائع والتاريخ.

www.alkottob.com

كان ذلك المزاج بنزعته الكارثية بمثابة حصانة، حصانة اليأس، واستشراف الشعر من غير تنظيرات ولا مقدمات منطقية.

لم يكن الماغوط يندرج حتى ضمن تصور شعري جماعي، حتى قصيدة النثر التي يكتب في إطارها. لم يكن يهمه الدفاع عنها والذود عن حياضها المنتهكة من أكثر من طرف و جهة، كان يعبر صراحةً وضمناً عن رأيه، بأن المسألة لا تعنيه كون هذه الكتابة تندرج ضمن ما يدعى بـ(الشعر) أو (النصوص) أو غيرهما.

كان حدْسه يقوده إلى جوهر الشعر، إلى روحه وحقيقته الدّاخلية. كان ابتعاده عن السجال الدائر بهذا المعنى، جزءاً من قناعة ضمنية بلا جدوى مثل هذا السجال، وأن الشعر يقع في مكان آخر، بلا جدوى هذا النقاش الذي مازال على أشده حتى اللحظة الراهنة، أي ما يربو على الأربعة عقود مازالت مفردات وآليات الكرّ والفرّ والهجوم والدفاع قائمة، فكأنما زمن الثقافة العربية لم يبرح مكانه، جامد ومتخشب كالحياة نفسها.

* * *

لم يبتعد كثيراً حضور ندوة (شعر) في إشارته إلى أسماء أجنبية، حين كان أدونيس يتلو مقاطع من شعر الماغوط، في انطلاقته الأولى، لأن تلك الأسماء كانت حاضرة في شعره بطريقة ما.

ربما لم يسمع الحضور أو بعضه من الشعر الذي يتوسل السلف الغربي بمثل هذه الخصوصيّة والفرادة وهذه النكهة الشخصيّة والتحرر، فالذين حذوا قبلاً حذو هذا السلف كانوا مشدودين إلى أشكال وإيقاعات خارجيّة غالباً. لم يطرقوا بوابة النثر. بوابة التعبير الأرحب، والأشدّ التصاقاً بالحياة والواقع مثل الماغوط.

السلف الغربي في الشعر العربي، حاضر في شعر الماغوط عبر الترجمة لكنه حضور مُذاب في التجربة الشعريّة الخاصة التي لم تقع في التقليد الفج والمحاكاة. وبحكم ثراء مخيلته وتلك النزعة الوحشية، المضطربة، كانت استفادته من أفق الترجمة وهضمه، أفضل من كثيرين بلغة أصليّة مثلما أشار أحد النقاد الانكليز، إلى استفادة (شكسبير) من (تحولات) (أوفيد) عبر الترجمة، هو الذي لم يكن ملّماً باللغة اللاتينيّة مثلما كانت عليه النخبة الكاتبة في تلك المرحلة، فكانت استفادته عبر موهبته الخارقة، تحولت إلى كشف إبداعي في التاريخ..المقارنة هنا لا تتعدى الإشارة إلى الأهميّة الحاسمة للموهبة والاستعداد الأولي في هضم المرجعيّات الأخرى في سياق أفق الشاعر والكاتب.

حضور (شعر) لم يبتعدْ في توقعه، لكن الماغوط كان يساهم بصمت في رسم أفق آخر للشعريّة العربيّة.

* * *

وكمتشرد أصيل في الحياة واللغة وإن كانت الأولى لم تتعدّ بيروت ودمشق كإقامة ومعيش لكنها كهاجس وحلم شملت العالم بأصقاعه وقاراته انطلاقاً منهما؛ من الشوارع والأزقة، والحانات، والمقاهي لفافات التبغ، العرق، العاهرات، الخيانات، الموت، الإحباطات الجاثمة والثورات المجهضة وذلك النسر الهرم..إلخ. كمتشرد أنزل اللغة من عليائها البالغ التجريد، إلى مفردات الواقع والأشياء المبعثرة، البسيطة المهملة للحياة اليوميّة وبشريّتها السارحة على بركة الله تحت سقف أنظمة قاسية.

بساطة تلك المفردات التي توحي بأنها متداولة وعاديّة، لا تفتأ أن تتغير، طبيعتها في الدلالة والنبرة، بدخولها إلى مناخ النص الماغوطي، لا تفتأ أن تهجر عاديّتها إلى أفق آخر يسِمه بعض التعقيد، أفق الشعر والعزلة واليأس وانكفاء التاريخ على نفسه كقِدر من اللبن المتخثر في مواقد البدو.

www.alkottob.com

تدخل تلك المفردات العاديّة إلى الأفق الشعري الكلي.

تكثر أداة التشبيه في شعر الماغوط وكتاباته، من بين تقنيات أخرى، تنتشل المفردات المتداولة إلى أفق الكثافة والتغريب. وإن كانت في أماكن كثيرة تصيب النص بنوع من الوهن والتكرار، كلمة (تقنية) نستخدمها إجرائياً في شعر الماغوط ،- أي لا تذهب بنا المفردة- المصطلح إلى كون الماغوط يخطط ويبني ما يشبه المعمار الهندسي الدقيق. فشعره أقرب إلى صرخة الألم والاحتجاج وأقرب إلى العفوية والتلقائية.

(ياعتبتي السمراء المشوهة،

لقد ماتوا جميعاً أهلي وأحبابي

ماتوا على مداخل القرى

وأصابعهم مفروشة

كالشوك في الريح

لكني سأعود ذات ليلة

ومن غلاصيمي

يفور دم النرجس والياسمين)

تلقائيّة وعاديّة لكنهما يندرجان ضمن مناخ شعري مشترك الأواصر والسمات للجو الكلّي للقصيدة من هنا أعتقد أن الماغوط أثر في الشعر العربي الجديد على غير مسلك أو طريقة واضحة تماماً فهو ليس صاحب معمار هندسي تنبني على أساسه قصيدته وتسطع أفكارها في دروب المخيلة على نحو من ضبطٍ وحسابٍ وعقلنة في العبارة والصورة، إنه أقرب إلى التفجر الجوّاني والانفلات، وربما من هنا خطورة تقليده ومحاكاته من قبل شعراء في بداياتهم، الماغوط يستقطب قارئه المشغوف بقراءته عبر لعبة فنيّة خادعة في بساطتها وجاذبيّة هذه اللعبة وبريقها البرّاني يخفيان منحىً دلالياً أكثر خطورة خاصة في نصوص وقصائد بعينها، والمسلك الثاني، ذو القيمة الفنيّة يشبه مسلك الماغوط التأثري الذي أحاطه بذلك الضباب من الالتباس في مناسبة (شعر)وجعل الأصابع تشير إلى رامبو بودلير وإليوت ولماذا لا فهذا موجود في بعض نصوص الماغوط الجميلة، وهو المسلك بجانب موهبته الأكيدة، قد تخفف من ضغط البدايات واندهاشها بالآخر، وفي هذا المسلك يتم هضم إنجاز الماغوط في سياق خاص، ربما أقوى وأكثر قيمة وربما أقلها، وهو يحاور النص الماغوطي من موقعه الخاص مستثمراً بعض إنجازاته الفنيّة وهو يحلّق نحو أفقٍ آخر، تمليه لحظة تجربة شخصيّة وتاريخيّة مختلفة، وعبر تأمل آخر في الأسلوب وعناصره وتعدد منطلقاته وزواياه.

* * *

(مع تغريد البلابل وزقزقة العصافير

أناشدك الله يا أبي :

دع جمع الحطب والمعلومات عني

وتعال لملم حطامي من الشوارع

قبل أن تطمرني الريح

www.alkottob.com

أو يبعثرني الكنّاسون

هذا القلم سيقودني إلى حتفي

لم يترك سجناً إلا وقادني إليه

ولا رصيفاً إلا ومرغني عليه)

هذه النبرة المأساوية ،هذه الصرخة الملطخة بدم الاستغاثة هي من السمات الجوهريّة الأصيلة في شعر الماغوط ومسرحه وخواطره، لكن الزمن العربي خاصة والكوني، مضى ويمضي في قلب صيرورة احتشدت فيها كل عناصر التراجيديا وعتوّ قدرها ورعبها، بحيث أن أنبياء (التشاؤم) واستبطان وحشيّة الوجود والشر، ومن نُعِتو بذلك سيصيبهم الخَرَس أمام هذا المشهد المكتظ بأنقاضه وفنائه، والمكتظ بغياب القيم الروحيّة والمشاعر..وسوء طويّة الكائن البشري الحديث.

لم يعد هناك (الأب) الذي يتوجه إليه الماغوط أو غيره بالنداء، بالاستغاثة ورغبة الإنقاذ صار الهلاك شهية الكائن وطعامه اليومي.

لقد توارى (الأب) تماماً، فرّ من هول المشهد أو داسته الأقدام وسط هذا الزحام العنيف.

مالذي يشعر به قارئ الماغوط في هذه اللحظة بعد كل هذه التحولات والمجازر، مالذي يقول ويشعر قارؤه بعد أن أوغلنا في قلب النفق، وما كان نبوءة واستشرافاً شعرياً، أصبح واقعاً عادياً مفرطاً في عاديته وألفته التي ينكسر أمامها ذلك الحزن الغنائي الشفيف في ضوء القمر، ليتحول إلى حزن سمكة القرش الأسطوريّة وهي تفترس صغارها وبشرها في مشهد قيامي بالغ القتامة والحلكة؟

مالذي يشعر به قارئ الماغوط أمام تطور العبارة الشعريّة العربيّة أمام تلك التركيبات والثنائيات المبنية غالباً على المفارقة، نحو أفق أكثر تركيباً وتعقيداً بالمعنى الفني والدرامي للشعر والكتابة والزمن؟

مالذي يتبقى من تلك القصائد التي هي ليست أفضل ما كتب، الماغوط، والتي تتبدى كألبوم تجميع لصور الحزن والألم والغربة والقمع والقدر الجبري المظلم، التي تتبدى تجميعاً شبه معلب برؤية مسبقة، وليس بحثاً مضنياً في أحشاء الوجود واللغة؟؟

ما يتبقى من الماغوط الكثير.. وكما أشارت الشاعرة سنية صالح بأنه من أوائل من حملوا بوادر قصيدة النثر..وأعتقد أنه وصل إلى أبعد من هذا الحمل، إلى مناطق مدهشة في ضواحي هذه القصيدة التي باتت تشكل ما يشبه (سنترا) أو متناً إذا كان لهذا من أهميّة.

أشير في هذا المقام الاحتفائي برموز وعلامات في تاريخ الشعريّة العربية الحديثة وقصيدة النثر بشكل خاص، إلى أهمية الاحتفاء والكتابة والتقييم لواحد من أهم هذه العلامات بحثاً وعمقاً واستيعاباً للمنجز الثقافي العالمي وسطوعاً في سماء قصيدة النثر، هو توفيق صايغ الذي عانى الإهمال والقمع في حياته التي أفضت إلى الانتحار وما يشبهه وما زال يعانيه بعد موته بقدر كبير من التغيب والتهميش بقصد أو دون قصد.

* * *

www.alkottob.com

نحن ضيوفك أيها الماغوط

عقل العويط

بأي لغة أحتفي بشاعر من طراز محمد الماغوط ؟ بشاعر كهذا الشاعر " البدائي"، المكتمل اللغة منذ البداية، ذي الموهبة الرائية، العارفة كعيني الصقر، والجارحة كطعم العسل المكثف، والحقيقية كصرخة اللحم الحي، والمغدقة دون حساب وقواعد والمنبجسة انبجاساً، والنازفة كما الينبوع الذي ينادم لياليه، ضائقاً ذرعاً بكتماناته وبانتظارات الباطن، إلى أن يحل عليه فجر الخروج إلى سيولة اللذة والشبق.

لا أدري بأي لغة أقترب من شاعر كهذا الشاعر البدوي المقامر الذي يبذل روحه برمتها على الطاولة، كثروة لا ضرورة لها، و تواً، ودفعةً واحدةً بلا تمهيد ومقدمات، مضافة إلى حياته التي يريقها إراقة من يتلذذ بمشاهدة أيامه مسفوحة بكامل همجيتها وحواسها ونزقها وهوسها وضحكتها الساخرة، مرارتها السوداء! لا أدري بأي لغة أقترب من شاعر، كهذا الوحش البري، الآتي من أدغاله، أعاليه إلى المدن والأوطان، بكامل فؤاده وجلافته وبربريته العذبة، ومعه لغة جمة ذات صور مذهلة لا تحتاج إلى براهين كي تخترق، تمتلك، تأسر، بل تنتظر بالتنهدات والرغبات المكبوتة! ولا أدري أيضاً وراء أي ذهول يحتمي القارئ عندما يقرأ شاعراً كهذا الشاعر المرصود لغرائزه القصوى، والمحقون بعواصفه، والمبدد بين نيازكه وغيومه ومبتسماً كرجلٍ ميّتٍ، نازلاً كسيولٍ جارفةٍ، كجبال تمنحها براكينها أن تسيل بلا انتباه، كجحيم مفتوحة على لمناتها من دون أن ترعوي أو تكف أو تتراجع لحظة إلى الوراء في ارتدادة أو في إعادة نظر! فأي شاعر هو هذا الشاعر، لا تحول دونه حافات، هاويات، ولا يبالي بتنكيل الهواجس ولا بهول ما يجتمع بين ضلوعه وحنايا فؤاده، مغمضاً عينيه كي لا تفز منه الرؤى، برعونة طفلٍ يرى في لحظة صعق واحدة، فيهجم بجسده ويديه وجميع حواسه، لينام على النار ويحميها، يحتمي بها، يحتويها ويصير تابعاً لها، ومعه في هذا الهجوم، قلبه الجريح الخائن، حدس الطفولة، فطريتها، بداءتها ،عبثيتها، سذاجتها، براءتها، شرائط أحلامها، خيالاتها!

يفد محمد الماغوط هكذا مدججاً بغاباته، وعوله، أنهاره كمن يحمل خياله المراق فوق بياض الصفحات شبيهاً بسرب أفراسٍ وخيول، تجمح بالشعر والنثر معاً، إلى حيث لا حدود ولا حواجز. فهل من لغة تليق بمديحه سوى الاعتراف الذي يؤكد نبوغ الأشياء، اكتنازها بذاتها ؟! شاعرٌ هو محمد الماغوط، كفى. فلا شيء يزاد لتجميل هذه الكلمة أو لتكريمها والترويج لها، فمثله، شاعراً لا يريد شيئاً ولا يلوي على شيء، ميزته أن يأتي إلى الكلمات مرة واحدة، وفي قصيدة واحدة، صحيح أنه، طبع أكثر من ديوان ومسرحية وأنه ما يزال حتى الآن يشعل حرائقه منثورةً، متأججة، صحيح أنها أعمال محمد الماغوط التي صدرت له عن " دار المدى" في عام ١٩٩٨، في نحيم من ٦٠٠ صفحة، لكن شاعراً كهذا من صفاته أنه يقول كلمته بصمتٍ، وإذا استعاد تلك، الكلمة فكمن يعيد التذكير بأن قصيدة واحدة تكفي، فهو يدلق سيولة روحه وأثقال كتفيه، كمياه الشتاء أو كثلوج الأعالي، لتتكئ على السطور في أعالي الأنفة والكبرياء، أو لتنزل إلى الأعماق وطيات الروح، بل أكاد أقول إنه يحتمل ما يفعل، نباهته الشعرية، الملأى حرفاً شعرياً، نثرياً سرداً، بلاغةً، كما

www.alkottob.com

الملأى عدوانيةً وشراسةً ورقة، جموح تشبيهات، مؤلم وخيال لا يخلو من هول الحكمة الباردة وفظاءتها، بل، من صلف العقل معاً، واليوم بعد اثنين وأربعين عاماً على صدور ديوانه الأول " حزن في ضوء القمر" (١٩٥٩)، ما يزال محمد الماغوط حاضراً بيننا، حتى قعر هجسه وجسدانية لذائذه وأعماق بوهيميته وصرخات ولجلجات أنفاسه، مستخفاً بما يراد للشاعر أحياناً أن يكون، كائناً عاقلاً، أنيقاً في (..) إذ يكفي أنه كتب ليكون فحسب، فشعره لا يحتاج إلى براهين دائمة، متجددة فبرهان واحد يكفي لأنه شاعر تلتهمه روحه ويلتهمها، لتروح تبدد نفسها فوق بياض كريم لا يوازيه في نصاعته إلا بياض كلماته وأنينها، وإن محمولة أحياناً على(تبلي!، توض!يع) وإنشاء، بحبوحة ألفاظ وإضافات وإفاضات. إنه من عهد الينابيع، بياض الفجر، فلا بأس إذا كان شعره هادراً، فوّاراً، هاجماً بشراسة وحش جريح.

لماذا أتحدث عن محمد الماغوط بهذه اللغة؟ عن هذا الشاعر الذي يقول " عيناي زرقاوان من كثرة ما نظرت إلى السماء وبكيت " عن هذا الذي يصرخ " آه كم أود أن أكون عبداً حقيقياً بلا حبٍّ ولا مالٍ ولا وطن" عن حارس الليل هذا، عن هذا الطفل الكبير، البدائي، الشرس، العاشق، الرقيق، الشبع، الغريب، المجهول، الساهر، المتسكع، المسافر، المهرج، المعربد، الشتّام، الصارخ، المعترف، السكير، المتشرد، الحزين ،اليائس، المدخن ،الباحث عن الحرية، العاهر، الحقيقي ،العاري، المستشعر لغة اللحم الحي، الشرقي، البدوي، الوحيد، القاسي،الهاشل، الخائب، الثائر، المتمرد، المتألم كالماء حول السفينة.. لأن تجربته الشعرية ومنذ زمن الستينيات الباهر، هو وأنسي الحاج (على ما لدى الثاني من وهجٍ شعري كياني يرتبط بتجربته، ومن خصوصية كاملة في الهجس، الرؤيا، اللغة، الثقافة، ابتعاد المرمى)، أكثر من أي شعر لبناني أو عربي حديث آخر ! التجربتان اللتان جعلتاني أو من (وقبلهما، زمناً، بدر شاكر السياب من موقع شعري آخر، مختلف، موزون، مفعّل) بأن الشعر العربي "الحديث"– وقصيدة النثر تحديداً – جديرٌ إلى هذا الحد بربط معنى الشعر به أعني أن هذا النوع من شعر الحداثة العربية بالذات، شعر التجربة الذاتية (حصه آ)، متمثلاً، هنا، لشعر محمد الماغوط، هو، في العربية، الشعر الذي أراه يخرج من البكر الالثيذ ارتباطاً بالرنا، الأكثر ذهاباً في جوهر التجربة الذاتية وتجذراً فيها. أي أنه شعر ينبع في طبقات العتمة الداخلة، ينبجس منها، ممسكاً بتلابيب البداهات الروحية القصوى، آتياً من فرادة الأماكن التي تجتمع فيها حقائق الباطن والأسرار واللآلئ والدهشات، ثمة تجارب شعرية عربية كبرى ،أخرى مختلفة وكثيفة ومتنوعة " هذا النوع" من الشعر يؤتى له أن يكتب، مرةً أو مراراً وأن يكتب مجدداً على أيدي رواده، وأن تنتظر جديده في السبعينيات، الثمانينيات، التسعينيات إلى ما شاء الشعر، على أيدي شعراء آخرين، جددٍ أيضاً، بلا تكرار، ليصيب في رأيي الشخصي في مكمن مختلف عن غيره، "مقتل" الحقائق التي أحمث أن يقترن بها التعريف بالشعر، التعرف إليه، هي " حقائق" الشعر الكوني في كل لغة وفي كل مكانٍ وزمان.

" ولدت عارياً وشببت عارياً كالرمح كالإنسان البدائي "،

يقول محمد الماغوط و" يخيل إليّ أنّني أكثر الأموات كلاماً، لقد جئت متأخراً إلى هذا العالم/كزائرٍ غريبٍ بعد منتصف الليل"، لا شيء يربطني بهذه الأرض سوى الحذاء، ف:

[أيهاالمارة..

اخلوا الشوارع من العذارى

والنساء المحجبات..

www.alkottob.com

سأخرج من بيتي عارياً

وأعودإلى غابتي..]

فبمثل نزف هاتين الوحشية والبدائية، وبمثل هذا العدوان الزاخر بغريزة الشعر، يكتب الماغوط حياته، نثره، شعره، قد صعقني ما يكتبه فأحببته عندما قرأته للمرة الأولى منذ أن كنت في الصفوف الثانوية، وما أزال أحبه.فهذا الذي قال يوماً : سئمتك أيها الشعر، أيها الجيفة الخالدة /لبنان يحترق/ يشب كفرسٍ جريحةٍ عند مدخل الصحراء" و " ضمني بقوة يا لبنان/ ألذ أكثر من التبغ والحقائق" و" لا أشعار بعد اليوم/ إذا صرعوك يا لبنان/ وانتهت ليالي الشعر، التسكع /سأطلق الرصاص على حنجرتي " مثله شاعراً، لا يحتاج إلى أن نستضيفه، لأننا ضيوفه على صفحات كانت وما تزال – في عهد بيروت ولبنان وعهدهما- بيته وموئله، بل موئل المغامرة الشعرية والحرية وحتى آخرهما.

* * *

www.alkottob.com

أيها الجلاد الحنون

فواز خيّو

كعادته، صفعنا الماغوط ووضع جائزته تحت إبطه، ومضى هارباً، لعله يروي جوعه وتشرده الأزليين.

هذا الإنسان السادي الثأري المنتقم، لا يحلو له إلا أن يمارس دور الجلاد. وما عليك إلا أن تخلع ملابسك، وتسلم قدميك وظهرك لسياطه. لا يأبه لصراخك، لأنه يؤدي واجبه. فهو يقدم تقريراً عن حال الأمة..

هكذا عذب قبل نصف قرن. خرج من السجن عارياً، جائعاً، متحشرجاً، وصوته ظل حتى وفاته يحمل كل حشرجة وأنين هذا الشرق، منذ الأزل وحتى الأبد..خرج، ولا همّ له إلا أن يمسك سوطه ويجلد ويجل، لكن ليصرخ القارئ، لا ليصمت..

أيها الماغوط: كم نبياً تقمصت وكم وكم.. وظل الناس كعادتهم، يصلبون النبي إثر النبي، ويمزقون تعاليمهم، حتى أصبحوا مزقا..

إلى الجحيم.. لن أبكيك، ولن أرثيك، لأنك لم تدعنا وشأننا. لأنه لا يكفينا كل خيبات وانكسارات ومرارات الحاضر وظلمة المستقبل؛ حتى نبشت كل جحيم الماضي، ورشقته في وجوهنا؛ لنضرب رؤوسنا في الجدار ألف مرة قبل أن نصحوا..

هل انتبهت مرة، إلى أن كلمة الشرق هي الشر، مضافاً إليها حرف القاف؟ والقاف هنا قاف القسوة، قاف القهر..

لقد استنفذت بكاءنا قبل أن ترحل. لهذا؛ فلم نعد قادرين على بكائك. ولا يهمنا أصلاً رحيل جسدك المتهالك، المسدودة شرايينه كشرايين هذه الأمة؛ طالما روحك تزفر في كل حرف تركته.. قد نهزم كما هزمت. لكن لا بد أن يرتفع في هذا الشرق مكان، لنغرس عليه راية استسلامنا..

* * *

خلافاً للكثيرين، كان الماغوط يكتب بالسكين، أو بشفرة حادة. كانت أصابعه تقطر دماً. كانت كل قصيدة أو زاوية أو مسرحية، عبارة عن مشرحة، يدخل إليها هذه الخارطة الجثة، لعله يشخص سبب شللها. وفي كل مرة، نفس النتيجة، إنها غياب الحرية.. غياب الآخر. وما موسيقى نينوى إلا ترجمة موسيقية لأدبه، لنحيب هذا الشرق عبر العصور..

لو أردت أخذ عينة من قسمات أو بصمات الماغوط؛ لوجب عليّ أن أضع خطاً تحت كل جملة كتبها لكن توقفت أكثر عند هذه الجمل:

- (إذا كتبت أموت من الخوف، وإذا لم أكتب أموت من الجوع.
- مشكلتي في هذا الوطن، ليست مع اليسار أو اليمين، ليست مع كذا أو كذا، مشكلتي: إمّا نسر خائف أو فأر مطمئن.
- حتى جوادك قد يكون مكلفاً بمراقبتك..

www.alkottob.com

- دبّاح عملاق داخل السجن، وحشرة خارج السجن، وفلان عملاق خارج السجن، وحشرة داخل السجن، بيدي قدمت له القهوة والطعام فيما مضى، وبيدي جلدته، كنت أرتعب منه خارج السجن، ويرتعب مني الآن في السجن، ولا أدري إلى متى سيستمر هذا السحاق الحيواني بيننا وبين العالم).

قدم نفسه عارياً للناس. أراد أن يقول لهم: أنتم لكم عورات أيضاً، فلماذا تخفونها؟. أظهروها ولا تخجلوا منها. فقد تستطيعون تشذيبها، وربما تجميلها..

كان في جملة أو عبارة، يختصر واقعاً بكامله. فهو يكره التنظير والفذلكة.. كتب مرة على غلاف مجموعة لزكريا تامر ما يلي: (كان زكريا حداداً فظاً. استيقظ على وطن من الفخار؛ فحمل مطرقته، وراح يهوي). كانت هذه الكلمات أبلغ من كل الدراسات النقدية، والندوات التي ناقشت أدب الكاتب الكبير زكريا تامر..

* * *

منذ خشونة أظافري؛ تشرّبت الماغوط، وكان أحد هرمين تعودت أن أجلس وأفيء في ظلالهما، هو وشاعر العربية الأكبر عمر أبو ريشة.. وبعد رحيل أبي ريشة؛ بقي الماغوط ملاذي الأخير..

التقيته أول مرة عام ١٩٨٩، لأقدم مجموعتي (سفر في الجنون)، مهداة إليه–ومجموعة (طائر في الفضاء الوعر)، مهداة للاثنين–وكنت حذراً من مزاجيته التي حكوا كثيراً عنها. وبما أن زمرة الحزن واحدة، فقد كنت عارياً أمامه. ورغم أني واحد من كثيرين، لم يجدوا بي ما يمكن أن يحب؛ فقد نشأت بيني وبينه محبة لا تحد.. لم ألمس ذرة من مزاجيته في جميع لقاءاتنا، ورغم فارق السن؛ فقد كنت أروي له أقذع النكات، وكان يضحك ملء فمه.. كنت أقرأ له قصائدي، وكان يصغي باهتمام كبير، ونتناقش في الأدب والفن والسياسة وغيرها. وإذا غابت زاويتي في الجريدة؛ يتساءل بمحبة عن السبب. إن متابعته لزاويتي كانت تشعرني بفخر كبير، وتحفزني على المثابرة.. كان كلما التقيته يستفسر عن كل أموري، بما فيها الشخصية، وكنت أستشيره حتى بمن يمكن أن أتزوجها، وكان ينصحني بحرص وبحزم أحياناً، كأن يقول: هذه تصلح عشيقة، ولا تصلح زوجة.

وحين تزوجت ولم يستطع الذهاب على السويداء؛ زرته أنا وزوجتي بعد مدة. تساءلنا: ماذا يمكن أن نأخذ هدية للماغوط؟ هل نأخذ مزهرية معبأة بأزهار دمشق؟ لكنه يكره كل ما هو تقليدي.

وفجأة، ونحن في السوق لمحت نسراً رائعاً محنطاً.. وكانت لحظة الإنقاذ. وقدمنا له النسر، وقلت له: النسر يحتاج إلى نسر يؤنسه، حتى لو كان محنطاً.. كان رائعاً وفرحاً بحضورنا، واحتفى بنا كأننا ولداه.. بعد خروجنا من عنده، قالت لي زوجتي مازحة: ماذا وجد فيك الماغوط كي يحبك؟ قلت ضاحكاً: نفس الشيء الذي وجدته قبل أن تكتشفيني..

رغم كل هذا، فقد انقطعت عن زيارته في الفترات الأخيرة. ليس لضيق الوقت، ولا لبعد لمسكن–فليس هناك أهم من زيارة الماغوط– لكن لضيق الروح، وسط هذا الكون الضيق.. لقد أصابني بعدوى عزلته، وفرضت على نفسي شبه إقامة جبرية، وكان يغفر لي بلادتي، ويسأل عني دائماً. وبينما كنت أهم بزيارته، كان قد حزم حشرجته وقلبه للرحيل..

سيظل الماغوط رائداً دون أتباع في قصيدة النثر، لأن أتباعه عجزوا عن أن يحمّلوا القصيدة نفس الشحنة، التي تجعلك تتغاضى عن غياب الوزن. وبالنسبة لي، فقد كنت تلميذاً روحياً فقط، وحافظت على حكم ذاتي، إذ كتبت قصيدة التفعيلة، ولم أكتب قصيدة النثر.

www.alkottob.com

في حوار أدبي لصالح إذاعة قطر قبل سنوات؛ سئلت: هل قصيدة النثر مرحلة من مراحل تطور القصيدة؟ قلت: إذا كانت قصيدة النثر مرحلة، فما هي المرحلة القادمة؟ هل قصيدة الكلمات المتقاطعة؟ وإذا كنتم تستشهدون بالماغوط، فالماغوط ظاهرة، والدليل أن كل الذين قلدوه فشلوا فالظاهرة لا تتكرر. أنا باختصار أنظر إلى الماغوط على أنه شاعر فرنسي كبير، ولد وعاش هنا وكتب بالعربية.. وفي الزاوية الساخرة، يعتبر رقم (١) عربياً دون منازع. ذات مرة كتب نبيل خوري رئيس تحرير مجلة المستقبل يقول: (رغم أني رئيس تحرير ولدي خبرة عريقة في الصحافة؛ فإني أتحول إلى قارئ عادي، عندما تصلني زاوية الماغوط). وفي المسرح أبكى وأضحك الملايين، على امتداد هذه الجثة، راسماً أدق التفاصيل في هذه الجاهلية العربية الحديثة..

ها نحن نكرمك يا أبا شام، كما كرمنا من سبقوك، وربما نقتلك كما قتلنا من سبقوك..

سؤال: روسيا بعظمتها، تعيش على تراث بوشكين وغوغول وتولستوي، وقال تشرشل مرة إن بريطانيا مستعدة للتخلي عن كل مستعمراتها، ولكنها ليست مستعدة للتخلي عن شكسبير.. ونعلم ماذا يمثل بودلير ورامبو وأراغون وغيرهم في الضمير الفرنسي. وسورية هذه الدولة الصغيرة الحجم، قدّمت الكثير من أمثال هؤلاء، مثل عمر أبي ريشة ونزار قباني والماغوط وأدونيس وبدوي الجبل، وفي المسرح سعد الله ونوس، وفي الرواية حنّا مينه والعجيلي، وفي الفن لؤي كيالي وفاتح المدرس وغيرهم. وكل هؤلاء كبار كبار. ماذا شكلوا عند السوريين، وأين الكلمة المفقودة في هذا الجواب؟؟

التكريم الحقيقي لا أن نمشي في جنازاتهم، فهم مشوا دون أن ينتظروا ذلك، وليس هذا مطمحاً لهم.. التكريم الحقيقي هو أن نضع نتاجهم في متناول الأجيال، لنجني الفائدة من القيم التي رسخوها، لا أن نحشوا كتب الدراسة بأدباء ليسوا معروفين في حاراتهم..

كم أشعر بغصة، حين أرى ابن أديب أو أخاه، يكتب عن هذا الأديب كي يذكر الناس به..

تحية أيها الكبير، تحية أيها الكبار.

www.alkottob.com

حتى نهاية الكلام

الياس خوري

قال محمد الماغوط إنه لم يكن يعرف أن نص "القتل" الذي جعله شاعراً، كان قصيدة. قال إنه كتبه كي يكتب، وجاء الشعر. أما كيف ولماذا فالماغوط لا يدري، وظل لا يدري حتى مات مستلقياً علىالأريكة والسيكارة في يده. روى في حواره الأخير مع عبده وازن ("الحياة" ٤نيسان٢٠٠٦) إن أحدهم قال إنه إله الشعر. هكذا تولد الألوهة من العدم. فهذا القروي جاء إلى المدينة كي يهرب منها، دخل السجن من طريق المصادفة، وكتب الشعر كأنه لا يكتبه. لا رهبة ولاخوف، لا قراءة ولا معاندة، خرجت الكلمات من بين أصابعه كما يخرج الماء من النبع، ومشت في طريقها إلى البحر. وكانت مجلة "شعر" بحرها الصاخب. في بيروت اجتمع فرسان الكلمة القادمة من سورية، يوسف الخال وأدونيس ونذير العظمة وفؤاد رفقة.

سوريون مهاجرون في سورية، هكذا علّمهم أنطون سعادة. كبيرهم جاء من أميركا وافتتح المسيرة بمحاضرة شهيرة في "الندوة اللبنانية" هاجم فيها سعيد عقل. واتسعت القافلة، ودخلت في سحر الترجمة، والانبهار بالشعر الغربي.

ترجموا إليوت وعزرا باوند، ترجموا رامبو والسورياليين وسان جون بيرس، وأذهلهم "الغصن الذهبي" لفريزر الذي ترجمه جبرا إبراهيم جبرا، وانضم إليهم السياب، واكتشفوا شعر أنسي الحاج الملعون، وبراءة شوقي أبي شقرا الريفية، وذهبوا في التجربة حتى "جدار اللغة"، كما كتب يوسف الخال.

تخلوا عن انتمائهم الحزبي محتفظين منه بنخبوية رافقتهم دائماً، لكنهم تصرفوا وكتبوا في وصفهم رسل الحداثة وأنبياءها الصغار.

كانوا يتموجون بين تراثين، يرفضون الشعرية العربية الكلاسيكية من أجل تبني شعرية الحداثة الأوروبية، قبل أن يكتشفوا أن المصالحة بين التراثين ممكنة، "أبو نواس بولدير العرب"، و"أبو تمام مالارميه العرب"! مثلما كتب أدونيس في مقدمته للشعر العربي.

لكن المفاجأة جاءت من مكان آخر. هبط عليهم شعر يتدفق نثراً، يقول النثر كأنه شعر، ويذهب إلى الغرابة الطالعة من خيال قائم علىالتشابيه المباشرة. لم يأت الماغوط من أي من التراثين، ولم يكن في حاجة إليهما. جاء كفلاح يقطف ثمار اللغة من دون عناء، وقال حكايته البسيطة التي أعاد كتابتها في جميع قصائده. إنها حكاية فلاح يعيش على حافة البادية، يصرخ بالتمرد، ويلهو بالصراخ. ينتشي بفجاجة الصورة الشعرية، وبحزن "تحت ضوء القمر". مزيج من الرومنسية والواقعية، صور سوريالية كأنها آتية من اللاوعي، ووعي حاد بأن الشاعر يسخر من العالم ومن نفسه، من الثقافة والحداثة، من القهر والقمع ومن الحرية أيضاً.

نبت شعر الماغوط كحشائش برية على حافة شعراء الحداثة الذين أخذوا الشعر كرسالة، وصنعوه بجدية مفرطة. كان السياب يكتب الإيقاع الجديد في "أنشودة المطر"، وأدونيس يبحث عن مزيج النبوة والهرطقة في "أغاني مهيار الدمشقي"،

www.alkottob.com

وأنسي الحاج يصنع من التمرد لغة في "لن"، بينما كان الماغوط يلهو بالشعر ويسطّر حكايته الرومنسية تمرداً مجانياً وسخرية وتهكماً.

لا أستطيع فهم ظاهرة الماغوط من دون ربطها بظاهرة زكريا تامر. مثلما جاء الماغوط كصاعقة شعرية، جاء زكريا تامر كنبرة جديدة في القصة القصيرة. كان صاحب "النمور في اليوم العاشر"، و"دمشق الحرائق"، يلهو بالقصة في وصفها مزيجاً سوريالياً رومنسياً: كأنهما رسما تجربتيهما على هامش خريطة أدب الحداثة. مزيج بدائي وحلمي في الآن نفسه. عرف زكريا تامر أن يهذّب أحلامه بالمثابرة على كتابة القصة، أما الماغوط فجعل من المسرح ميداناً للهوه الشعري.

هذه التجربة الشعرية الخاصة صنعتها ثلاثة دواوين. الديوان الأول "حزن في ضوء القمر". نشر عام١٩٥٩، وبعده بعام نشر الديوان الثاني: "غرفة بملايين الجدران"، أما الديوان الثالث والأخير "الفرح ليس مهنتي" فنشر عام ١٩٧٠. أي أن الماغوط صمت شعرياً منذ ستة وثلاثين عاماً.

شعر مصنوع بالصمت، وحكاية سلاحها المفارقة. صرخة ضد القمع والقهر والعسكريتاريا. بقيت ضمن الحدود التي تصل إليها الحنجرة، ونداءات لا تنتهي، فالشاعر يخاطب عالماً أصم وآلهة لا تستمع إلى صرخات الاستغاثة، وحياة حصادها الوحيد عبث وموت.

صور مفارقة تصطدم، ونثرية تقترب من الحكي في بنيتها لكنها تفاجئ بتشابيهها الغرائبية والمجانية، وشعر مفلوش أحياناً ومقتضب أحياناً أخرى. قصيدة الماغوط عصية على التطور، لأنها ذاهبة من لا مكان إلى لا مكان. حتى المسرح العبثي –السوريالي في "العصفور الأحدب" سوف يتحول مسرح سخرية تصل إلى حدود الوعظية مع مسرحيات دريد لحام الماغوطية.

هذا اللاتطور جعل من دواوين الماغوط الثلاثة أشبه بديوان واحد، صورة واحدة تكفي من أجل كتابة قصيدة، سبق للشاعر أن كتبها، لذا لن يكتبها من جديد. غناء بلا موسيقى ورومنسية تحطم نفسها وشعور هائل بالغربة والوحشة. لذا لم يستولِ الماغوط على ذاكرة البسطاء والفقراء الذين كتب عنهم، بل استولى على ذاكرة الشعراء الذين سحرهم بقدرته على المفاجأة وبصوره العارية والجارحة. فبدا شعره وصفة جاهزة من أجل التحرر من قيود الشعر وصعوباته.

صرخ الماغوط كثيراً في وجه هذا العالم القبيح، لكنه لم يحاول تغييره. كأن الصوت يجب أن يستخدم حتى يحّ، والكلمة يجب أن تقال حتى نهاية الكلام.

قال الماغوط حكايته منذ السطر الأول، وتوالت السطور والمسرحيات والمقالات، وامحت المسافة بين القصيدة والمقال وبين الشعر والنثر. لقد نثر الماغوط الشعر وشعرن النثر، لكن حكايته الكبرى تكمن في قدرته على تحويل الحياة إلى نكتة سوداء لا نملّ من سماعها.

* * *

www.alkottob.com

سلاماً.. فأنت تعود إلينا!

عبد الإله الرحيل

..فوق الجلد أشعر بدفء الدمعة ومرارتها!.. فهل ترانا نبكي زمناً مضى تساوى فيه الحب والكراهية أم ترانا نبكي زمناً قادماً يختلط فيه الأصيل بالهجين والعملاق بالقزم..أم ترانا-في منحى ثالث وليس الأخير!- نبكي زمناً حاضراً اختلطت فيه قوافل من أهل المدينة بقبائل البدو وشراذم من الغجر؟..

فوق الجلد أشعر بحرقة الدمعة.. فهل نحمل ما تبقى لنا من العمر لنذهب به على أكتافنا وندخل مسرعين بأعصاب واهنة إلى كهوف مهجورة.. كي نبتعد عن أكاذيب عالم العولمة.. بعد أن أوصلونا إلى حد القرف من سماعهم.. وهم يعترفون "بآلاف الأخطاء التكتيكية في العراق".. أمر ترانا نبحث في أحلامنا عن مروج تستحم بالشمس وتبترد بالليل؟

نجيء إليك يا أبا شآم!-متأخرين!.. دائماً نجيء إليك متأخرين!.. فلا نستطيع أن نحمل "عصفورك الأحدب".. ولا نستطيع أن نرتدي بقية قميصك الذي سرق خياط قماشه ذات يوم، ذات سنة.. ذات عمر!!

نجيء إليك وأنت الذي ألتقيته مصادفة؛ ربما للمرة الأخيرة.. على مقربة من مكتبة الأندلس؛ وعلى مقربة من فندق الشام.. وعندما رأيت شحوباً وتعباً على وجهي.. ربت على كتفي وقلت لي بمنتهى الود:"خذ حذرك.. فلا سعادة مع فقدان الصحة!!"

نجيء إليك متأخرين.. لأننا دائماً نحاول أن نأتي ونحن نحمل فوق صدورنا ورداً من نشيج ياسمين دمشق.. وكنا دائماً نكتم عنك غياب الأوطان وأحاديث التشرد وغيوم الجوع.. كنا دائماً نكتم عنك بخجل مكثف سيل هزائمنا وطوفان دسائسنا.. ولكنك؛ وأنت تستشف ما نكتم ونداريه بين القلب ورفة العين.. كنت تقول:، وكأنك تستوحي قصيدة عن الأرض الخراب والبشر والموت :"كل ما فيكم أنا.. إلا أنا"!!. نجيء إليك متأخرين.. ونحن نحمل أثقالاً من قابيل وهابيل.. وأحزاناً من داحس والغبراء.. ولكنك كنت تبتعد بعينيك عنا.. حيث دجلة والفرات.. وحيث ملايين الأشجار من نخيل العراق قد اقتلعتهما جنازير الدبابات الأمريكية!.. نجيء إليك متأخرين. وأنت الذي لم تتأخر عن مواجهة الطغاة والأذناب والأذيال.. كانت زيتونة واحدة من "المطربان" الذي اشتريته يوماً من السنجقدار ففوجئت به وقد تعفن.. فما كان منك إلا أن احتفظت بتلك الحبات.. لتنهال بها واحدة وراء الأخرى على أصحاب الشعارات التي يبيعونها لنا ولا نملك إلا أن نصفق للكلمات اللامعة.. ولكن عندما نحس أن إحدى زيتوناتك ترفع راية الاعتراض على حماستنا فقد كنّا نتوقف لنلملم غبارنا من الأندلس وحتى بغداد.. ثم نهمس:"بلا العرب أوطاني"!

يا أبا شآم!.. بكل الود والحب أتذكرك فأتذكر نفسي.. أتذكر أن أحلامك في وطن عربي واحد قتلتك.. وأتذكر أن أحلامي في وطن عربي واحد.. تتربص بي.. لتقتلني في لحظة ما!.. أتذكرك وأنت تهرب من نفسك إلى نفسك لأن أمنياتك التي ظننتها لوهلة زئبقية من الزمن هي في متناول اليد.. كانت مجرد أوهام وادعاءات.. فرسمت بشعرك صورة مرعبة لأحذية ضخمة بمسامير مسمومة لتخرس كلمات تتطلع إلى الفضاء.. وتستشف النقاء والهواء النظيف.. ولكنك

www.alkottob.com

كنت تعاني من التهاب الحنجرة بسبب التلوث في الأدب والسياسة والشعر.. والنفاق!! نجيء إليك متأخرين.. لا لنرثيك ولكن لنرثي أنفسنا فيك.. فها نحن مقتولون، حتى إشعار أخر.. وهانحن صامتون حتى إشعار آخر.. وها نحن قد وضعنا أنفسنا في قوالب الكلمات الجاهزة.. والأناشيد الجاهزة والزجليات التي تتمايل على الدف والطنبور.. وعندما تطلعنا في المرايا.. خجلنا من أنفسنا.. فماذا عساها تقول المراثي عن انهزاميتنا ونفاقنا ورقصنا على حبل الغرب الظاهر.. وحبل الغرب من وراء الكواليس؟..

يا أبا شآم!

الزمان الذي نعيش من انحدار إلى انحدار!

المكان الذي نعيش من مساحة إلى مساحة أضيق؛ من مدينة واحدة إلى مدن متعددة؛ من جبل إلى جبال.. ومن وديان إلى وديان.. فهل تراني أستذكر مع من قال:"أصيح فيكم.. أين رجولتكم؟!" قلت لي يوماً إنك ستعود إلى قراءة الروايات الكلاسيكية.. من فيكتور هيجو.. وحتى تشارلز ديكنز مروراً بآرنست همنغواي.. وطلبت إلى أن "أعيرك آخر ما أقرأ".. فكانت معي: "الأشجار واغتيال مرزوق" و"البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا.. إنها الإعارة التي أعدتها إلي بعد فترة من الزمن.. ولكن طلبت إليك أن تتقبلها مني هدية من عبد الرحمن منيف وجبرا إبراهيم جبرا.. وكنت شخصياً –حينذك– أعود إلى تشارلز ديكنز في "قصة مدينتين" فأرسم صورة (الدم) وهي مرسومة على أرصفة باريس!..

يا أبا شام!.. تركتنا في لحظة عصية على الشرح والتفسير.. ولكننا سنظل نرفع الكأس.. لنقول: "كاسك يا وطن"!..

سنظل دائماً نعيش على عجل.. ونكتب على عجل.. ونضحك على عجل؛ ونغني (شعرك–آلامك) على عجل.. فلربما تأتي زرقاء اليمامة وتقدم لنا عصفوراً لا يعاني حدبة أو عرجاً أو حولاً.. فنرى من خلاله أرضاً خضراء هي وطننا العربي.. ولربما من خلالها نرى رجالاً يسمعون خبطة قدمكن ع الأرض هدارة".. فيتقدمون قبلنا إلى الأرض لزراعتها.. ويتقدمون بنا إلى الإنسان ليدق بقدميه الأرض.. فتنبع ماء وعطاء.. وتتلاشى فيه الأحذية الضخمة والمسامير المسمومة!

* * *

www.alkottob.com

عليك السلام

إلياس مسوح

- "تذكر، قلتَ لي ستذهب معي إلى السلمّية. وأنا ذاهب في السابع عشر من نيسان الحالي. أما زلت عند وعدك؟
- أكيد. قلت له. سآتيك إلى دمشق، ونذهب معاً.."

* * *

كان هذا آخر كلام بيننا في مساء الثاني من نيسان الحالي. ظهر اليوم الثاني، الثالث من نيسان، اتصل رفيقه وطبيبه وابن أخته الدكتور محمد بدور هاتفياً إلى مرمريتا وقال:لزوجتي ليلى: خالي مات. كيف سنبلّغ أبو نائل؟

وأيقظتني زوجتي من النوم وقالت: نقلوا الماغوط إلى المستشفى وسكتتْ.. لكنني استشعرت أن وراء هذا المستشفى كارثة.. ثم تحققت منها بعد لحظات.

إذن فالماغوط قد مات.. وما عرفت كيف أحزن. ثم للحال نشأت بيننا مشكلة إضافية. فقد ربح رهان مني. وذلك أننا، منذ حوالي سنتين، كنا في رهان : من منّا سيحضر جنازة الآخر، أو يكتب رثاء فيه. وذات يوم كتب مرثية مسبقة ونشرها في كتابه: شرق عدن غرب الله. وحين أبلغني ضحك وقال: روح بلّط البحر. وهكذا لم يبق أمامي غير تبليط البحر، الذي كنا شرعنا في تبليطه معاً منذ أن بدأوا حشر القوميين في السجون أواسط العام ١٩٥٥ وكان نصيبنا في سجن المزة. كان هو في بداياته الكتابية. وأذكر أول قصيدة له: المسافر فأخذتني. وحين التقينا في السجن اعتبرت أنني قبضت على واحد من أحلامي الكبار. فقد عرفت ذلك الماغوط الرائع، وعرفت أنه من رفاقنا أيضاً. أمضينا تسعة أشهر معاً في مهجع واحد وتعارفنا جيداً.

في الأثناء التقينا أدونيس، الذي كان في المهجع المجاور. وكنا نراه خلال فترة "التنفس" لكن كان الكلام ممنوعاً في داخل المهاجع وخارجها ذلك الوقت. كنّا فقط نتبادل القرآن الكريم ونقرأ. فهو الكتاب الوحيد الذي أُجيز لنا أن نقرأه. ثم تشاركنا في السيجارة الواحدة إلى همس الكلام. فقد كان التدخين ممنوعاً طبعاً. لكن، بالتهريب، كنا نشتري علبة دخان خصوصي للجيش بقيمة ٥٠-٧٥ ليرة سورية نجمعها من بعضنا في المهجع.. ثم نتوالى على السيجارة في "الحمام" –داخل المهجع، كل اثنين أو ثلاثة للسيجارة وكانت سيجارتي مع الماغوط.. وكانت تلك أول اشتراكية فعلية طبقت في البلد..

ثم خرجنا معاً في نفس اللحظة من باب المزة.. وذهبنا كل في طريق. هو للالتحاق في قطعته العسكرية وأنا كذلك، حيث كنا، كلانا، نؤدي الخدمة الإلزامية. ولم نلتق بعد ذلك إلا في لبنان. وهناك استأنفنا سيرتنا معاً. فقد عملنا في جريدة "البناء" وراح الماغوط زاوية يومية ساخرة جعلت منه نجماً ساطعاً في غضون وقت قليل. وهناك انضم إلينا كمال

www.alkottob.com

خير بك وفؤاد الشمالي وإلياس الديري. لكن الماغوط ظل أقوانا سطوعاً ودخل الأجواء الكتابية اجتياحاً. فقد بات قمر الليل وأضحى شمس النهار.

في هذا الوقت كان أدونيس قد برز بدوره رائداً شعرياً كبيراً. كانت "شلّتنا" أكثر ما نلتقي في مقاهي الحمراء والروشة والأنكل سام وفي منزل الصديق رضا كبريت في رأس بيروت. فيما كنت والماغوط نذهب أحياناً إلى زيارة أدونيس في منزله بمزرعة يسدع حيث كان يقيم مع زوجته خالدة صالح ووالدته البهية وكذلك شاعرة سنية صالح، شقيقة خالدة. وهناك تعارف محمد وسنية وأصبحا زوجين في ما بعد.

ثم دخل الماغوط، عبر أدونيس، إلى مجلة "شعر" من خلال ملحمته الكبرى: القتل، وهي من صور المعاناة في المزة. هنا صار الماغوط كل شيء وبرز كنجمة وحشية في سماء الحداثة الشعرية التي كانت مجلة "شعر" تحاول إطلاق بداياتها في بيروت.

ولم يبق من تلابيب المجد شيئاً إلا وأمسك به الماغوط، مجتاحاً عمارة الشعر، من كل النوافذ والبواب، من غير قواعد أو قوانين. وإلى ذلك في كتابته الساخرة اليومية في جريدة "البناء" وفي حضوره الشخصي الباهر وجرأته المثيرة على كل قواعد "البروتوكول" والعلاقات.

* * *

وعند محاولة القوميين الانقلاب مطلع الستينيات تفرّقت بنا السبل من سجن إلى فرار، ثم انتهينا في الخليج ولم نعد نلتقي. هو عاد إلى الشام ليستأنف مسيرة المطاردة ورفيقته سنية، بينما بقيت أنا في الكويت إلى ما بعد الغزوة الصدامية حيث لم يكن بدٌّ من العودة إلى دمشق، الصخرة الوحيدة الباقية للرجاء..

وعدنا التقينا. لكن، قبل ذلك؟ كنت قابلت الرئيس الراحل حافظ الأسد عدة مرات. وكانت حوارات مطولة. وفي إحداها تحدّثنا عن محمد الماغوط فقال لي الرئيس الأسد إن الماغوط عظيم جداً، لكنه سوداوي زيادة. إلاأننا نعتز به ونفخر.

"وحمّلني الرئيس تحياته إلى الماغوط..

وأبوابي مفتوحة لكما وقتما تشاءان.."

* * *

ودائماً، عبر هذه المسيرة، كنّا أعداء لأجسامنا. ولذلك راحت شمسنا تميل باكراً، نحو الغياب: أمراض، عمليات جراحية. مستشفيات. وكنا نتبادل الزيارات المرضية وأسماء الأدوية بدل القمصان والكرافتات، كما قال هو في رثائه المسبق لي. ومن هنا قام الرهان بيننا. من منّا سوف يكتب رثاء في الآخر. لكنني خسرت الرهان كما ترون. وذهبت إلى السلمية مستنداً إلى عكازي، فيما هو أعطى عكازه للوطن ورحل دون أن يرى المنزل الأهلي الذي كان مشتاقاً إليه ودعاني إلى مصاحبته إليه ليلة كان يتهيأ للذهاب ميتاً.

كان مفجعاً جداً أن أذهب إلى السلمية من دونه. وحين وصلت تلقاني أهله بالعتاب: أين محمد. ولم يكن قد بقي لدي كلام أو دمع حين رأيت كريمته شام..

* * *

محمد الماغوط ليس صديقي الشخصي فقط إنما هو إعجابي على توالي الأيام.

www.alkottob.com

محمد الماغوط سلام عليك

أيها البدوي أيها البادية

أيها البحر، أيها الرحيل

سلام عليك

وأختم بالكلمة التي كتبتها ونشرت على غلاف كتابه سياف الزهور:

أكون جالساً فأقف

أكون نائماً فأصحو

أكون غباراً فأصير رياحاً

أكون صحارى ورمالاً

فأصير غابات وسهولاً

أكون متاهة وضياعاً

وأكون نهر عيون ورماداً

فأصير حضوراً وتلالاً من بهاء النار

وأمسك في يدي وطن الورد والبكاء

فأكون طلعت بشيء

من محمد الماغوط

أحد أطول قامات الشعر

في كل العصور..

* * *

www.alkottob.com

الراحل المقيم

خيري عبد ربه

"يحدها من الشمال الرعب، ومن الجنوب الحزن، ومن الشرق الغبار، ومن الغرب الأطلال والغربان.. تلك هي حدود سلمية كما حدها محمد الماغوط، معيداً صياغة الأبجديات، بعيداً عن المألوف والمتداول من رموز الجغرافية.. وكانت هذه الحدود التي تشبه كثيراً مدن الشعراء ومساقط رؤوسهم، هي الأكثر قدرة على تجسيد الواقع الداخلي الذي يعيشه الشاعر.

والماغوط في حياته التي تميزت بالشغب والبساطة والقدرة على رفع العادي إلى مستوى الإعجاز، استطاع في مسيرته أن يلتقط اللحظات العابرة، البسيطة، اليومية، وأن يجعل منها زمناً شعرياً يمتد بعيداً في وجدان من عرفه، استطاع أن يبني بالكلمات البسيطة التي تشبه كثيراً عشاء الفقراء وطناً شامخاً لا يقتله الرصاص ويصعب على اللصوص استباحته ونهب نبضه الإنساني الذي ينبض في الداخل.

من الشمال الرعب، أية بلدة هذه التي يُسقطها الماغوط على روحه فيرى فيها حدوداً لا نهائية من الرعب.. الرعب الآتي من الأيام التي تلد الحزن، في البعيد من روح الشاعر، حيث الحزن مملكته التي يأوي إليها وتشعره بأنه المختلف، المتحرر من الفرح الطارئ الكاذب الكذوب..

احترف الماغوط الألم، عاشه كقطعة من روحه ووجده في يومياته وتفاصيلها الصغيرة.. وجده في "الفرح ليس مهنتي" وفي ملامح عصفورة الحدب، وفي مشهد الموت الذي حاصر حبيبته سنية الصالح حتى اختطفها منه دون أن يلتفت لانكسارات روحه.. سنية التي يقرأ في ملامحها كل ما يذكره بالقلوب الصغيرة البريئة، الخائفة والجائعة والمنحازة إلى لحظة أمن وأمان بعيداً عن شبح القهر والموت.. يقول في مقطع من شبح سنية:

ما دمت منطوية على نفسك كراهبة

في دير

ماذا تعنيك ضجة الشوارع؟

وسير فلان وفلان؟

بل ماذا تعنيك فراشة غبية

هربت وهي تحوم حول مصباح ما؟

إلى أي أمل أو يأس تشير؟

*** * ***

وتلك الأسنان الغارقة بالدم واللعاب

وعواء السنابل

www.alkottob.com

إلى أي مجاعة تشير؟

وشعرك الأصفر كذهب الفقراء

والأحمر كدماء النحر

بأي أضاح يحلم وبأية أعياد

وصورة الفاجعة، والموت المجاني، والبشر الذين تحولوا إلى حلزونات بشرية تدهس بالقدم وتحت جنازير الدبابات.. كل ذلك يجعل مخيلة الشاعر مثقلة بوجعها، قادرة على سماع صوت الدم ورؤية رائحته..

لطم وندب وأكفان في كل مكان

هل تبصقين قبوراً في أحلامك

ثم ما هذه الظلال الجلية كسيوف وحواجز

سابحة في الهواء

في التفاصيل.. تفاصيل حياة الماغوط الشخصية وتفاصيل ما يكتبه من شعر ومسرح وهزل ومقالة.. حضر الحزن، قوياً، جلياً، وقحاً، وكأن الحزن سمة الحياة البداية والنهاية معاً.

لقد أصابت سنية الصالح بإحساس نقدي كبير حين قالت: إن الماغوط كان من أبرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل، ودخل ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودفاتره بوادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث..

مختلفاً جداً عاش الماغوط ومختلفاً كتب، ومختلفاً مارس الحياة.. لم يجلس خلف طاولة ليكتب إبداعاته، كانت ركبته طاولته المتنقلة يكتب عليها كلما ضاقت عليه الأرض وقل الأوكسجين حوله.. مختلفاً، ومتناقضاً حتى الانسجام بقي الماغوط عبر كل كلمة هرب روحه إليها.. وحين رحل كجسد، عاد ففاجأنا في تفاصيل حياتنا. في دفاترنا المدرسية، وجلساتنا،وحلقات البكاء والصخب التي نعقدها في الداخل. والسجن بالنسبة له كان على الدوام مصدر إلهام منحه قوة الروح المتجاوزة، المتحدية، الماردة، فانتصرت الكلمات وسقطت جدران الزنزانات والسجون التي حاولت مراراً سحقه؟..

إن الانتصار الذي يؤكد خلود الكلمة وقدرتها على تجاوز الجغرافية إلى التاريخ والموت إلى الخلود ما دامت الحياة.

أتساءل أخيراً.. هل رحل الماغوط؟

ببساطة.. إنه، بيننا ما يزال مشاغباً يحمل العصفور الأحدب على كتفه ويفاجئنا كلما اختلينا إلى أنفسنا في لحظة انكسار وكلما حاولنا استجماع روحنا العملاقة العطرة لتجاوز عفن الأيام القاسية وكلما أعدنا الكلمة الأكثر شهرة: في البدء كانت الكلمة.. وما دامت الكلمة في البدء فمن الطبيعي أن يعيش مبدع الكلمة ما عاشت هي..

أخيراً

أنهي هنا بمقطع من قصيدة لي قلتها يوماً في رثاء صديق يشبه الماغوط حتى اللحاء.. كان عميقاً كالبحر وبسيطاً كعشاء الفقراء.. وأنا أعرف أن الكلمة رداء الروح..

ذهب التراب إلى التراب

ما همّ لون الجرح

www.alkottob.com

أو شكل الغياب

تمضي وحيداً في ثياب الموت..

تمضي وحيداً دون صوت..

تمضي وبعدك تدمع الكلمات..

أنت انتصرت بكل حرف قلته

رغم الممات..

* * *

www.alkottob.com

الماغوط حدث ثقافي مدهش في حضارتنا

د. نذير العظمة

أولاً تكون هذه الظاهرة تقليداً تتبعه وزارتا الإعلام والثقافة لكل مفكرينا ومبدعينا وما أكثرهم في المسرح والرواية والقصيدة والمقالة والصحافة والأغنية، فسورية منجم من الإبداع ولو استغللنا هذا المنجم لاستغنينا عن النفط ولأتينا بالعملة النادرة، وأنا جاد فيما أقول وأقوله عن تجربة لأنني علمت في أفريقيا وأوروبا وأمريكا والمملكة العربية السعودية، وجئت لأعانق الماغوط في حفل تكريمه، ولكنني أحتج: عشر دقائق لهذا الكهل (الختيار)! ضيقة على مقاسه! هذا الكهل الذي ينطوي على منجم وكنز من العمالقة هو عريس القصيدة، وعريس المسرحية، وعريس المقالة الساخرة، وعريس الرواية المتلفزة وعريس الفيلم.. ومن منا لم يستمع ولم يبتهج بإبداعه ونتاجه الذي خرج من معاناة إنسانية صادقة لا متعالية ولا متشددة، ولكنها تحترم الإنسان وقيمه وحرمته ويخرج من الذات المبدعة هذه الذات التي تنطوي على الآخر. لأنها تؤمن رغم التشاؤم. أن الإنسان لا بد من أن ينتصر في النهاية.

محمد الماغوط هو حدث ثقافي مدهش في حضارتنا، إنه حدث مدهش أن يجتمع كل هؤلاء الناس على شاعر دون وزن وقافية! هذه أعجوبة لكن أن يبلغ محمد الماغوط مستويات من الشعر في القصيدة وغير القصيدة، دون هذه السلاسل. هو الأعجوبة الحقيقية. محمد الماغوط ينجز سبقاً تاريخياً فيما يسمى بقصيدة النثر، لأنها بدأت قبله منذ أمين الريحاني في نيويورك، صاحب أول ديوان في قصيدة النثر، كتب عدة قصائد وألقاها في دمشق وبيروت والقاهرة عن القضايا العربية، وفاجأ الناس عام ١٩٠٥ بقصيدة تخلو من الوزن والقافية ولكنها لا تخلو من عناصر الشعر الأخرى. قامت قيامة التقليديين عليه، واتهم بأنه متآمر على التراث.

أمين الريحاني وجبران خليل جبران كتبوا ما يسمى بالشعر المنثور مستلهمين هذا النموذج الإغريقي الأوروبي، لكن الماغوط لم يفعل ذلك، الماغوط ابتكر نموذجه، وخلق شكله واختار قصيدته وانتمى إلى بيئته وتاريخه، وإنسان حضارته ومن هذا كله ابتدع قصيدته.

في الوطن كان هناك تيار آخر يتمثل بألبير أديب صاحب مجلة الأديب، على خطاه سار المرحوم سليمان عواد، الذي تجاوزه الماغوط بحساسية شعرية جديدة. فالماغوط أذهل الوسط الثقافي-أقول ذلك- عن تجربة فقد عرف كل منا الآخر منذ كنَّا في العشرينيات من العمر، كنا نمشي في الصالحية، أقرأ عليه قصائدي، ويقرأ عليّ قصائده وأذكر منها قصيدة اسمها "النيذ المر" تعود إلى عام ١٩٥٣ نشرت في الآداب، أعتقد أنه نسيها لأنها غير موجودة في أي من مجموعاته الشعرية.

وهي تنطوي على هذه الحساسية الشعرية التي تقوم على بلاغة جديدة.

الماغوط لم ينجز سبقاً تاريخياً، بل أنجز سبقاً شعرياً بهذه الحساسية التي وصفت مرة بالطفولة ومرة بالبراءة، ومرة بالسذاجة وعدم الثقافة..إلخ. مع العلم أن محمد الماغوط قارئ ومثقف يقرأ بشكل دائم ويرافق الحركة الثقافية والإبداعية،

www.alkottob.com

وكان يعرف كبار المبدعين ويختلط معهم، ويتشاور في الغايات والوسائل.. وهذه الحساسية الشعرية تقوم على خريطة البلاغة القديمة.. التي تقوم على المنطق الصوري: التشبيه والمشبه به.. إلخ.

كان الشعر للنخبة، في البرج العاجي، والكلام عن التاريخ والوجدان والإنسان. ولكن في صيغ متعالية.. أما الماغوط فنزل إلى الشارع اليومي، وأخذ قضاياه من الشارع اليومي، واستطاع أن يكون شعره قريباً من الناس، فشعره للعامة، وشعر الآخرين للخاصة، ولو أردنا أن نعالج شعر الماغوط من الناحية البنيوية لصرفنا عليه ندوات وندوات لأن كل إنجاز قام به الماغوط من القصيدة إلى المقالة إلى الرواية المتلفزة إلى المسرحية، يحتاج إلى ندوة مستقلة.

إن جيلنا جيل مغامرة وحلم، ومحمد الماغوط سيد الحلم والمغامرة كان متسكعاً حضارياً ولاجئاً اقتصادياً، متمرداً إبداعياً وأنتج إبداعاً من معاناة إنسانية تنطوي على هم الآخر وتبدعه خلقاً مستوياً بإنسان له كرامة وله أمل بالمستقبل.

التقنيات التي استخدمها: الصورة الحسية، وهي شيء جديد على البلاغة العربية، لم يفكر بها البلاغيون. فكروا بالصور البيانية طبعاً، أخذ بالتشبيه القديم، ولكنه لم يخضعه للمنطق الأرسطي، بل ركبه تركيبات جديدة، وأخضعه للحدس. لذلك تشبيهاته كلها تستحق دراسة مستقلة.

جيلنا جيل الحلم والماغوط في الطليعة جاءني على بيروت بعد السجن والتشريد عرفته على يوسف الخال وقرأنا قصائده في إحدى الخمائس، واندهشت مجلة شعر بهذه القصيدة الجديدة. في المجلة كان جبرا إبراهيم جبرا الذي نشر عام ١٩٥٧ قصيدة نثر، وكان هناك أنسى الحاج الذي نشر قصائد كثيرة لكن الذهول الذي خلقته قصائد محمد الماغوط، دفع بالشعراء الآخرين إلى مسألة التنظير حول إذا كان شعراً منثوراً أم قصيدة نثر! الحقيقة لا يوجد فرق بين الاثنين، ومع هذا قامت دراسات كثيرة استعانت بسوزان برنار، وبهذه الدراسات كان الشعراء الآخرون يدافعون عن أنفسهم ولكنها دعمت الماغوط، لأنه هو الذي أعطى القصيدة الشعرية حياتها، القصيدة التي لها سيرورة بين الناس عامة، وليست للنخبة لذلك أصبح الماغوط من نجوم مجلة شعر، ومن الذين خلقوا انعطافاً تاريخياً فيها.. فقصيدة النثر هي التي فرضت نفسها كما فرض الماغوط نفسه إلى جانب بدوي الجبل والجواهري وأبي ريشة وغيرهم بقصيدة ليست مقفاة وليست موزونة، ولكنها تتسلح بحساسية شعرية بالغة، تأخذ الإنسان إلى حسابها، تدافع عن الحرية، تتحمل الاضطهاد، تقاوم وتقف موقف الشهادة أمام الطغاة والظالمين، ولذلك استطاع الماغوط أن يكون رمزاً لعصره وبلاده.

* * *

www.alkottob.com

الراحل عن "خريف الأقنعة"

وضاح شرارة

مناشدة المارة إخلاء الشوارع من العذارى والمحجبات يدخل "الجماعات" الثلاث في باب واحد هو باب إنكار العري، وإنكار العودة من البيت والمنزل المدنيين إلى الغابة العذراء. فالمارة ليسوا أقل من العذارى، اللابسات الحياء والخفر والخوف من الذكورة والمتسترات بها، ولا من المحجبات بديهة، تحاشياً للعري الخارج والعائد إلى معدنه وطينته وأسقطسه، أي الغابة والغابة (العذراء) نقيض غريب لأمارات الاجتماع، الشوارع والبيوت و"حفظ الفرج" (على قول الفقهاء) والتحجُّب اتقاء إظهار العورة والشر.فهي موئل العري وملاذه، وخلاف موجبات الاجتماع و أوامره ونواهيه وحدوده من وجه، وهي، من وجه آخر، الستر الأعظم، والليل الذي يلتهم الظلال ويئدها قبل أن تولد. فالعري في الغابة لا ضد له من ستر وحجاب وشوارع وبيوت، وهو على هذا من طبع الغابة وثمراتها. فما يفضح العاري إنما يفضحه في المدينة، وبإزاء رسوم المدينة، ولا يفضحه في الغابة. وطالب العودة إلى الغابة، وهو يثبتها ضداً للبيت، يطلبها متكلماً ومنادياً (نحواً) بضمير المتكلم الفرد والواحد ونسبتهما لمدينتي وغابتي، فهو على حدة من المارة والمحجبات والعذارى. وهؤلاء، الجماعات الثلاث، جميع أو جمع.

والخارج من العمران إلى النبات والحيوان يخرج منه وعليه، ويخرج شاهراً عريه، ومناقضاً بعريه وغابته رسوم العمران والحفظ والستر، وملوحاً بإفراده (نفسه) بوجه الجماعات. وليست الغابة منزل الآحاد الأفراد، والعري، إلا على وجه التمثيل الأسطوري أو المجاز المعنوي. فأهل الغابة، إذا جاز القول، ليسوا آحاداً على نحو ما هو ليسوا عرايا. فالواحد، على غير وجه الجسمانية، لا ينشأ في الغابة ولايولد، بالأحرى، فيها. والعري لا يستوي عرياً إلا مضافاً إلى الاستتار والاحتجاب والاكتساء. والحق إن الغابة هذه ليست غابة بإرسال. فهي غابته، أو هي غابة منسوبة إلى متكلم فرد ومحمولة عليه. وإدخال الغابة، نظير البيت، تحت فرد، وتحت النسبة إليه، يحيلها إلى معنى. فهي تعني(أي تكني عن) نقائض العمران ورسومه، ونقيض الجميع الغفل.

ويحيل المتكلم تخيل نفسه (فهو يتخيل، أي يكني ويعني ويستعير، وهذا شأنه في كلامه للتو على الغابة وفي كلامه الآتي)، أو عرضها على من يسمعون كلامه ويفهمونه ويجمعهم السمع والفهم، إلا على وجوه يحصيها: نهراً في الصحراء، سفينة في البحر، قرداً في الغابة. وتعريفات النفس الثلاثة المقترحة والمستعارة متفاوتة ومتفرقة، فالنهر في الصحراء تعريف على وجه الضدية(الماء والجدب)، أو على وجه الاستحالة والامتناع (فليس في الصحارى ما يتخطى سيل الوادي أو غنى الواحة)، أو على وجه الكناية المضاعفة (فالصحراء محيط أو بحر من الرمال). ولعله الوجوه الثلاثة معاً وجميعاً ما دام الشاعر القائل (الكاتب) يتخيل نفسه، ويقترح صوراً وخيالات تقربها. والسفينة في البحر تمثيل على السفر، وعلى اضطراب القياس (فالسفينة ضئيلة والبحر عظيم)والتيه، والجمع بين المصنوع ومالا صنعة فيه. والتعريف الثالث، أي القرد في الغابة، يستعير مقوماته من الرسوم المصورة أو الرسوم المتحركة ومن قصص الأطفال و الأولاد. فالغابة التي قصدها العازم على الخروج من بيته والعودة إلى غابته، تملؤها قرود والت ديزني مصوراً، على زعمه، ريد يارد كيبلينغ و"كتابه"

www.alkottob.com

وشيتا طرزان وجاين. وآية المصدر هي قطف الثمار الفجة (جوز الهند) وإلقاؤها على رؤوس المارة (وهو اسم غريب لمن قد يمرون في بالغابة، ويساويهم بمارة المدن وشوارعها في الفقرة الأولى)، والقفز بين الأغصان.

ومعاقبة التعريفات، التعريف بعد الآخر، لا تنتهي إلى إقرار القارئ عليوجه قراءة. فإذا جمع النهر في الصحراء والسفينة في البحر، جاز له أن ينتهي إلى تعريف بالسفر المحض، مجرداً من آلاته ومناسبتها بعضها بعضاً (جري النهر وسيل الصحراء على شاكلة:" وسالت بأعناق المطي الأباطح"، شاهد الجرجاني المشهور). وعلى حين يغرب التعريف الأول ويشط، ويتماسك إغرابه وشططه، أو هو يتماسك بهما، يفيء الثاني إلى صورة تذكارية باهتة وسائرة، ويغرق الثالث في تمثيل لصيق بسنده الثقافي المتواتر والمتداول. وتفشو عدوى هذا النحو من التمثيل في نهر الصحراء، وتحيله لغواً، وتطرح منه الضدية والامتناع ومضاعفة الكناية، وهي سبق افتراضها على سبيل الحمل على الاستطاعة (على قول بعض أهل الكلام) واستيفاء الجواز (على قول آخرين)، وتفشو العدوى في الغابة. فتخرجها من اكتناهها من طريق أضدادها ونظائرها، وتبطل الاكتناه من هذه الطريق، وتقصرها(أي الغابة) على مرادفة معنوية قصيرة وفقيرة.

ونفي حمل القائل الشاعر هويةً في جيبه، أو موعداً في ذاكرته، يجدد مدار التعريف. فالنهر في صحراء، والسفينة في بحر، والقرد في غابة، ينبغي حملها على تعريف الشاعر نفسه، أو على تخيله إياها. فمنها يعود إلى الهوية(على معنى ورقتها)، أو على معنى النسبة إلى هو (أنا) متصلٍ. وآية اتصال هو (أنا) هذا ذاكرة ومواعيد يتَّعدها صاحبها ويفي بها وفاء المدين بدينه إلى دائنه أو دائنيه (والدَّين يفترض إقامة المدين والدائن على هوية أو نفس واحدة، وعلى دوام عقدهما وعهدهما، وإلا بطل معنى الدَّين وامتنع). والتعريفات الثلاثة، على اضطرابها وضعفها،بالإحالة والسفر واللعب، يلحقها القائل بالهوية على معنييها، المدني والزمني والنفسي.

فيرجع، والحال هذه، من الطبيعة وعناصرها وأجسامها العظيمة (النهر والصحراء والبحر والغابة) إلى مرافق وهيئات ورسوم اجتماعية ويومية، يثبتها في معرض نفيها. وينتخب رسمين هما رسم واحد، الهوية على معنييها. وتوحيد المدلولين، ورقة الهوية في الجيب والموعد في الذاكرة، يجري القراءة على حد مضطرب ومتباعد (التوحيد) القارئ إلى إزاحة ستر ورقة الهوية الرسمية، وهي بيان عمن يكون هو (أنا، ولو ليست أناي)، عن وجه خفي (أنا، المتصل زمناً) لا يدركه إلا جامع أوقاته وحوادثه في طوية مزدوجة، عين على ما تدرك وتجد وتوقت وعين على إدراكها هذا. وجامع أوقاته هو أي واحد منا، نحن الأنس (والإنسان مثناه، على زعم كمال يوسف الحاج اللبناني). ويعرض التوحيد في معرض النفي. ويؤول إلى نفي الهوية عن المتكلم بضمير المتكلم الفرد والواحد.

ومن يتخل نفسه، بعد خروجه عارياً من بيته إلى غابته، على الوجوه التي مرت (نهراً)، يعود إلى تعريفه إياها على وجه ما ليست هي، وهي صيغة المتكلم والماضي: لم أجلس في مقهى، لم أتسكع على رصيف. والانعطاف من الموعد في الذاكرة إلى الجلوس في المقهى، والتسكع على الرصيف، قريب إلى التداعي الاجتماعي التلقائي.

طفلية الشاعر

ويعود صاحب القول إلى تعريفات جديدة، وهي الثالثة من هذا الباب، ويؤوب معها إلى الحاضر، على مثال: لا أحمل، وعلى خلاف، لم أجلس، لم أتسكع. فيقول: أنا طفل. ويلي القول، أو الزعم، البرهان أو التحقيق، أي الدعوة إلى التحقق في الحال: ها أنا أمد جسدي بصعوبة، لأدفن أسناني اللبنية في شقوق الجدران. وبين دعوى الطفولة وبين

www.alkottob.com

تظاهراتها المفترضة، والتسلق ودفن الأسنان في شقوق الجدران، تعلق أو سبب اعتيادي. وحمل طفلية الشاعر على اصطناعه، التطاول إلى قبور الجدران المتداعية (شقوقها) ولحودها الهرمة. طباق أضداد. ويحاكي طباق الأضداد هذه شعيرة من شعائر الطفولة في الأرياف وطفل الشعيرة على الصورة الماغوطية، جامع أضداد: يجمع الطفل إلى الولد، وفضلات نماء الطفل إلى الشقوق الغائرة، واللبن إلى المدفن، والمنقضي المنقطع إلى العائد الموفور (فالولد يخفي سنه الحليب رجاء أن تعود عليه كحبة الحنطة) والأضداد لا يمثل عليها في الوقت الواحد والجهة الواحدة. فالقول: (ها أنا) يقص خبراً، ويتحمل التعريف على زمن الخبر، وعلى حادثته ومكانه وأفكاره وأخيلته ومتوارثه وصاحبه أو أصحابه. فالقوال معطوف على ما قبله، على زعم انتفاء الموعد من الذاكرة، وزعم الخلو من الهوية، ومزاعم أخرى تنزع إلى إثبات المتكلم عارياً من التعريف، وتالياً من المتعارف (عليه أو به).

والتعريف الثاني في الجملة الثالثة من التعريفات: أنا شيخ، ها ظهري ينحني، والمارة يأخذون بيدي–ينحو نحواً ظاهراً ومبتذلاً، شأن التعريفين الثالث والرابع: أنا أمير.. أنا متسول.. وسلك التعريفات الأربعة في سلك واحد يرد إلى "الأقنعة" في الوسم أو العنوان. فالهوية أقنعة وأدوار. وهي، على هذا، لا صاحب لها ترد إليه، وتستقر عليه، وقبل هذه أو تلك، تصدر عنه. فلا يحتاج المرء (أو المرأة) إذا أراد قناعاً، أي هوية ونفساً، إلا إلى أداء ما يلحق عن الهوية أو النفس من فعل يحاكيها، أو يحاكي معناها: ها أنا، ها ظهري، ها سيفي، ها "أنا" أشحذ أسناني. والمعنى المحاكي "ملقيٌّ على الطريق" أو قارعتها، على قول صاحب "البيان والتبيين" (وتكاد تكون الطريق هذه، في قول الماغوط، حقيقة وليس مجازاً: فهي الشارع الذي ينتهي إليه الشارع أو يخرج منه).

وعلى المثال المعنوي إياه يختم محمد الماغوط "قصيدته" بجملة رابعة من التعريفات: أنا بطل، أنا خائن، أنا حذاء، ولكن معاقبة الأضداد(أنا طفل، أنا شيخ، أنا أمير، أنا متسول)، ويفترض أنها تمثل على لزوجة الهوية وعلى يسر ترجيحها بين الأقاصي الدعاوى والمزاعم وبين دوانيها، هذه المعاقبة لا تستقر على اثنينية الجملة السابقة، ولا تساق زوجين زوجين. فتنتهي بفرد (حذاء) وليس بزوجين، إفراطاً في الإزراء وإمعاناً فيه، وتلبي "اثنينية" اقنومية (أنا بطل_أنا خائن) معطلة.

فالتعريف بالبطولة لا تمثيل عليه إلا بغائب: أين شعبي؟ فنظير البطل يقوم الشعب. ومبطل قيام الشعب نظير البطل المزعوم إنما هو صاحب الزعم، المتكلم بضمير الفرد، وليس الشعب المنسوب إلى البطل، والمحمول عليه. فمن يتقنع بقناع البطولة على المثال المعنوي الذي مر، لا يحتاج إلى (أداء) شعب يحقق بطولته، فيقول: ها شعبي.

وهذا يخالف الجملة الثالثة من التعريفات ونحوها. ففي الجملة تلك نهض البرهان على يسر التنقل بين الهويات على أقنعة، نهض على الترنح بين الأضداد، من وجه أول، وعلى الأداء وقرب متناوله، من وجه آخر. والأمران، في الجملة الرابعة والأخيرة، ممتنعان. فيستعجل الماغوط إبطال الأقنعة، ويجردها من الضدية، ويتركها مرسلة من القران (لا ضد للحذاء إلا مجازاً). ويساوي بين البطل والخائن من طريق تبديد الشاهدين، الشعب والمشنقة. ويلمع إلى المساواة بينهما من طريق إفضائهما إلى "فردة" حذاء تسأل عن طريقها. وجعل البطل والخائن بإزاء الحذاء، وتعاقب الضدين الجليلين والجسيمين، البطولة والخيانة، على أنا متكلم يحمل عليها حذاء ضال وشارد، يخرجان (الجعل والتعاقب) القول من تمثيله، ومن موازنته الأضداد بعضها ببعض، وأدائه المسرحي والصبياني (الطفلي أو الولدي).

www.alkottob.com

وخروج القول هذا، وآيته الاستفهام والموضوعات الجليلة وسلك المتنافر والمفرد القلق من غير زوج، لا يبرأ من التمثيل، ولا من طلب الأضداد والسعي فيها، ولا من الأداء المسرحي والصبياني. فلا ينفك القول يعقد بين النظائر (البطل–الشعب، الخائن–الإعدام، الحذاء –الطريق) بعقد لا يوهن ثباته الانحراف إلى الحذاء، والشرود ظاهراً نحوه أو صوبه. فالحذاء، بدوره، يقوم ضداً بإزاء البطولة–الخيانة وعلة كعبهما، أي كعب ضديتهما. ويقوم يتهه عن الطريق يتهه عن الطريق قطباً سفلياً على خلاف شأنهما وشأن ما يدوران عليه ويسألان عنه، شعباً أو موتاً. وحمل النفس على حذاء، بعد حملها على البطولة والخيانة، وقفل القول بالحمل هذا، يراد بمها التطاول والانتهاك والإزراء. وأريد بالاستفهام بعض هذه جميعاً. والحق أن قيد الاصطناع أو الصنعة وهو قيد المعنى، لا يخفى. فيصفد القيد توليد القول، أو توالده، بحديد الضدية والموازنة والمسرح وسلاسلها.

فلا يكسر القول "الشعري" بداهة المعاني المتعارفة والمتداولة. وتخرج "الصور"، على خلاف زعم الماغوط المعلن، من المباني التي تنشئها من غير خفاء ولا إضمار ولا ابتداء ولادة. وثبات المعاني المتعارفة والمتداولة، وقوة المباني التي تنتجها" (على المعنىالآلي المحدث)، توصدان الباب على بداهة أخرى تحدس من طريق القول الشعري، ويرعى القول نفسه ذواءها وتبددها في كل مرة تسعى القراءة، ويسعى الفهم، في إقرارها على الاستيفاء والإحاطة فقول الماغوط يخرج من بداهة كلامية اجتماعية إلى بداهة مثلها وكفئها، تزينها أو تحسنها محسنات مفردة، قليلة في "خريف الأقنعة" وتكثر في "الرجل الميت" أو في "حريق الكلمات"، من غير أن تخلف كثرتها اضطراباً عميقاً في مباني القول، وازدواجاً (أو أكثر) في مصادره وموارده. فقيود المباني هذه، والقيود على المصادر والموارد، تجدد وحدانية العالم، وإلحاقه فيها. فلا يخرج منها إلا إلى مثيل أو شبه. وينكص الشبه عن إيمائه إلى لعب مرسل لا يمتنع الصدور عنه.

* * *

www.alkottob.com

محمد الماغوط أمير الشعر الطلق

حاوره: عادل أبو شنب

هتف ذات يوم في قصيدة عنوانها "نجوم وأمطار" من ديوانه "غرفة بملايين الجدران" أول ديوان له:

[ما أكتبه في الصباح

أشمئز منه في المساء

من أصافحه في التاسعة

أشتهي قتله في العاشرة..]

.. لكنه لم يكن كذلك أبداً، كان يحب الناس حتى العظم وما يزال. وكان يتمنى الحرية والرغد لجميع البشر، وما يزال، وها قد تجاوز السبعين الآن.

[أظنها من الوطن

هـــذه الســـحابة المقبلـــة كعينـــين

مسيحيتين

أظنها من دمشق

هذه الطفلة المقرونة الحواجب

هذه العيون الأكثر صفاء

من نيران زرقاء بين السفن.]

البداية:

- **متى ولدت؟ وأين؟ وكيف؟**
  - في السلمية عام ١٩٣٤، في مجتمع وسط بين الرعوية والحضرية، أما كيف عشت فيها، مطلع حياتي، فبإحساس بالظلم، وبفقدان العدالة الاجتماعية والاقتصادية، لأن مجتمع السلمية كان منقسماً إلى أقلية من الأمراء وأكثرية من الفلاحين والرعاة.. وأسرتي الماغوطية تتوزع بين ملاكين وفلاحين،لكن فرعنا ينتمي إلى الفلاحين: أبي أحمد الماغوط، وأمي ناهدة الماغوط، وأخوتي السبعة (خمس شقيقات وشقيقين). كان أبي يعمل بعرقه في الأرض.

نشأ محمد الماغوط على حب اللغة العربية، من قراءته للقرآن الكريم في "الكتّاب"، ومن المنعطفات الهامة في حياته الطفلية ختمته للقرآن الكريم.. حفظاً وكتابة، وكانت الختمة تستوجب احتفالاً يكرس فيه الطفل.

- **في أي سن ختمت القرآن؟**
  - بين السنة الخامسة والسنة السادسة من عمري.

www.alkottob.com

استهوى محمداً مع ما استهواه في هذا الكتاب الإلهي.. القصص التي فيه! يقول :

هذه القصص حركت مخيلتي ابداً

الظاهرة الكتابية..

في بواكيره، جرب تفريغ شحنات الإحساس بالظلم وفقدان العدالة في كتابات، كانت الأبرز بين كتابات لداته عرف في المرحلة الابتدائية بجودة الأسلوب وبتعبيرات مركزة جيداً، ساخرة بالتأكيد منذ ذلك الوقت، وبصورة مبتكرة، تدعو للإدهاش والمفاجأة.

- **ماذا كنت تكتب يا محمد وأنت طفل؟**
  - خواطر وانطباعات. هل تعرف أنني كنت أحاول في الرسم!!
- (ليس صدفة أن ينتقل هاجس الرسم من الأب محمد الماغوط إلى ابنته"سلافة الماغوط" خريجة كلية الفنون الجميلة).
- **كنت تريد أن تصبح رساماً إذاً؟**
  - ظاهرة الرسم تقلصت في الكبر عندي، لتتمتد وتتطاول وتتعملق الظاهرة الشعرية، أو لأقل الظاهرة الكتابية، مكانها.

كتب الماغوط أنواعاً مختلفة تتدرج من "المقالة القصيرة"الساخرة في الصحف اليومية، في دمشق".. الرأي العام السورية، الخليج الإماراتية، تشرين السورية، المستقبل الأسبوعية الفرنسية" "البناء" البيروتية إلى المسرحية والدراما التلفزيونية، والسيناريو السينمائي.. وإلى الشعر، وهو من قممه الإبداعية، حتى إنه عرف بـ"الشاعر" أكثر من أي نوع آخر.

في السجن..

جاء للمرة الأولى من السلمية إلى دمشق، والتحق بثانوية خرابو الزراعية (خرابو منطقة في غوطة دمشق) طالباً داخلياً، وأمضى فيها سنة، لكنه لم يكمل الدراسة، لسبب مجهول لم يصرح به قط.

- حلمي اليوم يا عادل أن أذهب إلى خرابو، لأرى كيف كنت أعيش، والمهجع الذي كنت فيه أنام.

قبل ذلك، وربما في أوائل الخمسينيات انضم إلى "الحزب السوري القومي الاجتماعي" وكان الحزب ناشطاً منذ الثلاثينيات في سورية، حتى اغتيال العقيد المالكي.

- تم دخولي هذا الحزب بشكل اعتباطي، وربما بسبب إحساسي بالعزلة والوحدة، والفوارق الطبقية الصارخة. كنت أريد أن أشعر بالأمان بالانتماء إلى الجماعة، لكن هذاالحلم تبدد منذ الأيام الأولى، ممازاد في عزلتي..

- **ما الذي جنيته من الانتماء إلى الحزب؟**
  - سوقي إلى السجن في منتصف الخمسينيات، بعد مقتل العقيد عدنان المالكي، نائب رئيس الأركان السوري وقتئذ، وقد اتهم بعض عناصر الحزب بتدبير الاغتيال، وتمت ملاحقةجميع أفراد الحزب، مع أن كثيرين كانوا أبرياء، وأنا منهم، وأدونيس الذي كان نزيل سجن المزة أيضاً.

أمضى الماغوط في سجن المزة حوال ستة أشهر، كانت بداية المعاناة والعذاب والخوف والشك والعزلة التي ما تزال تلاحقه.

www.alkottob.com

- **ألم تستفد من هذه التجربة؟**

○ كانت التجربة سبباً في انفتاحي على موهبتي، وجعلتني شاعراً دون أن أدري، أؤكد دون أن أدري.

إنه شعر..شعر..

بدأت بواكير "قصائد" الماغوط تنشر، وقتئذ، في جريدة "النقّاد" الدمشقية الأسبوعية، وكانت من أبرز جرائد الثقافة والأدب في سورية، وكان لسكرتير تحريرها المرحوم سعيد الجزائري دور في تبني هذا "الشاعر" الصغير في سنه، وفي اكتشاف موهبته، ولقد قرأنا هذه البواكير بمتعة.

○ كان مقهى الهافانا في دمشق ملتقى الأدباء والشعراء والمثقفين والمناضلين والوطنيين والثوريين. وحتى لاعبي الورق والنرد، وقد دخله الشاعر نزار قباني "ابن دمشق" وسأل عني. كان قد قرأ لي بعض القصائد. ولما عرف أنني أؤدي خدمة العلم الإجبارية دهش، ولم يصدق.

- **لماذا دهش؟**

○ لفت الأنظار إلي في تلك المرحلة أن بواكيري كانت جديدة في مضمونها. بواقعيتها، وغرفها مما كنت أعاني منه، ويعاني جيل بكامله، ولفت الأنظار إلى الصور الجديدة التي جئت بها في قصائدي.. والتي كانت نقيض التأنق اللفظي والزخرف الكلامي، ولفت الأنظار، ثالثاً، إن الشعراء والمثقفين، والأدباء العرب بعامة، كانوا يحومون في ماء التجربة والعبثية والوجودية وبقية المدارس التي كانت رائجة في الغرب في تلك الفترة..

- **بعد الحرب؟**

○ نعم.. لذلك كان التفرد في شعر ليس على هذه الشاكلة، ويقتبس من الواقع والحياة اليومية المعاشة، ويصاغ بصدق. وأحياناً بصدامية غير مالوفة، هو الذي نبه إلى ولادة شاعر من نوع خاص، متميز ومنفرد.

- **لكن كثيرين يقولون إن ما تكتب ليس شعراً، لأنه بلا وزن ولا قافية ولا روي؟**

○ ليقولوا ما يشاؤون. إنه إلهام شعري قد ركبني، بهذه الصيغة، سمه شعراً طلقاً.. إنه شعر.. شعر..

مجلة "شعر"..

أنهى محمد الماغوط فترة حياته الأولى في دمشق، وكانت الوحدة بين مصر (الإقليم الجنوبي) وسورية (الإقليم الشمالي) توشك أن تنذر بالخطر له، لأنه ينتمي إلى حزب ملاحق، فهرب إلى بيروت التي كانت عاصمة الثقافة والصحافة، وجنة المنفيين والمطاردين والملاحقين العرب. كانت بيروت، وقتئذ، ملاذاً للجميع، وكان الحزب السوري القومي يسعى إلى إعادة الماغوط إلى صفوفه إلا أن شاعرنا رفض، وقرر عدم الانتماء إلى حزب سياسي.. طوال حياته.

○ الأهم أنني قررت أن أتفرغ للكتابة..

من هنا بدأ مشوار الماغوط الجديد، والمؤثر على الساحة العربية، كانت مجلة "شعر" (صاحبها ورئيس تحريرها الشاعر المرحوم يوسف الخال) أهم دورية عربية تعنى بالشعر، الحديث منه بخاصة، نشر الماغوط قصائد المرحلة اللبنانية فيها، وقدمه الشاعر علي أحمد سعيد المعروف بـ "أدونيس" على صفحات "شعر" تقديماً لافتاً ونشرت المجلة قصائده في الصفحات الأولى كأنها افتتاحيات (العدد الرابع–أواخر الخمسينيات–ما بين عامي ١٩٥٧–١٩٥٨) وكانت قصيدته

www.alkottob.com

"حزن في ضوء القمر" من بين ما نشر، وهي التي كرست شاعرية الماغوط في الوسط الثقافي في جميع البلدان العربية التي كانت المجلة تصل إليها:

[أيها الربيع المقبل من عينيها
أيها الكناري المسافر في ضوء القمر
خذني إليها
قصيدة غرام أو طعنة خنجر
فأنا متشرد وجريح..]

- **متى صدرت مجموعتك "حزن في ضوء القمر" وعن أية دار ؟**

○ صدرت عام ١٩٥٩ عن دار مجلة "شعر"، وكان فيها قصائد أخرى منها قصيدة "القتل" التي كتبتها مع غيرها خلال سجني في سجن المزة العسكري بدمشق:

[ضع قدمك الحجرية على قلبي يا سيدي
الجريمة تضرب باب القفص
والخوف يصدح كالكروان
ها هي عربة الطاغية تدفعها الرياح
وها نحن نتقدم
كالسيف الذي يخترق الجمجمة.]
مقومات شعره..

○ خلال هذه المرحلة، وحتى المرحلة التي سبقتها عندما كنت أنشر في "النّقاد" لم أكن أعرف أنني كنت أكتب شعراً. كنت أظن أنني أكتب مذكرات، وخاصة عن تجربة السجن، لكن النقاد، ومنهم الشاعر يوسف الخال والشاعر الناقد صلاح ستيتية (يكتب الشعر بالفرنسية) والمسرحي الشاعر جورج شحادة (الذي عرف في العالم العربي وفي العالم) والشاعر سعيد عقل، ومنصور وعاصي الرحباني، والدكتور مانويل يونس، والشاعر يوسف غصوب والشاعر الزجال ميشال طراد (الذي كان أكثر حماسة لي) انتبهوا على موهبتي الشعرية، وهذا اللون الجديد الذي أتفرد به كشاعر.

- **لون جديد بين الأصوات الشعرية العربية كصوت بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، وجبرا إبراهيم جبرا وتوفيق صايغ؟**

○ نعم. كان صوتي الشعري يعلن عن ولادة تيار شعر عربي يقوم على الواقعية، وعلى الصورة المبهرة، وعلى رفض الالتزام بالقافية والوزن والموروث الشعري، وعلى خلق إيقاع خاص مستنبط من سبكي للجملة بعيداً عن القوالب الجاهزة واللغو والحشو، والإضافات التي كانت تفرض نفسها على شعراء تلك الفترة.

عودة إلى دمشق..

www.alkottob.com

عمل الماغوط في جريدة "البناة" البيروتية، وكان له زاوية ساخرة يكتبها بأسماء مستعارة، وقد أحدثت هذه الزاوية ضجة واسعة، حتى إن الرئيس اللبناني الراحل "كميل شمعون" طلب أن يتعرف على صاحبها.

ولما حاول القوميون السوريون الانقلاب على الحكم اللبناني ليلة رأس السنة ١٩٦١-١٩٦٢ (وكان الرئيس فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية) سجن الماغوط مع من سجنوا في سجن "المدينة الرياضية (ملعب رياضي تحول تلك الفترة إلى معتقل بيروتي) ثم أبعد بعد ثلاثة أشهر إلى سورية، فاعتقل على الحدود السورية وأرسل إلى سجن المزة من جديد، وأمضى فيه ثلاثة أشهر، ثم أفرج عنه لبراءته من أي تهمة، فأقام في دمشق، وبدأت مرحلة البحث عن عمل.

عمل في جريدة "الرأي العام"- صاحبها الصحافي السوري المرحوم أحمد عسه- وكان يكتب زاوية ساخرة فيهاعنوانها "بالعربي الفصيح".

- بسببها راجت الجريدة في فترة الانفصال (انفصال سورية عن مصر)

- **هل ابتعدت وقتئذ عن كتاباتك الشعرية؟**

- عام ١٩٦٤ أصدرت مجموعتي الشعرية الثانية بعنوان "غرفة بملايين الجدران" –مكتبة النوري بدمشق- وبعدها بثلاثة أعوام أصدرت مسرحيتي الأولى "العصفور الأحدب" عن مجلة "حوار" التي كان رئيس تحريرها في بيروت "توفيق صايغ"

- **هل تذكر أن جريدة "لوموند" الفرنسية قرظتها بعمود كامل؟**

- نعم.. وقرظها في جريدة "المحرر" القاص الفلسطيني غسان كنفاني، في عام ١٩٧٠ صدرت مجموعته الشعرية الثالثة "الفرح ليس مهنتي" عن "اتحاد الكتّاب العرب" الذي كان قد أنشئ لتوه في سورية.

[أيهاالمارة..
اخلو الشوارع من العذارى
والنساء المحجبات
سأخرج من بيتي عارياً
وأعودإلى غابتي..]

- **أهذه القصيدة "خريف الأقنعة" من "الفرح ليس مهنتي"..؟**

- نعم.. لكم أحبها.

- **لك من جديد "شرق عدن غرب الله" التي صدرت منذ أيام" وهذا كله شعر طلق متحرر من القيود. ماذا عن نتاجك الآخر؟**

- أي نتاج؟

- **المسرحي التلفزيوني السينمائي..؟**

- عندي كثير.. كثير، وحتى الآن ما أزال أنتج..

بدء العمل التلفزيوني..

www.alkottob.com

ظهر التلفزيون في سورية في ٢٣ تموز "يوليو" عام ١٩٦٠، وكان البحث مستمراً عن نصوص درامية محلية تبني صرح الدراما التلفزيونية الجديدة في سورية. وقد كتب الماغوط مسلسلة درامية تلفزيونية باسم "حكايا الليل" اعتمد فيها على شخصيات شعبية ثابتة وقصص متنوعة (في كل حلقة قصة مستقلة) وكان أبطال هذه المسلسلة من عامة الشعب: حارساً وكناساً. كانت عفوية القص والسخرية التي تفوح من الحبكة والمشاهد والحوار والشخصيات من مقومات هذا العمل الذي صار جزءاً من تراث التلفزيون السوري.

منذ تلك اللحظة، تنبه الفنان دريد اللحام الذي كان يبحث عن شريك، كاتب نصوص، إلى أهمية الماغوط "كدراماتور" ساخر، فاتفق معه على كتابة مسلسل بعنوان "الغربال" الذي قال عنه الفنان المرحوم نهاد قلعي (الذي كان يظهر مع دريد باسم "حسني البورظارن") إنه أجمل ما قرأ من نصوص تلفزيونية..

- **لم نرَ مسلسلاً بهذا الاسم؟**

- اختلفت مع دريد فقلبه إلى مسلسل عرف فيما بعد باسم "صح النوم" وهو الذي كرس شهرة الثنائي دريد ونهاد.

- **والمسرح؟**

- في السبعينيات اتجهت إلى التلفزيون والمسرح معاً. كان دريد ينوي تقديم مسرحيتي "المهرج" على المسرح، بعد أن أعجب بها، وكان يريد أن يجري عليها بعض التعديلات، كعادته، كلما حصل على نص مناسب، لكنني رفضت رفضاً قاطعاً. حاول أسعد فضة الذي عاد من القاهرة بعد حصوله على دبلوم في الإخراج المسرحي من المعهد العالي في مصر، أن يخرجها للمسرح القومي، فرفضتها الرقابة، عندئذ قدمها يعقوب شدراوي وأنطوان كرباج في بيروت ولاقت نجاحاً كبيراً وبعد حرب تشرين مباشرة (عام ١٩٧٣) اتصل دريد بي، وطلب إلي التعاون في عمل مسرحي عن هذه الحرب..

- **فكانت "ضيعة تشرين" باللهجة المحلية؟**

- نعم. قدمت لأسابيع طويلة في دمشق على مسرح نقابات العمال، وحضر حفل الافتتاح الرئيس المرحوم حافظ الأسد.

- **أذكر ذلك. لقد حضرت حفل الافتتاح أيضاً.**

- بعد نجاح هذه المسرحية، كتبت مسرحية "غربة" عام ١٩٧٤ والتي حضرها الرئيس المرحوم حافظ الأسد أيضاً، وكنت قد مضيت في الكتابة بالعامية للمسرح.

- **بعد ذلك كتبت مسرحية "كاسك يا وطن"؟**

- أجل عام ١٩٧٩. وهي عبارة عن مجموعة مقالات ساخرة كنت نشرتها في جريدة "تشرين" وكنت أنت مسؤولاً في الجريدة..

- **أتذكر. كان اسم الزاوية "عزف منفرد".**

السينما.. والزاوية الساخرة

www.alkottob.com

بأواخر السبعينيات نشط محمد الماغوط في الكتابة لتلفزيون فكتب مسلسل "وين الغلط؟" ومسلسل "وادي المسك" اللذين مثلهما دريد أيضاً.

بعد ذلك اتجه إلى السينما فكتب فيلم "الحدود" وفيلم "التقرير" اللذين أنتجهما نادر الأتاسي، وقام دريد اللحام بدور البطولة فيهما أمام الممثلة السورية رغدة، وكان طفرة هامة في تاريخ السينما السورية.

- **لكنك ما زلت تحن إلى الصحافة؟**
  - طبعاً. كتبت "عزف منفرد" في تشرين، و"أليس في بلاد العجائب" في مجلة "المستقبل" التي كانت تصدر في باريس، وفي أول الثمانينات ساهمت في تأسيس جريدة "الخليج" عندما سافرت إلى الإمارات وأقمت هناك.
- **كيف دب الخلاف بينك وبين دريد؟**
  - كان الخلاف حول مفهوم المسرح وإلى أي حد يجوز التلاعب بالنص وبالأفكار. كان دريد يريد أن يمارس هذا التلاعب دائماً. وبعد أن شاهدت ما حلّ بالمسرحية الجديدة "شقائق النعمان" التي قدمها دريد على مسرح الشام.. حدثت القطيعة بيننا.
- **مع أنكما تركتما بصمة في تاريخ الفن في سورية والعالم العربي؟**
  - نعم.. ولكن هذا ماحدث..
- **والآن، القطيعة مستمرة؟**
  - لا..
- **كيف؟**
  - سمع أنني مريض، فجاء لزيارتي. كان مريضاً مثلي. الآن هو يزورني ويشرب القهوة معي، إنه فنان.. وأنا آنس الجانب الطيب في الإنسان. تصور، إنه يزور قبر "أم شام" (المرحومة سنية) في السيدة زينب، كلما كان هناك هذه لفتة إنسانية في دريد.

محترف آذاني

في عام ١٩٨٨ أصدرت دارياض نجيب الريس في لندن كتاب "سأخون وطني" للماغوط، وهو مجموعة من المقالات، كان نشرها سابقاً في الصحف والمجلات والدوريات السورية والعربية، ثم صدر عن الدار نفسها رواية "الأرجوحة"، وكان الأحدث في انتاج الماغوط قبل مرضه مسرحية "خارج السرب" عام ١٩٩٥.

- **ماهو مرضك؟**
  - اسمع يا عادل؟ عندما رآني الطبيب وعاين موضع الألم في رقبتي، قال بالحرف الواحد: "من كان يريد أن يصفيك. أنت لُكمت في موضع الألم من قبل محترف "
- **لكنك هربت من العملية في باريس؟**
  - أجل. خفت..
- **وكانت الرئاسة قد أرسلتك؟**

www.alkottob.com

- خفت..خفت، والأطباء الفرنسيون لم يعتبروا العملية ضرورية..

- **لكنك لست خائفاً. أنت تشرب وتدخن؟!! وها قد سمنت..**

- أشرب وأدخن.. ها هو قدري والسمنة بسبب القعدة المستمرة.

- **ألا تبرح بيتك أبداً؟**

- لكنني ما أزال أنتج؟

- **ماذا أنتجت؟**

- أنت واحد منهم..

وقام محمد الماغوط إلى رفّ قريب فأخرج ديوانه الجديد "شرق عدن، غرب الله" وكتب إهداء لي ولزوجتي، وقال:

- هذا نتاجي الشعري الجديد.. خذ واقرأ ما تزال الشاعرية على حالها.

تصفحت الديوان الجديد الذي صدر هذا العام ٢٠٠٥.. وكدت أن أقول رأيي، بعد أن قرأت سريعاً بعض القصائد، لا على التعيين، لولا أنه قال:

- جاءني وفد مغتربين زاروني في بيتي وجلسوا مكانك وكان بينهم غسان علم الدين (أكاديمية الآداب الشرقية) وقد تصفح الكتاب وقال لي :"في كل عصر يوجد أربعة أو خمسة شعراء.. وفي هذا العصر يوجد أربعة خمسة، أنت واحد منهم.

بعد هذه المقاطعة لم أقل كلمة واحدة. سكت، فكأن على رأسي الطير، ورحت أتابع ابن أخته الدكتور المقيم معه في البيت الذي ليس فيه نساء، بعد زواج ابنته "شام" وسفرها إلى أمريكا. وزواج ابنته سلافة واهتمامها ببيتها.

ما أزال أعمل..

أعلمني محمد الماغوط، وكنت أزوره، في الموعد نفسه الذي كان يُحتفل فيه بأربعين الشاعر ممدوح عدوان الذي توفي بعد مرض عضال، أن هذه الحياة محيرة. وقال إن ممدوحاً لم يكن يأكل فجلة أو خيارة إلا في موسمها. وأنه كان حريصاً على صحته. محافظاً عليها، ومع ذلك لم يسلم من المرض وها أنذ أرثيه بكلمة سجلتها على شريط لتذاع هذه اللحظة. فما أبأس الحياة وما أقساها. ومع ذلك فليس علينا إلا أن نرضخ.. ونعمل..

- **قلت له:**

- **ماذا تعمل الآن؟**

- **قال:**

- إنني أقع فيما أقول ولا أستسلم. المخرج جهاد سعد طفّش الممثلين، لكن "المهرج" ترجمت الآن إلى الإنكليزية. ترجمها أستاذ مادة المسرح في برووادي، وسيعرضها بالإنكليزية هناك.. أليس هذا عملاً؟ كتبت أفكار مسلسل تلفزيزني جديد مؤسس على مسلسلي القديم "حكايا الليل" ولكن باسم جديد "حكايا الليل والنهار" واعتماداً على الأفكار، أفكاري، سيؤلف عماد ياسين وكوليت بهنا ثلاثين حلقة تلفزيونية.. وزير الثقافة الدكتور محمود السيد دفع لي ثمن مسرحية "المقص" المأخوذة عن "صقر قريش".

- **ماذا تريد أن تقول في "المقص"، تأليفك الجديد؟**

www.alkottob.com

- صقر قريش، لم يعد يريد سيفه ليعيد اسكندرون أو فلسطين، إنه يريد أن يعود إلى بيته.. فقط إلى بيته. هذه هي فكرة "المقص" التي سيخرجها ماهر سليمي.

- **ماذا أيضاً؟**

- مسرحية سميتها "قيام جلوس سكوت" دفع زهير عبد الكريم ثمنها دون أن يقرأها. أنا لا أخرج من البيت، لكنني ما أزال أفكر، ما أزال أعمل.. ما أزال أعمل.

ورحت أنظر إلى عشرات اللوحات المعلقة على الجدران في بيته. إنه بيت فن بحق.

نجم أدبي..

في طريق العودة إلى البيت رحت أتصفح ديوان "شرق عدن، غرب الله.." فعثرت على قصيدة "انحراف وتيرة"، وقرأت:

[كنت مهيئاً نفسياً وطبقياً وجغرافياً وتاريخياً لأصبح

حداداً

نجاراً

خياطاً

لحاماً

طاهياً.. حلاقاً.. فراناً، مزارعاً، راعياً

بواباً

مخبراً

جاسوساً..

ولكن ليس نجماً أديباً تتسابق وسائل الإعلام المختلفة لالتقاط

صوره، وكل ما يتفوه به في أي شأن من شؤون الحياة..]

ها هو ذا نجم أدبي يسطع في هذا العصر، وبعد السبعين، وعلى الرغم أن كتابته هذه تندرج في فصيلة الكلام المنساب بيسر، إلا أنها قد تكون من فصيلة السهل الممتنع. الذي يشكل على الإنسان البسيط أن يدرك عبقريته من انسيابيته، وهكذا أبداً المبدعون يحيرونك، فلا تعرف سر عبقرياتهم، أتجيء من الفكرة والمضمون أم من الأسلوب، لا شك في أن أسلوب الماغوط قد تبدل خلال نصف قرن. لم تبق الصورة الماغوطية المبتكرة المبهرة والإيقاع الخاص على حالهما ثم تفرد في سماء الشهرة والذيوع والانتشار. من ذا يستطيع أن ينال من الماغوط كشاعر من شعراء الشعر الموزون؟ من القدر على وقف اندفاعة الشاعر الكبير من المحلية إلى العربية إلى العالمية.؟

إن محمد الماغوط سيُري فنه المسرحي في أمريكا، ربما خلال هذا العام ٢٠٠٥ أو عام ٢٠٠٦، وهذان وحده، يعلي من اسم الشاعر المؤلف المسرحي، الكاتب التلفزيوني، كاتب الزوايا الساخرة، أمير الشعر الطلق الذي صار شعر العرب، لا تفتح جريدة أو مجلة عربية إلا وتراه بلا وزن ولا قافية ولا روي ولا موسيقى. كلمات مرصوفة تسمى على الرغم منها ومنا ومن أصحابها شعراً.. ولكن ما هو الخيط الديق بين الموهبة في هذه الكتابة وبين التزييف.. والتسطيح؟

www.alkottob.com

خيط واهٍ، والذنب ليس ذنب محمد الماغوط، إنه عندما كتب كان لا يعرف أنه يكتب شعراً، لكن "الشعراء" الأخرين، يكتبون كلاماً عادياً ويؤكدون أنهم يكتبون الشعر.. المفارقة مذهلة.. موهبة الماغوط فوق كل التحفظات، إنه نسيج وحده، يغرد خارج السرب "الشعراء " الذين حاولوا ويحاولون تقليده، فيشوشون عليه، وعلى أنفسهم.

www.alkottob.com

محطات في تاريخ الماغوط

- فاز محمد الماغوط، أوائل الستينيات بجائزة أحسن قصيدة نثرية في مسابقة جريدة "النهار" وكان جميع أعضاء اللجنة مع منح جائزة للماغوط، باستثناء الشاعر أدونيس!
- أحب الماغوط سماع القرآن الكريم بصوت الشيخ علي عبده في السلمية، وبصوت محمود خليل الحصري، وكثيراً ما يجلس ويصغي لترتيل الأخير، عبر كاسيتات بصوته الجميل.
- تزوج محمد الماغوط من المرحومة سنية صالح، فصار عديل عديل الشاعر أدونيس، ويقول الماغوط: (كان كابوساً أن تعيش ابنتنا"شام وسلافة" كما عاشت هي وأختها خالدة زوجة أدونيس مشردتين قبل الزواج، فانصرفت إلى تربيتهما تربية عالية)..
- سافر الماغوط بدعوات إلى روسيا وألمانيا ومصر وفرنسا واليمن وعمان.. وغيرهما.
- عام ١٩٧٣ أصدرت دار العودة الأعمال الكاملة للماغوط متضمنة أعماله الشعرية ومسرحيته "العصفور الأحدب" و"المهرج".
- كتبت عشرات المقالات عن الماغوط، وأجريت معه عشرات اللقاءات ولكن أحداً لك يجر معه لقاء، بعد أن تجاوز السبعين مدّ الله بعمره، غير هذا اللقاء.
- كان يعتبر الشاعر ابن بلده "سليمان عواد" ومن أهم من كتبوا الشعر الطلق، ويقول إنه ظلم كثيراً في حياته، وبعد مماته.
- اتهم عادل إمام بأنه سطا على فكرة فيلم "الكباب و الإرهاب" منه.

www.alkottob.com

شــهادات

www.alkottob.com

جنون العبقرية

وصف الأديب والروائي الكبير حنا مينه الراحل الكبير محمد الماغوط بأنه كان شاعراً كبيراً ومسرحياً كبيراً وعبقرياً له في جنون العبقرية غزل مجنون وأنه في المبضع الأصيل الجارح كان يفقأ الدمامل للذين لا يعملون لمصلحة الوطن والشعب اللذين نفديهما بنور العيون.

وأضاف مينه في تصريح للوكالة العربية السورية للأنباء سانا كان الراحل الكبير محمد الماغوط شاعراً عبقرياً نادراً في العبقريات تصرخ في قافلته المدماة المجنحة الكبرياء قائلة أنا هنا.رجوة حق في تباب حق غلابا يوخذ وغلابا يسمو وهذه الصرخة المتضرمة المدوية المجلجلة المنضرة العنيفة الغضوم هي صرخة شاعرنا الكبير الحبيب المرحوم محمد الماغوط.

وأضاف ستستمر هذه الصرخة ما استمر عطاء الشاعر العبقري وهذا العطاء سيستمر في أن تكون له الصحة والعافية ولكن القدر شاء أن يأخذ به إلى الملا الأعلى تاركاً وراءه الكثير الكثير من الأصدقاء والأحباء في سورية خصوصاً وفي الوطن العربي الكبير عموماً وفي العالم كله.

وقال مينه رحم الله العبقري الكبير المرحوم محمد الماغوط الذي اختطفه الموت فجأة وتركنا نحن أصدقاؤه في حيرة من أمرنا لا نملك إلا التسليم بقضاء الله وقدره.

وأضاف مينه لقد اهتمت سورية بفقدان هذا الشاعر الكبير والمسرحي الكبير اهتماماً مشكوراً كما اهتمت اهتماماً كبيراً مشكوراً برحيل هذا الأديب الكبير النادر أمثاله من أصحاب العبقريات.

الرحمة لفقيدنا الكبير العزيز الذي نفديه بالدموع.

ونسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكب الصبر والسلوان على جراح ذويه وأحبته جميعاً.

حنا مينه

www.alkottob.com

انتهاء صفحة غير متكررة

عبّر الشاعر والإعلامي المصري فاروق شوشة رئيس مجمع اللغة العربية عن حزنه العميق وحزن الأوساط الثقافية والإعلامية المصرية لرحيل الشاعر والأديب الكبير محمد الماغوط وقال إن الماغوط واحد من شعراء الأمة الكبار الذي تنتهي برحيله صفحة غير متكررة في تاريخ الأدب والمسرح العربي.

وأضاف شوشة إن الراحل الماغوط رائد قصيدة النثر في كل الوطن العربي وإنه مبدع متفرد في الأدب والمسرح واستطاع من خلال كتاباته أن يعتصر خلاياه المبدعة وخلايا الوطن بكل الأحزان والآمال والتطلعات والرفض حالماً بعالم جديد تسود فيه المحبة والإنسانية.

ورأي الشاعر شوشة أن الماغوط سيظل نسيج وحده في كل ما كتبه من شعر وأدب ومسرح.

فاروق شوشة

www.alkottob.com

الخسارة الكبيرة

الموت متوقع للناس جميعاً، ولا يمكن تصور أن يصل إلى موهبة كموهبة محمد الماغوط.

بالرغم من هذا الظلام غير المنطقي والعقلاني فإن السؤال هل كان محمد الماغوط منطقياً وعقلانياً، ففي أعماله الشعرية والمسرحية، إضافة إلى مقالته التي شكلت جنساً إبداعياً جديداً إذا ما قسناها إلى المقالات المنشورة بالعربية، سنجد مدى تفوق هذا الرجل علينا وعلى نفسه.

الخسارة كبيرة،ولكن الخسارة أكبر عندما تتصور أنه من الصعب أن يوجد شخص آخر يشابه الماغوط.

وهذا سيدفعنا إلى تذكره بصورة مستمرة كواحدة من أفضل حالات الإبداع العربية.

وليد اخلاصي

www.alkottob.com

محمد الماغوط.. كاهن الحبر والمفارقات

بالأمس مات صاحبي

عيناه نجمتان

بكيته بلهفة..بكى معي المكان

الحي، المزرعة، والأم دمشق، والطفل الذي تحارب مع الشيخوخة وأحزان العمر، والكوابيس محمد الماغوط..

هاجس الحبر عنده كرغبة متوغلة في النفس، ظل متمسكاً به من رأسه حتى آخر رعشة الحلم..

محمد الماغوط صاحب إمبراطورية الكوابيس المتصالحة مع التمرد، يغادر هذه المرة من غير حبر وأوراق بيضاء، وخشية تستقر، أو تشاغب في العقل والأنامل..

سنمر طويلاً إلى جوار بابه الخشبي وبحة صوته المرمية على قارعة الأيام والمفارقات..

محمد الماغوط بنى مملكة ضخمة مترامية من الصدامات الفريدة من نوعها مع الزيف والخيبة ولم تترهل عفوية هذا الطائر العابث بالزرقة والآفاق.

قدر المحبة أن تصدعها الوداعات العاتية كرياح عتب من جهات التوق وجغرافية الهواجس المتمرسة بالإنسانية والوجع.

لا تنفصل المحبة عن الوداع والوجع..

منذ أحزان وخيبات ومحمد الماغوط يصافحنا، وإلى جواره يجلس التعب وهم التواصل مع إحداثيات الحياة وتفاصيل العيش والغائبين والحاضرين.

والحبر بقي كواحد من أصدقاء قليلين لم ينس ملامحهم وقسماتهم.

بيته، شبابيكه، اللهفة الطفلة للأصدقاء والمعفرين بشحوب الفقد والآتين إلى وجدهم.

لا نمر اليوم أو بعد السنين دون أن تصافحنا صورة محمد الماغوط وأنامله المتورطة بالحبر والتحيات والعزف على وتر البراءة والعفوية.

ظل طوال عمره يتنفس هواء الألفة رغم عراكه المرير مع الكتابة والقطيعة والوحدة الموحشة.

عاش إلى جوار أحلامه وغيابات عجيبة ولم يفترق عن الحبر والكوابيس التي يحرسها كدمعة العين، ويحتمي بها من هجمات الأسف..

غيابه كأنه الدهشة المضافة إلى نصوص غير مكتملة..

ستردد دلالاتها الأمكنة التي ألفت أن تلتقي بمحمد الماغوط كصديق مختلف وعاتٍ ومحترف كبير للأحزان والعزلة المبدعة.

مقهى الشام وقبله مقهى أبو شفيق في الربوة يحتفظان بخشونة صوت الماغوط ونكهة تأملاته الهاربة من وجه (الروتين) والتكرار الباعث على الملل..

www.alkottob.com

لم يألف أن يعيش في كل حياته عادياً أو مرتبكاً بترتيبات وتدابير لا تتشابه مع الطفولة والتمرد..ورحيله جاء كحياته، نصاً مغايراً للوداعات الركيكة والمركونة جانباً كحانة مهجورة.

الكتابة فعل حضور في مواجهة الغيابات المرتقبة وكتابة محمد الماغوط أكثر جرأة على الاختلاف الجدير بالإدهاش في كل عناوينه وأوراقه، من حزن في ضوء القمر إلى غرفة بملايين الجدران، إلى الفرح ليس مهنتي، إلى سياف الزهور، إلى شرق عدن غرب الله، إلى سأخون وطني، وخارج السرب. ومسرحياته وأفلامه ونصوصه الأخيرة المحتفية بحضوره والمنتظرة أن تحتفي.. لمحمد الماغوط حبرٌ جريء على المفارقة والاختلاف ولغته ومفارقاته محرضة على أن يظل حاضراً ومدهشاً ومقروءاً.

بيته في المزرعة سيبقى يصافح الظهيرة وحفنة من شوق لم يصب بالبرودة.

حسين عبد الكريم

www.alkottob.com

رؤية جارحة.. أبعد من التشاؤم

إن حزن الماغوط لم يكن حزن الرومانسيين المتثائبين على جسر التنهدات، لقد كان يضع أحداقه في الدم الفائر فيطفر على أحداقه وهذا ما جعل كتابته تفتح أرضاً غير التي فتحتها مجلة(الآداب) أو التي ذهبت إليها مجلة (شعر) كان محمد الماغوط كائناً وحشياً (طافراً) من غابة تغرس جذورها على أجسادنا وأرواحنا دون أن يعبأ أو يكترث بالكلام عن البدائل بمعنى أنه لا يطرح خطابات أحلام كما كان يفعل شعر الآخرين، الأمر الذي لفت نظر الشعراء العرب محاولين أن يجدوا في عالمه نافذة على أفق مغاير.

وكنت عندما أجلس إلى كتاب (غرفة بملايين الجدران) أشعر برهبة غامضة لفرط المسافة التي كان يجب عليَّ أن أقطعها بعد (أنشودة المطر) أو (أوراق في الريح) أو (أباريق مهشمة) أو (أحلام الفارس القديم) كي أصل إلى الأرض التي يحرثها نص الماغوط بعظام أطراف الكائن البشري.

فإذا، كانت المسألة التي تتصل بالشكل ليست تجربته وحده بل هي تجربة جيل بأسره، جيل مسكين خدع منذ الصغر بالشعارات السياسية الفكرية البراقة ولم يكتشف أنه مخدوع إلا وهو يدق أبواب الشيخوخة بقبضات واهنة فعلم آنذاك أنه قد أضاع أجمل سنيَّ عمره هباء.

زكريا تامر

www.alkottob.com

رجل القضايا الخاسرة

لقد كان محمد الماغوط دائماً يظن أنه رجل القضايا الخاسرة المخفقة، ولكن الوقوف مع الناس إبان محنهم لم يكن في أي من الأيام قضية خاسرة، إنما هو امتحان عسير للأديب ولا سيما الكتابة في وطن الطغاة أقل أماناً من النوم مع الأفاعي في فراش واحد.

ينجح محمد الماغوط في الجمع على أرض واحدة بين الليل والنهار، بين الأمل واليأس، بين مرارة الهزائم وغضب العاجز، ليقدم صورة لما يعانيه الإنسان العربي من بلاء من سياسييه ومثقفيه وجنده وشرطته وأجهزة إعلامه مكثفاً ذلك البلاء الكثير الوجوه في بلاء واحد هو فقدان الحرية.

والحرية حتى في مملكة الحيوان تحمى بالمخالب والأنياب وتهرق الدماء في سبيل الحفاظ عليها، أما في مملكة البشر فالحرية مبرر الوجود والاستمرار وإذا فقدت غدت الحياة الوجه الثاني للموت.

ومحمد الماغوط الذي عاش أكثر من نصف قرن وعرف ما على القمة وما في الهاوية (وما يزال حياً) يرصد في كتاباته تجربته القاسية المرة مع الحياة في الوطن العربي ولكنها دائماً وأخشى أنها لم تتوقف عليه أبداً لأن الروح الجديدة عند الماغوط هي ما ميزته بقوته ومرة واحدة عن رفاقه وهنا تكمن أهمية التجربة الشعرية للماغوط.

قاسم حداد

www.alkottob.com

المتمرد

محمد الماغوط واحد من الشعراء الأكثر إقناعاً في تمرده على أشكال الكتابة الموروثة أو السائدة أو المبشر بها، وقد تكون كتاباته في شعرنا العربي الحديث الدليل الأكثر تماساً على أن الشعر يتجدد ويتألق في المغامرة بعيداً عن الحدود والضوابط على أنواعها، لقد كان الماغوط في طليعة المغامرة الشعرية التي أطلقت الكتابة من القيود المتبقية لها على أثر انطلاق القصيدة الحديثة في منتصف القرن العشرين.

لقد حاول الكثيرون أن يجعلوا قصيدة النثر ظاهرة أو تياراً أو مدرسة،فحاولوا أن ينصبوا الماغوط أو غيره رائداً (أو روّاداً) في هذا المجال، إلا أن الماغوط ظل حالة شديدة الفرادة في شعرنا الحديث.

ظل لحناً شارداً لا تستوعبه جوقات العازفين المنشدين من دعاة النثر ودعاة الوزن على السواء.

جودت فخر الدين

www.alkottob.com

مثل نسر في الفضاء

منذ أن وطأت قدماه أرصفة بيروت في منتصف الخمسينيات متأبطاً قصيدته الطويلة (القتل) التي كتبها خلف قضبان السجن، أحدث اسم محمد الماغوط بلبلة في المشهد الشعري العربي، ليس بين صفوف شعراء التفعيلة فحسب بل داخل صفوف جماعة الحداثة أنفسهم، إذ كانت مجلة (شعر) تعد نفسها حاملة مشروع الحداثة وقصيدة النثر على وجه الخصوص.

هكذا داخل الماغوط غاضباً ومتمرداً على كل أنواع القيود، ليس القوافي والأوزان فحسب، بل قيود الحياة نفسها، هذه الحياة التي لفظته باكراً خارج جدرانها ليجد نفسه صديق الأرصفة الأزلي وأمير التسكع.

وإذا كانت جماعة (شعر) عدته مجرد بدوي سوف ينشد بضعة مواويل ويمضي، فإنها أخطأت الحساب، ذلك أن محمد الماغوط لم يكف عن الحداء والسخط أبداً متجاهلاً كل الأطر التي كانت تتحكم بمشروع الحداثة، إذ لم يكن لديه (ما نفيست) سوى أبجدية الجوع والصراخ والحزن.

هكذا جاءت مجموعته الشعرية الأولى (حزن في ضوء القمر) بمنزلة بيان تطبيقي عما يريد التصريح به، رافعاً راية الحرية منهجاً لكل ما يكتب.

وحين أحس بأن باب مجلة (شعر) ضيق على منكبيه، هجر رفاق الدرب دون عودة أو ندم عائداً إلى أرصفته ومقاهيه وعتباته الأولى ليحلق مثل نسر في الفضاء ثم يلتقط طرائده من حطام الحياة اليومية ومن دماره الروحي ومن حزنه التاريخي الذي لم ينضب أبداً.

وهو بعد نصف قرن من الاحتجاج والسخط لم يغادر خندقه الأول، إذ ظل متمرساً بأدواته نفسها وبمعجمه الهجائي وبنبرته نفسها ولم تغيره الشهرة ولا الاستقرار لا بل ازداد ضراوة وضجراً وكأنه لم يغادر غرفته القديمة التي شهدت آلامه وأوجاعه الأولى، تلك الغرفة الصماء(غرفة بملايين الجدران) وكأنه لم يغادر أيام التشرد والتسكع والخواء، ما زال يردد (اختصاصي الوحيد الحرية) و(الفرح ليس مهنتي).

خليل صويلح

www.alkottob.com

اللغة المشتعلة

قد يكون محمد الماغوط واحداً من أكبر الأثرياء في عصرنا، إرثه مملكة مترامية، حدودها الكوابيس..والحزن..الخوف..واللهفة الطاعنة بالحرمان، وشمسها طفلة نبيلة وشرسة.

عاش الماغوط مع الكوابيس حتى صار سيد كوابيسه وأحزانه، وصار الخوف في لغته نقمة على الفساد والبؤس الإنساني بكل معانيه وأشكاله..لغته مشتعلة دائماً، تمسك بقارئها، تلسعه كلماتها كألسنه النيران، ترجه بقوة، فيقف قارئ الماغوط أمام ذاته ناقدا باكياً ضاحكاً مسكوناً بالقلق والأسئلة.

في قصائده ومقالاته ومسرحياته وأفلامه، قدم محمد الماغوط نفسه عازفاً منفرداً، وطائراً خارج السرب، لا يستعير لغته من أحد، ولا يشبه إلا نفسه: في انتمائه.. وعشقه.. وعلاقته بالناس والأمكنة.

وفيّ لعذاباته، قوي الحدس، شجاع في اختراق حصار الخوف وأعين الرقباء منحازاً إلى الحرية والجمال والعدل، وله طقسه النادر في حب الوطن..ورسم صور عشقه له التي تقدمه مغايراً للمألوف في قيمه وعواطفه وانكساراته وأحلامه.

علي عبد الكريم

www.alkottob.com

الراحل الكبير

بصدمة كبيرة في النفوس وحزن في الصدور تلقينا بعد ظهر أمس رحيل الأديب الكبير محمد الماغوط، بعد مسيرة أدبية طويلة وحافلة بمختلف ألوان وفنون الأدب، فمحمد الماغوط استطاع بما أبدع أن يقف على قمة الحركة الأدبية ليس في سورية فقط بل في الوطن العربي.

ومحمد الماغوط استطاع أن يكون متعدد الكتابات، لا أن يقتصر على لون واحد من الكتابة، كتب القصيدة النثرية، فأبدع فيها أيما إبداع، وكتب المسرحية، فكانت مسرحيات رائعة، أقبل عليها الجمهور بشغف، مثل مسرحيات "غربة، كاسك يا وطن، سأخون وطني" وكتب المقالة الصحفية، فكان الناس يتخاطفون الصحيفة التي يكتب فيها.

وفي كل ما كتب الأديب الراحل محمد الماغوط لم يكن مدعياً أو متبجحاً، بل كتب وترك للنقاد وللجمهور الحكم على إبداعاته.

نعم.. لقد رحل محمد الماغوط، وترك في نفوسنا حزناً عميقاً، لكن عزاءنا أنه ترك لنا ما يذكرنا به دائماً، ترك لنا أدباً جميلاً نتفيأ بظله في لحظات الإرهاق والتعب، فنستريح في ظله الظليل.

فوداعاً أيها الراحل العزيز، وداعاً بجسمك فقط، أما روحك فستبقى ترنو إلينا مع كل قصيدة نقرؤها لك ومع كل كلمة خطتها يدك في معين أدبك الجميل.

أحمد بوبس

www.alkottob.com

عشق الحرية

الماغوط خسارة كبيرة، ولا أستطيع أن أقول عنه المرحوم، مثله لا يموت، وآثاره أكبر من أي تعبير، وأعماله أعظم تعبير عن قامته. هذا الأديب وهذا الشاعر عشق الحرية فعشقه الحرف، عشق الوطن فعشقته الكلمات. من خلال شعره وكلمته زرع آلاف الشموع التي ستبقى مضيئة.

دريد لحام

* * *

www.alkottob.com

وقت إضافي

لم يفاجئني خبر مماتك يا محمد، فأنت وأنا وآخرون من جيلك، الذين ما يزالون يجرعون من ضوء الشمس وينتظرون، مهددون في أجسادنا منذ سنوات، وبقاؤنا على قيد الحياة وقت إضافي (over time) لمباراة خارقة كنتَ ربحتَها في اعتقادي يا محمد الماغوط منذ أمد طويل. لقد استطاع الموت أخيراً أن يقتحم عليك الدار ولكنّ دخوله لم يكن انتصاراً في المباراة الحامية التي دارت بينكما طويلاً، فأنت الرابح منذ استطعت أن تبرهن بمواهبك المدهشة في السخرية واللامبالاة والجرأة أن الموت لن ينقص من بيدر سمعتك العالية قشّة واحدة، بل سوف يزيد بها من سنابل الذكرى أكواماً..لك الله يا محمد،.. فتصالحْ معه إنه غفور لأمثالك، أكثر مما تتصور.

www.alkottob.com

الكمان الأحدب

دخل الماغوط بجسده الضخم إلى معرض للخزف الشعري فلم يعجبه فكسره، وأجال نظرة من النافذة إلى الحياة ومن هناك فرّ إليها ولم يعد أبداً، هناك ظل يغني كمارد من الرقة أصيب بالاستياء من الدنيا، الماغوط مؤلم وجميل يمسك بيده قلماً كأنه الجمر، ويريد في كل يوم وكل قصيدة أن يحرق السفن منذ طارق بن زياد وحتى اليوم.

لم يعش الماغوط بسلام مع أحد، ولا مع روحه أبداً، كان ساخراً لأن المهزلة دائمة، وكان حزيناً لأن كل شيء يؤدي إلى الفقدان. وكان يائساً لأنه لم يجد لدى العروبة كلها لحظة شغف واحدة بالحرية.

موت الماغوط إعلان محزن عن الرحيل المتتابع للنسور الجدود وهي تهوي في باطن الأرض وقاع الذاكرة.

لقد مات أفصح الناطقين باسم الناس البُكَماء، مات الكمان الأحدب وهو يعزف لريحٍ قادمة.

عادل محمود

www.alkottob.com

الإحباط الريفي

رغم سخريته غير المبررة من الثقافة والمثقفين، خاصة في سنواته الأخيرة كان محمد الماغوط أحد أبرز رموز الثقافة السورية طوال عقود، ليس باجتراحاته الشعرية والمسرحية الأولى فحسب، بل لأنه تحوّل منذ السبعينيات إلى منتج للثقافة الشعبية (بل والشعبوية بمعنى آخر). ويا للمفارقة؛ هذا الرائد لقصيدة النثر النخبوية والمعاشر الحميم لنخب بيروت الثقافية المتعالية أوائل الستينيات يكتب بدءاً من السبعينيات المقالة الصحفية المبسّطة، والمسرح المبسّط، والسينما المبسّطة.. هذا الريفي المزمن يتغلب على ثقافة المدينة التي تعلّق بها ولم يغادرها طوال عشرين عاماً بأن يحولها إلى استعارات وتشبيهات تأتي من الشعر ل"تفش خلق" كمٍ كبير من مأزومي الطبقات الوسطى المنهارة التي تعلّقت بالمخزون الكثيف لدى الماغوط، من السخرية المريرة المشوبة بالمباشرة والاستعارة الفجّين والمتناغمين الآتيين من أحلام ريف قصيّ ورومانسية أيديولوجيات طوطمية، رغم ادعائها الحداثة، إنه الإحباط الريفي العنيف هو الذي صنع من الماغوط كاتباً شعبوياً بدلاً عن رائد حداثي افتقدناه منذ زمن بعيد.. قبل أن نفتقد حضوره الفيزيولوجي المتثاقل والعدواني والحميم والمثير للحنين في آن واحد.

فاضل الكواكبي

* * *

www.alkottob.com

يتفرج على حياته

قال الماغوط: "الموت فرح". لم تغب هذه العبارة التي ذكرها عباس بيضون عنه في مقالة له بعد زيارة إلى منزله في دمشق. لم تغب عني حين زرته لأول مرة في حياتي منذ أقل من شهر. كان الماغوط ممدداً على كنبة في صالونه الضيّق وكان مفروشاً بكل مراحل حياته ضمن بورتريهات مختلفة وكثيرة على الجدران المحيطة به. سألني ماذا أفعل الآن وأين أصبح إخوتي ووالدتي، وتحدثنا عن مسرحيته الأخيرة، وعن أشياء عديدة كان الشعر هو الغائب الوحيد عنها. كنت أنظر إليه وهو يشرب ويسكي ممزوجاً بالثلج ويدخن سيجارة إلى منتصفها ثم يرميها ويأخذ أخرى مباشرة، ولا أعرف هل انتبه إلى دمعة وحيدة في عيني وأنا أستعيد تاريخاً كاملاً من الشعراء انتميت إليه ذات يوم بحكم البنوّة، تاريخاً مليئاً بالدهشة والأمل واليأس والالتصاق بالحياة حتى الشغف بكل تفاصيلها، تاريخاً جذّر لمساحة شعرية كبيرة، رغم كل ما يمكن أن يقال عنه الآن، تذكرت أن الماغوط لم يكن يوماً معنياً بهذه الأحاديث، لم يقبل يوماً أن يُدرج ضمن حالة شعرية جمعية. كان أكثرهم إصراراً على التفرد، لهذا كان أكثرهم إصراراً على الحرية. لماذا على شاعر كهذا أن يشيخ وأن يجلس أشهراً طويلة على ذات الكنبة يشرب ويدخن؟ ما الذي كان ينتظره شاعر بحجمه وهو المليء بتفجراته ونفوره الداخلي إلى نسف كل التنظيرات والمصطلحات الشعرية والثقافية والسياسية. قال لنا إنه نال جائزة العويس عن الشعر وإنه سيسافر بعد أيام إلى دبي لاستلام الجائزة، قالها بحيادية تشبه حيادية الأحاديث التي تبادلناها معه. أخبرت العديد من الأصدقاء عن هذه الزيارة، قلت لهم أشياء كثيرة خطرت لي وأنا هناك، لكن شيئاً ما لم أقله لأحد، شيئاً أعرفه عن الشعراء بحكم البنوّة أيضاً، أن الماغوط، الذي لم تفارقه أبدية فعل الحياة، لم يسمح لهذه الحياة أن تتركه مجرد متفرج في غرفة ليس فيها غير حياته هو، ما لم أقله لأحد وقتها إن الماغوط سيذهب ليستلم جائزته بلا فرح، لأنه يوقن تماماً بأنه سيفرح بعد قليل قريب، فالفرح لم يكن مهنته في الحياة، أظنه اختار فرحه أخيراً حين اختار لحظة رحيله.

رشا عمران

www.alkottob.com

جنازة النسر

في السنوات الأخيرة زرت الماغوط بشقته وسط دمشق أكثر من مرة، وفي كل مرة كان المشهد واحداً تقريباً، يرسم صورة ذلك النسر شبه العاري وهو طريح الدنِّ والزمن!

وفي إحداها، قبل نحو عامين، صحبت يوسف بزي حين أجري حواراً مع الماغوط،، لعله استشعر أنه لقاؤه الأخير مع الماغوط، لقاء لم يخل من مفارقات معتادة من الشاعر الذي قال يومها إنه لا يتكلم إلا بثمن ولا يصمت إلا بثمن أيضاً، كان في الواقع حواراً وزيارة على مائدة الماغوط الأثيرة التي تلتصق بكنبته: خمور متنوعة وصحون طعام متعددة، و"كروز" سجائر يضيِّف منه زواره بالعلبة وليس بالسيجارة!

كان حديثه عن الكوابيس التي تأتيه في هبات نومه المتقطع، ممزوجاً بأحاديث عن أحلام الشاعر في يقظته، لا تستطيع أن تفرق بينهما بسهولة هكذا كانت حياته، رغم تزيينات الدعة أو ما حسده عليه البعض من كنوز جاءته بعد فوات الأوان، بيد أن الشاعر يموت دائماً دون الحاجة إلى كنوز إضافية.

أراد أن يعقد مصالحة مع الجميع بعد أن أفسد حياته مع نفسه ومع العالم برمته.

ومع أن موته كان منتظراً من قبل جميع من عرفوا كيف كان يفني ساعاته، إلا أنه جاء مفاجئاً لهم أيضاً، لم يكن في أيامه الأخيرة منسياً كما يحدث للشعراء مثله عادة، لكنه كان محاطاً بالرعاية والشبهات! ربما سيزيد من تأويلاتها اليوم، أن الشاعر لم يمت على الأرصفة التي عاش فيها وتغنى بها كميدان بطولة! ولا في المنافي الباردة بل على سرير في مستشفى دمشقي، بعد أن عاش سنواته الأخيرة على كنبة في شقته بوسط دمشق. وبرعاية من ابن شقيقته الطبيب.

لقد هجا الأوطان والعواصم، المدن والغرف والسجون، التاريخ والبشر جميعاً، وها هي أشجار الطريق التي لم يعد منها الكثير، والأرصفة التي لم تعد مكاناً صالحاً للعيش، ترثيه دفعة واحدة، كأنما تعيد له ما أوصى به من محبة على مسارح المهزومين!.

لقد ترك الماغوط مناقب فصيحة في معنى أن تكون الشتائم المتصلة للوطن نشيداً في المحبة التي لا تشبهها محبة أخرى، ترك أسماله على الأرصفة وذهب عارياً نحو الله على كرسي متحرك، وليس على دراجة كما رثى السياب ذات يوم.

محمد مظلوم

www.alkottob.com

ليس محكوماً بالأمل

حسناً.. لقد صعد الآن محمد ماغوط إلى الله ذاك الذي رفع له ملفه الضخم عن العذاب البشري، الموقع بشفاه الجياع وأهداب المنتظرين، ولا أحد يستطيع الجزم إن كان الله قد قرأ الملف أم لا!؟ الأمر الذي بحد ذاته، إذا وضعنا العذاب البشري جانباً، يصنع إشكالاً خاصاً لصاحبه، أقصد، دون أن يكون الله قد قرأ دواوينه الثلاثة وشاهد بعض مسرحياته، لن يعرف من هو ذاك الذي يلتقيه الآن. غير أن الماغوط، كان واحداً من أولئك الذين ما كانوا يوماً محكومين بأي أمل، واحداً من أولئك المتبرمين النكدين الذين يحيون وكأنهم يعرفون الحياة على حقيقتها، فلا يمكنونها أبداً من خداعهم.

ثم في إنذار آخر قبل الطعنة، قبل طعنة الموت بوقت زائد، يقول الماغوط في قصيدته (إلى بدر شاكر السياب):

(حزني طويل كشجر الحور
لأنني لست ممدداً إلى
جوارك
ولكنني قد احلُّ ضيفاً عليك
في أيَّة لحظة).

ورغم حبي للقصيدة وخاصة نهايتها الغريبة، لا أظنني بدوري، من السذاجة لأدع واحداً مثل الماغوط، عاش الحياة بلحمها ودمها وعظامها، يجعلني أصدق أنه حقاً كان مكروباً لهذا الحد بسبب عدم كونه ممدداً إلى جوار صديقه. إلا أنه، في النهاية، كالجميع، قد اضطر لأن يفعل، يتمدد، بجسده المترهل الهامد إلى جوار الموت، وبعد وقت أظنه، لبعده، قد أنساه كل لوعة على صديق أو حبيب، سوى لوعته الخاصة، التي راحت تدفعه، في آخر أيامه، هو الجافي والقاسي والنافر، إلى..البكاء.

نهاية القصيدة تلك، الغريبة كما وصفتها، والتي أحفظها عن ظهر القلب، منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة، رغم أنه كان دائماً عصياً على فهمي، جزمه، بأن قبر السياب لن يبلغ، لبطئه أو لأي سبب آخر، الجنة أبداً. وكأن في الجنة أيضاً، بعرف الماغوط، قبوراً.

منذر مصري

* * *

www.alkottob.com

قتله فيض حزنه

مات، العوض بسلامتي، بموتي الآتي حتماً. باللحاق به إنه يخفف عني بموته، وطأة الموت، هذا رجل شاعر، روحه كانت ترفرف دائما باتجاه الموت، ترفرف دائما فوق مساءلة الحياة. مساءلة الحياة من الجزئي إلى الكلي إلى الموت، من أطفال المدارس إلى تلامذة الجامعة، إلى أجهزة المخابرات التي تتحكم بطفولة الأطفال وغذاء التلامذة، إلى الآلهة الصغار الذين أخذوا وكالة حصرية، انتزعوا وكالة حصرية بالله، منعوا تنفس الناس بالله، منعوا تنفس الله بالناس، الناس الذين هم خلفاء الله في الأرض.

هذا رجل شاعر عاطفي جدا، قتله قبل أن يموت، وعلى مدى حياته، قتله فيض عاطفته، فيض ذكائه الخارق، فيض وعيه الشقي، فيض حزنه الذي سقى نقطة نقطة شجرة حياته الباسقة اليانعة كقصيدة لمحمد الماغوط:

"أيها الربيع المقبل من عينيها

أيها الكناري المسافر في ضوء القمر

خذني إليها

قصيدة غرام أو طعنة خنجر

أيها المحمّد. تعرف أنني آت

فلا داعي أن تنتظرني أنت الذي لا تطيق الانتظار"

محمد العبد الله

* * *

www.alkottob.com

قبل ٣٥ عاماً

يرحل الماغوط اليوم بعد أن صمت طويلا عن الشعر. لقد جرّب مرات عدة أن يعود ونشر قصائد وأعمالا جديدة. ولكننا كنا قد اتفقنا أن الشاعر ما يزال يواصل صمته. صمته ذاك الذي أعقب مجموعته الشعرية الثالثة "الفرح ليس مهنتي". والأرجح أنه كلما كان يشاع أن الماغوط يكتب الشعر مجددا، وأنه بصدد إصدار جديده في كتاب جديد، كان ذلك يزيد من وقع صمته الطويل ويعيد قصائده القديمة إلى التداول. وأحسب أن رحيله اليوم يضاف إلى صمته ذاك، رغم أنه صمت مختلف يستدعي حزنا وتقديرا خاصين لشاعر أثر في كثيرين دون أن يتعمد، وتربت أصوات نبرات شعرية شابة وجديدة في كنف قصيدته رغم ضيقها وخشونتها وسأمها وضجرها من العالم..

لقد صنع الماغوط في الشعر ما أراد أن يصنعه وانتهى من ذلك، تقريبا، قبل خمسة وثلاثين عاما. لقد صنع الماغوط اسمه وتوقيعه الشعري في "حزن في ضوء القمر" و"غرفة بملايين الجدران"و"الفرح ليس مهنتي". ضرب الماغوط "ضربته" الشعرية "ونام ملء جفونه عن شواردها" بتعبير المتنبي.

كتب الماغوط قصيدته دفعة واحدة، بخشونة وعزلة كاملتين: ولعل قصيدة خشنة إلى هذا الحد ومنعزلة وضارية في نبرتها إلى هذه الدرجة، قصيدة بهذه الصفات تصعب كتابتها لوقت طويل بالقابلية نفسها من الاحتجاج والضراوة والقسوة.

كتب الماغوط قصيدته منذ زمن بعيد، وكان ذلك كافيا كي تظل هذه القصيدة نضرة وحية حتى لحظة موته، وهي ستظل كذلك بعد موته.

حسين بن حمزة

* * *

www.alkottob.com

خياناتي الثلاث

عندما أخبرني الشاعر عباس بيضون بموت محمد الماغوط خطر في بالي شيئان: خيانتي وكاف التشبيه. في لقاءات صحافية قليلة أُجريت معي، نسبت تجربتي إلى أصوات عربية وعالمية كثيرة. لم أذكر الماغوط بين هذه الأصوات. ربما كنت أخفي ذلك الأثر بذهنية المجرمين. أما كاف التشبيه، تلك الأداة التي كان العرب يعتبرونها أدنى أنواع البلاغة، فلم آخذها عن النصوص الشعرية الكلاسيكية، وإنما من محمد الماغوط. بهذه الكاف كان الماغوط يسوق قصيدته. لم يحتج هذا البري يوماً إلى تراث لغوي أو إلى كنايات واستعارات أو إلى أفكار يستعين بها على الشعر. كل ما لزمه في عمره الشعري الذي لم يتجاوز الثلاثة دواوين هذه الكاف. لكن هذه المرة مع طرفي تشبيه متباعدين ووجه شبه صادم وعنيف ومؤلم ومباغت. لا أعرف لماذا نسيت لوهلة موقع الماغوط في المسرح الثوري السوري أو في حالة الرفض التي رافقت كل ما كتب في الشعر والمسرح والسينما والتلفزيون. أول ما تذكرته ليس قيمته كثوري بل كشاعر. وكل هذا فقط من خلال جمل كانت تتحرك تحت كاف التشبيه: "ربطة عنقي التي تتدلى على صدري كذراع ميتة"، "كنت آتيك ملوّحاً بشهوتي كسلسلة"، "كسمكة في غيمة"، "أنا مهزوم كجيش يجلس القرفصاء". هكذا وجدت نفسي مردداً هذه العبارات التي لطالما فتنتني مع آخرين.

الخيانة الثانية التي فعلتها هي اعتباري آخر كتب الماغوط الصادر قبل أيام سيئاً. قلت لأصدقاء كنت أجلس معهم في المقهى: كان على الماغوط أن يموت قبل نشر هذا الكتاب.

الخيانة الثالثة حدثت وأنا أكفّر عن ذنبي بكتابة هذا النص. اتصلت بي امرأة للقائها في أحد المقاهي. قلت: أنا قادم بعد عشر دقائق. وبالفعل تركت النص غير مكتمل وذهبت للقاء المرأة التي ما زالت حية بعكس الماغوط. لكن طوال الوقت كنت أحدّثها عن الماغوط. بهذه العبثية المؤلمة كنت أقلّده.

لم يكن الماغوط هامشي القصيدة العربية الحديثة. لقد حوّل بطزاجة تجربته وحرارتها وقوتها وصدقها الهامش إلى متن. وليس سراً أن أمثال هذا الشاعر أعطوا شرعية لقصيدة النثر أكثر مما فعلت عشرات الكتب والمقالات من التنظير للحداثة. كانت قصيدة الماغوط برهاناً على شعرية قصيدة النثر ودلالة على تفوّقها على التجارب السابقة من قصائد خليلية وتفعيلية. وحده الماغوط ببساطته وتأسيسه للشعر اليومي كان يراكم بعده الأبناء والأحفاد. لم يحدث هذا في القصيدة السورية فحسب، وإنما في بيروت التي صاغت تجربته.

ناظم السيد

www.alkottob.com

تحويل الحياة بأسرها

تعاودني المشاهد الأخيرة كأنها تجري الآن بالضبط. لا يريد هذا الشريط أن يتوقف، إذ يستعيد معه العديد من الحوارات والكلمات والنكات التي كنّا نتبادلها معاً، كأي شخصين يجلسان خلف طاولة في مقهى. لنقل إن المشهد الأخير كان كذلك: أخرجُ مع محمد الماغوط من مقهى فندق الشام، نقف على الباب الخارجي مقابل "المكتبة العامة". يضع قبعته على رأسه، "سماعات الوكمان" في أذنيه، نلقي التحية على أمل اللقاء. يأخذ الطريق إلى الجهة اليمنى، ليذهب إلى بيته الواقع في حي المزرعة سيراً على الأقدام. أشاهد كتفيه العريضين، قبل أن أجتاز الشارع إلى الجهة المقابلة، لأنتظر سيارة تقلني إلى مساكن برزة. كنّا قبلها قد جلسنا لفترة طويلة، في هذا المقهى، نتبادل فيها الكلام، على جاري العادة كلّما كنت في دمشق. لم نكن على موعد في أي من الأيام، كان يكفي فقط، أن آتي إلى مقهى الفندق حيث اعتاد أن يجلس صباحاً. أراه هناك، وبعد التحية والأسئلة المعتادة، يدور حديث يشبه حديثاً انقطع ذات يوم لكنه يبدو وكأنه ما يزال يقف عند نقطة معينة، بانتظار لحظة ما كي نستعيده.

الكتفان العريضان يذهبان في رحلتهما اليومية. لا يغيبان إلا ليعودا في اليوم التالي. لم أره غداة ذلك اليوم. بالأحرى لم أشاهده مجدداً طيلة السنوات الماضية، تماماً منذ الفترة التي كتبت فيها عن حواراته مع خليل صويلح التي صدرت في كتاب يحمل عنوان "اغتصاب كان وأخواتها". ربما لأتفادى نقاشاً جديداً معه، إذ لم يعجبني إلحاحه الدائم على "مهاجمة" أدونيس (في الكتاب)فقط،لأنه شخص مثقف. هذه الفكرة قد تكون في صلب تفكير الماغوط، بل تبدو إحدى مكوناته الرئيسية:"الشعور بحساسية" ما، من كل ما هو ثقافي. وكأن كل الشعر والمسرح والمقالات التي كتبها لا تندرج في هذه الخانة الثقافية. من هذا الحيز يأتي جل ما كتبه محمد الماغوط: الكتابة بعفوية"شعبية"، إذ كان يرى أن "طريقته" هذه قد تكون أسهل في الوصول إلى شريحة كبيرة من الناس. هو واحد من الذين اعتقدوا فعلاً أن الكتابة تكون لهذه الشريحة الواسعة، الشعبية، لكن ما فاته ربما، أن الأزمنة اختلفت كثيراً عما كانت عليه منذ أن بدأ الكتابة. ربما أنه لم تعد هناك حقاً من شريحة "شعبية" واسعة تتابع الثقافة، حتى بمفهومها الأول. هل لذلك لم يعد ينشر الشعر في الجزء الأخير من حياته؟

من الصعب إيجاد مبررات لتوقف محمد الماغوط عن النشر، لأنه لم يتوقف عن الكتابة بالتأكيد. هذه الكتابة التي علينا أن نعترف بأنها حقاً واحدة من أجمل كتابات الحداثة العربية الجديدة التي بدأت في الخمسينيات. تعالوا لنقم بلعبة صغيرة: ماذا لو أحصينا مئات الأسماء التي نشرت بمجلة "شعر"كم من واحدة بقي لغاية اليوم عالقاً في الذهن أسماء قليلة بالتأكيد ومن بينها محمد الماغوط من دون أدنى شك. هو واحد من أكثر مواهب تلك الشريحة التي لا غبار عليها. إلى اليوم ما يزال نصه الشعري يملك هذا التماسك الذي لن تجده عند أي شاعر آخر، هو أيضاً أحد الذين فهموا –ومن دون أي مراجع ثقافية، كان يفضل الابتعاد عنها – ما معنى قصيدة النثر وفق ما توارثناه من المفهوم الأوروبي الصرف، (وبالتأكيد لا نستطيع إغفال أنسي الحاج)، هذا الفهم، لم يكن ليتم بدون هذه الموهبة الحقيقية، الخام، البعيدة عن كل

www.alkottob.com

تأثيرات القراءات"الخارجية"، موهبة وكأنها تكونت لوحدها، وهذا ما يعطيها هذه الأهمية الاستثنائية والفريدة في مسارات الشعر العربي الجديد.

هذه المسارات الشعرية أكملها محمد الماغوط بمساراته الحياتية المتشعبة. حياة لم تعرف الراحة منذ بداياتها، ربما من هنا قوله مؤخراً، في أحد أحاديثه الصحافية- وهي أحاديث قليلة في جميع الأحوال- من أن الجسد خانه. ما لم يكتبه الماغوط على الورق، كتبه عبر هذا الجسد في رحلته الدائمة، في توتره الدائم، في ثورته المستمرة التي لم تهدأ. كان يريد تحويل الحياة بأسرها. ليس الوحيد من راوده هذا الحلم الرمبوي "نسبة إلى رامبو، الشاعر الفرنسي"، لكنه بقي الأكثر إخلاصاً له بمعنى من المعاني. لكن ومثلما هي الحال دائماً هي الحياة من كان لها الكلمة النهائية.

من الصعب دائماً أن ندخل في هذه المتاهة، في دوامة هذا الصراع الذي نظن أنه بالإمكان الفوز به. ومع ذلك نعتقد أشياءً كثيرة، وبأن الكلام يمكن له أن يقف بمواجهة، كل شيء. ربما هذا هو معنى الكتابة في نهاية الأمر: أن تكون مواجهة ما وتحد وإلا ما معنى هذا الحلم الواهي في أننا نستمر وفي أننا نؤمن بأننا سنفوز بشيء ما. قد لا يكون الماغوط قد فاز بالشيء الكثير، لكن الأهم، قد فاز بمحبة الكثيرين، باحترامهم. بأنه شاعر لحق كثيراً بأحلامه ولم يرغب في أن يعترف بهزيمته أمام الحياة، إذ حاول أن يبدو دائماً وكأنه أكبر منها، بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

ما يزال المشهد يأتيني مثلما كان عليه في آخر مرة : الكتفان العريضان يسيران في رحلتهما اليومية. كتفان عريضان، لا ليحمل عليهما "سلاف" و"شام" فقط، بل وربما ليحمل عليهما أيضاً كل هذا الألم الذي لم يعرف كيف يطرده وإن نجح في كثير من الأحيان في ترويضه، من تأجيله إلى أيام أخرى. لكن هذه الأيام التي حلم بها، لا أظنّ أنها أتت. بل بقيت مجرد اشتهاء بأن عالماً ما قد يسع كل الإحباطات، التي أصبنا بها، كل الأحلام التي اعتقدنا بأنها ممكنة التحقق.

بالتأكيد إن موت شاعر، لا بد أن يغير شيئاً ما في هذا العالم المتداعي فوق رؤوسنا، فكيف بالأمر والشاعر هذا ليس سوى الماغوط نفسه؟

إسكندر حبش

www.alkottob.com

بائع السموم

كنا في مطلع العمر والحبر حين بحثنا عن مائدته. عثرنا على دواوينه وانفردنا بها قرب النوافذ المفتوحة على الوهم وقرب الشرفات المنسية قبالة البحر. كانت الوليمة عامرة ووقعنا في الفخ. أعشاب غامضة وعصافير مرتبكة. أشجار موتورة وأقمار متهورة تهاجر إلى المناديل. كان يصرخ كمن يحاول دفع وحشية العصر. كمن يحاول أن يحمي غيمة من مزوري الغيوم. كمن يحاول أن يحمي ينابيع البراءة من مافيات المشعوذين.

كان محمد الماغوط صياداً قاتلاً. عينان مكونتان بآلاف الصور تستدرجان القاموس إلى العري الصارخ الشفاف. وكانت بندقيته مخيلة شاسعة قضى عمره رافضاً أن يروضها خوفاً على بكارتها من قدرة العصر على التلاعب ببراءة البوح والغضب والاحتجاج. كان الصياد الذي يدافع عن الغابة وقناديل القلب. كان شرساً في دفاعه وعنيفاً في إخلاصه وعنيداً في ولائه. كان صياداً مجنوناً لا يطلق النار إلا ليصيب نفسه.

كنا في مطلع الحبر والعمر حين تسللنا إلى مائدته. قرأناه من الوريد إلى الوريد. وأعدنا القراءة. وحين عدنا إليه بعد سنتين وجدناه واقفاً حيث كان على ذلك الحبل الذي يفصل بين الحبر والدمع وبين الحلم والانتحار وبين الشغف والهاوية.

تقرأه فتهب عليك الصور. تتسلل إلى قلبك وأوردة الرأس. هذا شاعر لا يطيق الحياد. يستحيل أن تكون معه نصف معجب ونصف عاشق. تكرهه أو تذهب معه. وإن ذهبت دفعك إلى الحدائق والمناجم وقدم لك الحزن عرائس يتغاوين بقلائد الرغبة وخواتم اليأس.

قبل أسابيع هاتفني زميلنا إبراهيم حميدي من دمشق. كان في منزله ثم جاء صوته:"غسان. أنا.لا أزعبر. أكتب هذه الأيام أشياء جميلة ومستعد لكتابة مقال في "الحياة" كل أسبوعين". كان محمد الماغوط يعرف جوابي ويعرف انحيازي إليه منذ استدرجته للكتابة في "الوسط" قبل أعوام. ولأنني كنت أخشى على الصياد الذي أدمن إطلاق النار على نفسه والذي كان يعالج تصدّعات الروح بما يبيد الجسد كشفت عن طمعي. قلت له:"نبدأ بحوار طويل ثم نعلن لقرّاء"الحياة" عن موعد مقالتك".

كنا نعد الإعلان عن الحلقات أمس حين هاتفني إبراهيم ليبلغني أن محمد الماغوط لن يقرأ الحوار ولن يكتب. هجمت عليّ عبارات سمعتها منه في منزله وفي منزل الصديق فخري كريم رئيس تحرير "المدى" وفي المقهى الذي كان يحبه في دمشق. تذكرت عبارته الواثقة"إن الظلام الدامس يقترب". تذكرت قولاً عاتباً "لا مستقبل لأمة كان لديها بيروت وأضاعتها".

حزنت. ركض محمد الماغوط عمره بوحشة الأنهار وطيش العصافير. كانت النار مشتعلة في ثيابه وأجنحته ومحركات الروح. كان يرمي الأيام مثقلة بأعقاب السجائر وأعقاب الأحلام المهمشة ككؤوس تطاردها لعنة الزلازل. هرب إلى التراب نجمة تعبت من السهر على حبال المخيلة الراعدة. كان حارس منجم الحزن وبائع السموم الباهرة. وكنا نحب سمومه وما نزال. و"الحياة" التي كان تستعد لاستضافته كاتباً تنشر اليوم حواره الأخير تحية لبائع السموم الجميلة.

غسان شربل

* * *

www.alkottob.com

رحيل محمد الماغوط

المشاكس الذي لم يتعب من التعب

من "حزن في ضوء القمر"-١٩٥٩- وكان في بواكير أيامه وهو المولود في العام (١٩٣٤) إلى غرفة بملايين الجدران /١٩٦٤- إلى العصفور الأحدب-١٩٧٦- والذي سيظل أحدب طوال عمره الذي لم يعرف الفرح ولم يمتهنه قائلاً في سره وفي العلن: الفرح ليس مهنتي -١٩٧٠- إلى أنشودته الخالدة: المهرج -١٩٧٤- إلى أرجوحة العمر - الأرجوحة- رواية ١٩٩٢، ومعها مجموعة أشعاره الصارخة بالانتماء للوطن عكس عنوانها الفاضح بالمرارة: سأخون وطني، إضافة إلى تغريده خارج السرب، في مسرحيته المعروفة، وسائر أعماله الهامة مع دريد لحام: ضيعة تشرين، غربة، شقائق النعمان، وكأسك يا وطن والعديد من الأعمال.

من كل متاع العمر الزاهد بكل متاع، ومن كل جارف الشوق المترع بالأحلام يتشكل نسيج الشاعر والمسرحي المشاكس والعنيد: محمد الماغوط الذي غالب الأيام بكل ما فيها ولم يكسره مرض أو خوف من الموت.. ولكنه يترجل باسطاً عينيه مفتوحتين على مشارف الأمل.. الأمل في أن يكون ما عاش يحلم به يظل حيّاً ولو في الأحلام.

وداعاً للماغوط الكبير وبمثله من الفرسان يكبر فينا الانتماء ويكبر فينا الأمل.

ومع أن سيرته تؤكد ضلوعه الدائم في عالم يبدو مصراً على لا مبالاته بكل الأحياء من حوله، إلا أن الماغوط الذي أضحك وأبكى وأشجى وأطرب وأغرى وأتعب، الماغوط الذي لم ينم على وسادة مريحة أبداً استطاع أن يحوز الاهتمام الجماهيري والرسمي فعرف معنى التكريم وحلاوة الاحتفاء حيث نال في بلده أرفع وسام يعطى لأديب: وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة وقد منحه إياه السيد الرئيس بشار الأسد قبل نحو عامين من الآن، كما نال جائزة العويس، حيث قالت اللجنة المانحة إنها تمنح الماغوط هذه الجائزة الرفيعة لأنه أسهم في الحداثة الشعرية العربية وفي تطوير قصيدة النثر وكان من روادها الكبار.

تزوج الماغوط من الشاعرة الراحلة سنية صالح وأنجب منها ابنتين: سلافة وشام، وحين توفيت زوجته كتب على قبرها "هنا ترقد سنية صالح آخر طفلة في العالم" وعن قريته السلمية كتب في سيرته المنشورة جزئياً في كتاب في سيرته المنشورة جزئياً في كتاب:"اغتصاب كان وأخواتها.."، "السلمية قرية نائية وباسلة لا مدنية ورجالها لا يتورعون عن ضرب أشجارهم بالسوط لأنها لم تثمر في الوقت المحدد".

جمال عبود

* * *

www.alkottob.com

رحل الماغوط.. تركَ أحزانهُ ومضى..!

أيتها النظرات الكسيحة كالبنفسج.. يا بركة السنونو الزرقاء: هوى نسرك المقهور.. شيخ خيباتنا جميعاً.. وأوهامنا التي لا تنتهي.. هوى وما زال ممسكاً بآخر الرايات المرفوعة حفاوةً بالحزن، والعيون المكسورة بحدّ البرق.. منذ أن ذرفته سلمية البعيدة النائية، وهو يمشي أعزل وحيداً كالجرح في الصدر، فما دام هناك تبغ وثقاب وشوارع، لم تكن قوة في العالم قادرة على أن ترغمه على فعل ما لا يريد..

صحيح أن هدير نهر الجائعين تأخر كثيراً، والشرفات العالية ما زالت في مكانها.. إلا أن أحلامه المسنونة كحدّ السكين تدقّ كالشرطي على أبوابنا.. تفتح الذاكرة للريح، وتشعل فتيل القهر الممتدّ من البحر إلى البحر..

ومن دمشق إلى بيروت، لم يدّع الماغوط أن ما يكتبه شعر، كانت الأصابع تشير إلى ذلك الطفل أشعث الشعر، الخجول صاحب العيون البريئة كالأطفال، والقمصان الزرقاء الفاقعة مثل سماء البلاد، لم يكن يعرف شيئاً عن رامبو أو بودلير، كان مكتفياً بأحلامه وأرصفته وحقائبه، مثل حارس قديم عند باب الحزن، يزرع الوجع العربيّ في وجوه المارة، ثم يهديها حدائق الشوك كي تصحو..

من دمشق، إلى خميس شعر في بيروت، أعاد الماغوط دون أن يدري، معنى الحرية إلى الكتابة العربية، ورغم أنه لم يكن متمسكاً بتسمية جنس الكتاب لديه، إلا أنه ردد دائماً: الشعر كالحرية فليس هناك حرية موزونة أو نثرية أو مقفاة..

ومنذ دواوينه الأولى : الفرح ليس مهنتي وحزن في ضوء القمر، وغرفة بملايين الجدران، بدا واضحاً أن الماغوط ليس فقط طائراً يغرد خارج السرب، وإنما مدرسة مختلفة عن الاعتياد في الكتابة وعمّا ألفته الذائقة العربية من مهادنة كانت قد استمرت طويلاً حينها..

ورغم الجدل الذي أثارته نصوصه الأولى في الأوساط الأدبية والنقدية، كان الماغوط يلقي بأحجاره النادرة في البحيرات الساكنة، ثمّ يهدي دوائر صخبه الرائعة لتسجل كنقاط مضيئة في تجربة الكتابة العربية كلها.

من العصفور الأحدب، والمهرج، وكاسك يا وطن، والحدود، والتقرير، وضيعة تشرين، وشقائق النعمان، كانت أعمال الماغوط تحفر بإصرار فرادتها في المسرح والسينما، مدمنة طبعها القديم في اجتراح المرارات واختزال الأمكنة فهو على عكس جيل بكامله، كان يرى في الخمسينيات بشائر الغروب العربي الذي نعيشه الآن.

يصرّ الماغوط على أن يمرّ بمبضعه القاسي، فوق الجروح المفتوحة كالأفواه، والأحلام المشبوهة، كالممنوعات، يدقّ أجراس الكلمات العارية في ليلنا الطويل..

من مقهى أبو شفيق في الربوة إلى شارع الصالحية والمزرعة، وزّع الماغوط أحلامه على المارة الغرباء والأرصفة، ومثل ياسمينة فوق سياجٍ، كان يحدق بالوّجوه والمعاطف وأصابع الأطفال.. حيث المدينة تبتكر الحياة على أرصفتها مثلما تريد.. ويقرؤها شعراؤها كما يشتهون.. دمشق، والكتب المهربة وأزهار الياسمين..أسلحة الماغوط التي لا تنهزم أبداً!

زيد قطريب

* * *

www.alkottob.com

بائع الحزن

لم يكن الفرح يوماً مهنة للكاتب العربي الكبير محمد الماغوط.. كان دوماً يكتب بحد السيف وبدم القلب، كان يضحكنا في سخريته المرّة إلى حد البكاء و.. كان هناك علم اسمه محمد الماغوط.

أعتذر إليك يا أبا شام.. يا صاحب الدرب المفروش بالأشواك والألغام.. يا من نحت كلماته في ضمائر فقراء الوطن، وزرع الورد والياسمين في صحارينا الجدباء.

أعتذر إليك يا أيها المتمرد فينا على التخلف والجبن والصمت.. فأنت من كان يقود مركب الكلمة الجارحة التي صارت بندقية، وأنت من حمل معوله ليحطم أصنام الجاهلية المزروعة في النفوس. أعتذر منك لأن كلماتي أعجز من أن تعبر عن مدى حزني لفراقك الأبدي، وأن حزني أصغر من أن يرتقي إلى هول المصاب..وأن الكلمات تقف أمام رحيلك خاشعة في محراب الموت الذي كنت دائماً تسخر منه وتمد إليك لسانك هازئاً.

يا أبا شام.. عرفتك في ربيع العام ١٩٧٦ بعد أشهر من صدور "تشرين".. بدأت الكتابة في هذا الحيز الذي أستميحك عذراً أن أكتب فيه لأرثيك.. وهل تكفي كل المراثي لقول كلمة في موكب رحيلك الفاجع.

أتذكر أنك كنت لا تكتب إلاّ على الدفاتر المدرسية.. وبأقلام الرصاص.. لتؤكد لنا أنك لم تغادر يوماً مقاعد الدراسة.. ولتعلن لنا طفولة أبدية تعشّش داخل نفسك طفلاً وشاباً وكهلاً وشيخاً جليلاً صار مدرسة للحزن.. للفرح.. للسخرية الموجعة..للتمرد على واقع عربي لم يسلم يوماً من صوت قلم الرصاص الذي تكتب به.. فتحول القلم إلى رصاصات تدمي ولا تقتل.. تتحدى ولا تصطدم.. تبوح بما في نفوسنا الخجلى.. الخائفة المتمترسة وراء أكياس من رمل السلامة وركام الأمثال الشعبية المتداولة التي تدعونا إلى تقبيل أيادي أولئك الذين لا نقوى على منعها من صفعنا.

كنت الأجرأ.. الأقوى.. الأكثر تحرراً من رهاب القوة الطاغية.. كنت في شعرك ونثرك ومسرحك سيفنا المسلط على رقاب الدهر والغدر والقهر.

رحلتك الطويلة من السلمية إلى دمشق.. فبيروت التي احتضنت فكرك واحتضنت ألقها وشهدت سقوطها تحت سنابك المحتل.. رحلتك الطويلة كانت كالسير على درب الجلجلة.. لم تعرف يوماً طعماً للفرح.. فأنت لست بائع الفرح.. أنت تقول: الفرح ليس مهنتي، كنت تبيع أحزانك وأحزاننا، وتهدينا أخطاءنا وكنت صاحب "البيان المشترك" مع زكريا تامر.. توءمك في زاوية"عزف منفرد" التي ولدت قبل ثلاثين عاماً بالتمام والكمال في هذا المكان نفسه الذي أرثيك فيه.. فعذراً من جديد وأعترف أنني أعجز من أن أعبر عما يعنيه أن أكتب عنك في مكان وزاوية و"غرفة" كنت تسكنها مع زكريا تامر الذي كنت أرغب في أن يحتل هذه الزاوية في هذا اليوم الحزين.

نعم.. اختارك ملاك الموت اليوم، والمنايا خبط عشواء "من تصب تمته" فأصابت قلبك الطفل.. وقلمك الرصاص.. وأوراق دفتر المدرسة التي تركتها على طاولة اهترأت لكثرة ما اتكأت عليها لتكتب بدم قلبك مداداً حكاية وطن وتشرب نخب هذا الوطن وترحل.ولتكتشف عريناً في ضيعتنا التشرينية ولتسخر من حدودنا وتتركنا في غربة.

www.alkottob.com

رحلت يا أبا شام.. وكلنا سيصل يوماً إلى نهاية الطريق.. لكنك بأدبك وفكرك ومسرحك وشعرك.. ستظل بيننا تعلمنا كيف نبيع الحزن ولا نشتري الفرح.. ونختار الدرب الأصعب والأطول.. لكنه الدرب الوصل للخلود وعلمتنا أن الكلمة ليست زهرة بنفسج، أو رسالة حب فقط، وإنما هي السيف تقهر القهر والفقر والخوف..السيف المشرع في وجه تجار الدم والموت. وداعاً يا أبا شام.. وداعاً يا محمد الماغوط.. وداعاً يا بائع الحزن.

عصام داري

www.alkottob.com

الفرح مهنته.. ملك للسخرية والتحدي

عرفت محمد الماغوط على مقهى البستان بوسط القاهرة حيث كنت ومجموعة شعراء جيلي نقضي معظم أوقاتنا عليها قراءة وحواراً وكتابة وقتلاً للفراغ، قرأنا أعماله الكاملة التي كانت تباع بثمن كبير بالنسبة لنا وقتها أوائل الثمانينيات، فاحتل فينا مكانة هامة ضمن باقة لم نكن نختلف كثيراً حول تميز وجمال تجربتهم، منهم صلاح عبد الصبور وسعد يوسف، على العكس من شعراء آخرين كنا ننقسم بشأنهم وعلى رأسهم أدونيس، وقد تركت قراءاتنا له تأثيراً كبيراً على تجاربنا..إن لمحمد الماغوط مكانة خاصة لدى الشعراء المصريين على اختلاف أجيالهم، حيث ما يزال موضع قراءة وتقدير وتميز لدى أحدث الأجيال الشعرية في مصر، ويمثل رحيله خسارة مؤلمة لكل الشعراء والمثقفين الذين تابعوا مسيرته وأحبوها، وفي هذا التحقيق مجرد تحية لراحل غالٍ على الشعر العربي والشعراء العرب..

محمد الحمامصي

www.alkottob.com

المرحلة الثورية

الماغوط يعد شاعراً كبيراً وهو أحد مؤسسي قصيدة النثر في العالم العربي في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، كما برع في استخدام مفردات جديدة وتوظيف المفارقة والحس الساخر الذي وظفه بمهارة كي يبين مفارقات حياتنا الإبداعية والثقافية وكي يشحن قصائده بالحس الساخر أيضاً، فقصائده بالتأكيد تختلف عن تيار قصيدة النثر الحالي.

لقد كان رائداً ولكنه كان يلزم نفسه إلى حد كبير بالتراث الشعري ومكتسباته، ولكن القصيدة اختلفت الآن كثيراً ووصلت إلى حد كتابة الخواطر والكتابة بين الكتابة والقصيدة والثرثرة ولم يعد هناك الإحكام التي تتميز به قصائد الماغوط، وصارت قصيدة النثر الآن مجال من لم يجد لنفسه قدرة على الإبداع في القصة والرواية أو أي أعمال إبداعية أو كتابية أخرى.

إن الوضوح هو إلى حد ما ملمحاً من ملامح الماغوط لأنه كان شاعراً يهتم بقضايا أمته ومشغولاً بتحولات الواقع يرصد ويحلل، أما الآن فقصيدة النثر تبتعد كثيراً عن كل ذلك لأن الشاعر أصبح مشغولاً بذاته فقط وأصبحت القضايا الكبرى تمثل عبئاً إبداعياً وأصبح الشاعر الآن مهتماً بتفاصيل السرير والغرفة والمقهى والثرثرة، بينما نحن نعيش في واقع ملتهب وما زال المال محاطاً بالجحيم من كل ناحية ولم نصل بعد إلى حد الرفاهية التي تجعل الشاعر ينشغل بنفسه فقط.

فالماغوط في معظم قصائده كان يعتمد على تجاربه الذاتية في قصائده وهو ملموس من الأشياء التي شدت الانتباه إليه، فتعامله مع الدين والسياسة كان واضحاً في تجربته الشعرية وعندما ينشغل الشاعر بالقضايا الأساسية وهي الدين والجنس والسياسة وكل القضايا التي تحرك المجتمع والتي تؤثر على الشاعر بقدر كبير، الأمر الذي أدى إلى سجن الماغوط بسبب إبداعاته وأفكاره السياسية حيث إن شعره كان يحمل معظم همومه الإنسانية.

فالماغوط عاش مرحلة تتسم بالثورية والتطلع إلى تخوم النهضة الأمر الذي أثر على شعريته، وكلنا نتلمس أحياناً قربه من قصيدة التفعيلة بمعنى أنه لم يشطح بالتعامل مع اللغة وظلت القضايا التي انشغلت بها التفعيلة تلقي بظلالها على شعره.

محمد سليمان

www.alkottob.com

الرهافة والقوة

إن الماغوط يعد رائداً من رواد قصيدة النثر في الوطن العربي حيث بدأ هذا المشوار الوعر بخدعة، كما هي عادته في شعره، بعدما توقع الهجوم الشرس الذي سوف يجابهه من السلفن من الشعراء والقراء والنقاد إذ قال "أكتب نصوصاً إذا لم تروا فيها شعراً"، أما عن شعره فمعظمه رسائل شديدة اللهجة إلى الأنظمة العربية الفاسدة في حس شعري ساخر شديد الرهافة والقوة في آن واحد كما في ديوانه الأخير، فشعره من الناحية الجمالية مثل كل تجارب الرواد يحرثون الأرض ليكمل حرثها وتخصيبها شعراء آخرون، وربما بسبب الهم السياسي الطاغي على الماغوط وانشغاله الحقيقي بهموم الوطن سياسياً واجتماعياً وهو ما جعل قصيدته تتسم بالأدلجة التي قد يزينها بعض النقاد الذين يطالبون الشاعر أن يكتب شعراً صافياً "انتهاجاً للنحو الذي استنه العقاد حيث قال الشعر من الشعور، أو كما قال الشرقاوي أيا طائر الفردوس إن الشعر وجدان"، لكن المنصف والقادر الحقيقي على قراءة الشعر "فقراءة الشعر فن" سوف يستطيع أن يتلمس العمق الشعري والجوهر النشط بما يحمله من طاقة مخبّأة داخل الرسائل التعبوية التحريضية في أشعار الماغوط.

فاطمة ناعوت

* * *

www.alkottob.com

العبقرية الحقيقة في قصيدة النثر

حين قرأت منذ سنوات طويلة(حزن في ضوء القمر) و(غرفة بملايين الجدران)و(الفرح ليس مهنتي) أحسست أنني أمام عالم واسع بكر من المشاعر والانفعالات، ولو مرة بيني وبين نفسي أعترف أن فناناً عبقرياً في وسعه أن يجعل من النثر شعراً لو كانت موهبته استثنائية كتلك التي يمتلكها محمد الماغوط وعندما قرأت مسرحيته (العصفور الأحدب) زاد إيماني بذلك، إذ إن المسرح الشعري ليس فقط هو المسرح المكتوب شعراً بل هو المسرح الذي يجعل لموضوع من موضوعات الحياة معادلاً استعارياً يكشف عما وراء المعنى المألوف للوجود.

إن محمد الماغوط يعد، من وجهة نظري، العبقرية الحقيقية في قصيدة النثر العربي، وبرغم موقفي من قصيدة النثر بوصفها قصيدة لا تنتمي أصلاً إلى حساسية الثقافة العربية وجمالياتها فإن الماغوط هو أول من غير وجهة نظري إلى الشعر المكتوب نثراً إذ إنه استطاع أن يستخرج من الحساسية الجمالية العربية ما يتوافق مع إيقاع داخلي جديد يعوض الإيقاع الخارجي الجهير للقصيدة الموجودة في الموروث العربي على مر العصور ويشحذه باستعارات جريئة وصور تمثيلية قادرة على صناعة منطق جديد للسان العربي.

إذ إن الماغوط، ولا أدري لماذا لم يستطع أن يخرج من عباءة شعراء مدرسة في الشعر النثري العربي، يتعلم فيها ويطور منها أبناء هذه الأجيال التي تلتها إذ إن أغلبهم قد حاكى القصيدة الأوروبية المترجمة إلى لغتنا أو اعتمد على الطريقة السريالية أو شبه السريالية التي اعتمدها أدونيس مثلاً أو أنسي الحاج أو شوقي أبو شقرة في كتاباتهم الشعرية المنثورة.

وعلى ذلك فإن الماغوط يعد علامة مفردة قائمة برأسها في تاريخنا الشعري الحداثي المعاصر، إذ إنه ربما الوحيد الذي استطاع أن يهضم بودلير أو أرثو رامبو أو مللري أو سان جون بيرز وأن يتمثلهم بطريقته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد والتي تعتبر في الوقت نفسه مستقلة نسبياً عن الجو أو المناخ الذي كتب فيه هؤلاء الشعراء الغربيون قصائدهم.

وليد منير

www.alkottob.com

ليس غيره

يمضي الماغوط مستريحاً من واقعنا العربي، متجاوزاً رحلته مع قدره العروبي منذ مولده ١٩٣٤، وحتى آخر كلمة خطتها يداه وهي تتحرك مؤشرة على زمن لم يكن لنا، ليس غيره من منح القصيدة روحها الجديدة طوال عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. ليس غيره ذلك الرجل متعدد المواهب قادراً على أن يقوم بهذا الدور الأكثر بروزاً في الثقافة العربية المعاصرة، ليس غيره يمكننا أن نتذكره يوماً وهو يهتف:"هذا الفم الذي يصنع الشعر واللذة/ يجب أن يأكل يا وطني" وإذا كانت شخصيته قد تبلورت في جوانبها المتعددة: الصحافة، الشعر، المسرح، الكتابة الدرامية، فليس من السهل أن ترغمنا مشاغل الأيام عن رجل كان له هذا الدور الأهم.

سنتذكره واقفاً معنا على "الحدود"، رافعاً "كأس الوطن"، متأملين ما يحدث في.."شرق عدن غرب الله..".

هل يكفي حزننا معه في ضوء القمر وهو الذي صرح يوماً أن: الفرح ليس مهنتي، أم سينظر إلينا نظرة من رأى مهرجاً يحاكي ضميراً معذباً في مأتم عربي..تحية تليق بالرجل، رجل كان يليق بزمنه وموهبته.

مصطفى الضبع

* * *

www.alkottob.com

الطائر البري

الماغوط هو ذلك الطائر البري الذي خط نعكشاته وتسكعاته عبر حواري وأزقة دمشق وحاناتها الرخيصة، تاركاً على جدرانها تمرده العفوي مزركشاً خطواته على إسفلتها وترابها بألم إنساني لا يندرج في الأيديولوجيات الرسمية، إنه ألم من ينتصر لبساطة العيش الحر بكل مفرداته، حيث لا معقب على حقه في الحب والأمل وكرامة الإنسان. لهذا كانت اعترافاته البسيطة كلمات تنفذ إلى صميم الروح الإنسانية، لتوقظها من عماء الرؤية الضخمة إلى نور الواقع بمشهديته الجارحة، لقد أنزلت نصوصه الأقنعة التي ألبسناها للأشياء والأفكار، فصار القمر قرين حزن، والغرف الصغيرة عالماً يختزل مأساة كبيرة تلتف حولنا، ونحن سادرين–ما نزال–في غياهبنا الكثيرة.

نصوص الماغوط هي الابنة الشرعية بل الأكثر شرعية لفعل الحياة الحقيقي، إيقاعها من إيقاعه، ولا إيقاعها من لا إيقاعه، دخان السجائر من نفثاته الصعلوكية حيناً والبرجوازية حيناً في الوقت الذي كانت فيه القصائد تتغنج أمام ميكروفونات الهيبة المؤسسية "سواء في بلاط الأنظمة الأيديولوجية المتحالفة مع خداع الجماهير أو الأنظمة الأيديولوجية المضادة" كانت نصوصه الصغيرة تفتح كوة في أقبية المؤامرة الكبرى التي يصوغها السادة المتبخترون بنسور الأكتاف وعصي المارشالية، والسادة المتغندرون بطلاقة بياناتهم السرية في أقبية الأحزاب التحت أرضية شكلاً والمتراسلة مع أبهاء القصور الحاكمة ودلاليها.

نصوص أعادت بلا سابق رؤية تجهيزية للكلمات أحاسيسها الأولية التي تخطف القلب والجسد والروح، لتفتح وعينا على ملمس الواقع بكل خشونته، لنقترب أكثر من عوالم الحقيقة. نصوص الماغوط هي في حقيقتها اسم حركي للشعر في بداهته ووحشيته المعفرة بغبار الطريق، لذا:نحن الملعونة روحنا بالشعر، مدينون لهذا البصير الذي لم يصرخ، باستنارة ظلامنا الذي يتهددنا قابعاً في التفاصيل، بينما كنا مشدوهين بوهمنا إلى المطلق، لقد أشار شعر الماغوط إلى الوحوش الصغيرة التي نربيها في حدائقنا الخلفية، ثم بعد ذلك نبكي ويا للغرابة على أحلامنا المجهضة.

أحمد زرزور

www.alkottob.com

الفرح مهنته!

كيف يدّعي محمد الماغوط في أحد دواوينه أن "الفرح " ليس مهنته؟! هو مهنته على طول الخط، لإسهامه التاريخي في عقد قران "القصيدة"على "النثر" كواحد من أهم رواد قصيدة النثر في الوطن العربي، ولفتوحاته المسرحية المشهودة التي كتبها بسكين السخرية، ولمقالاته الشرسة في سبيل إحقاق الحق، ولأنه واحد من أكثر من أثاروا القضايا الكبرى في تاريخ الكتابة الشعرية المعاصرة، أليس هو من قال في ستينيات القرن الماضي " عن العدالة الناقصة"..."العدالة التي تشمل الجميع وتستثني فرداً واحداً ولو في مجاهل الأسكيمو، هي عدالة رأسها الظلم وذيلها الإرهاب. والرخاء الذي يرفرف على موائد العالم ويتجاهل مائدة واحدة في أحقر الأحياء، هو رخاء مشوه!". الفرح مهنته رغماً عنه لأنه أفرحنا كثيراً، ربما لأنه الأكثر صدقاً في جيله، أو كما وصفه الراحل نزار قباني بقوله: "أنت أصدقنا، أصدق شعراء جيلنا. حلمي أم أكتب بالرؤى وبالنفس البريء البعيد النظر الذي كنت تكتب به في الخمسينيات. كان حزنك وتشاؤمك أصيلين، وكان تفاؤلنا وانبهارنا بالعالم خادعاً". الماغوط معلم كبير في كتابة الحرية والألم والحياة والواقع، خطّ مع رفقائه في مجلة "شعر" "من أمثال أدونيس، أنسي الحاج ويوسف الخال وسعدي يوسف وخليل حاوي" ملامح القصيدة الجديدة التي كانت طفرة في وقتها، واستمرت في التحقق والتطور إلى يومنا هذا. وصل الماغوط مبكراً إلى الكتابة الحرة، كتابة العالم والحياة، بكامل بهائهما وغضبهما ونزقهما وتفجيرهما وترددهما، وكتب دائماً للبسطاء والعاديين وأصحاب الأحزان المشروعة: "عيناي زرقاوتان من كثرة ما نظرت إلى السماء وبكيت". إنه الشعر الذي ينبع في طبقات العتمة الداخلية، ينبجس منها، آتياً من الأمكنة التي تجتمع فيها حقائق الباطن والأسرار واللآلئ والدهشة البدائية:"ولدت عارياً وشببت عارياً كالرمح، كالإنسان البدائي". لقد استطاع محمد الماغوط أن يجرح الكثير من الشعراء بشعره، لأنه ظل قادراً على الاحتفاظ بالطفل المقهور الذي يندهش من الجمال ويفرح به، ويشمئز من القبح، ويبكي من الظلم، ومثل هذا الطفل يرى أن الشعر كله زيف وضلال طالما أن الواقع يصب علينا لعناته. وإذا كان الماغوط ملكاً للسخرية والحزن في كلماته وقصائده، (وربما لهذا السبب جاءت مجموعته الشعرية الأولى بعنوان: حزن في ضوء القمر) فإنه كان يعي ذلك جيداً، وكان يقول "إذا كان شعري حزيناً، فربما كان طابع التاريخ الذي نعيشه هو الحزن، لا أحد يولد حزيناً أو متفائلاً أو كريماً أو بخيلاً، فكل هذه الصفات تتكون في بيئة الإنسان، وقد رأى البعض أن الرحلة التي بدأنا الكتابة بها تبشر بالخير، في حين أني رأيت أنها تبشر بالحزن وبالتشاؤم وبالنكسات وبالهزائم". وبمثل هذه التركيبة الفريدة من السخرية والحزن والتلقائية والبدائية؛ وربما الفظاظة في بعض الأحيان؛ شكلت كتابات محمد الماغوط تحدياً لكثير من شعراء قصيدة النثر وقدكان الماغوط بكثير من التواضع يكتب ما يكتبه على أنه خواطر لا قصائد، فإذ به يحقق فرادةً في قضايا قصيدة النثر دون أن يدري أو يقصد إلى ذلك في البداية!

شريف الشافعي

* * *

www.alkottob.com

إهانة حتى الخيانة

تأخى محمد الماغوط مع الفقر والشقاء. تقبّل أحكام التشرد. وحوّل غربته في بيروت إلى وطن معشوق ومنتقل. سامح نفسه على خطئها في حق نفسه. وهذا أفظع الارتكابات في الدنيا. وسامح أصدقاءه. وسامح الضعف البشري في كل مكان. لكنه لم يغفر للفاتك الذي أهان كرامته. لم يغفر للسجان. لم يغفر للرجل الذي يرمي الشعراء في السجون، كما يرمي القطط الجائعة من النافذة.

تصالح كتّاب عرب كثيرون مع السجن، حيث رميوا في الزنازين المرعبة أو القواويش المذلة مع الحرامية والسراقين والقتلة والمحتالين وحثالات المجتمع. وعاش هؤلاء بقية أعمارهم ينسون ما حدث، أو يروون ذكريات السجن في باب الطرائف والنكات. لم يغفر محمد الماغوط للأمة ثقافة السجون. عاش حياته يتطلع خلفه خوفاً من تكرار المذلة. كانت ترعبه فكرة وقوع الشعر في يد الشرطة، وسقوط الفكر في أفخاخ العسس والجلادين وثعالب الحريات.

أعطته الدولة السورية الأمان بعد محنة السجن. وكرّمته. وأحاطته. لكنه لم يطمئن ولم يكفّ. ولم ينسَ. كل شيء يهون إلا الإهانة. وهو، كما قالت الشاعرة خالدة سعيد، كان بدوياً. والبدوي لا ينسى. فقط يتعلّم من عذاباته ما يريد، ومن ذكرياته ما ينتقي، ويرمي اليباس على جانبي الطريق. لكن الإهانة لا تقلّم ولا ترمى. إنها مغروسة في الجبين، يطغى ظلها على العينين كلما طال النهار.

كتب القصائد الجميلة في كل شيء، وحوّل السجن إلى ملحمة. شعر أنه ابتز منه شيئاً لا يسترد ولا ينقل ولا يعاد صنعه. ولذلك أمضى حياته يحقّره وينتقم منه. ونام الرفاق على وسادة الحرية الخاوية ورفض هو أن يغفل. وجعل من شعره الندي العسلي الموسيقي ومن نثره الحاد الناصل، غضبة دائمة على شرطة الإهانات. وغفا الجميع إلا قلائل عن ثقافة السجن السياسي. وتمرّد عليها في القصيدة محمد الماغوط وفي الرواية صنع الله إبراهيم ومصطفى أمين، وعقد الآخرون عقد مصالحة مع السجان. مرة قال خليل حاوي عن جبران خليل جبران أن ما يكتب عن سيرته أكبر بكثير مما يكتب عن أدبه. والماغوط كان شخصية إلياذية بطولية ساحرة، سيرتها هي الشعر وبؤس هو المسرح. وظل يلاحق سجانه حتى الموت. إنه ذلك الشرطي الذي حمله على القول:"سوف أخون وطني".

www.alkottob.com

محمد الماغوط تحت الغبار

رحل معلمي محمد الماغوط..ولأني لا أحب المراثي، ولا النعوات التي تطلى أواخر سطورها بالميتافيزيقيا المهترئة، أحب تذكره كمعلم، وصديق.. وأراه أثناء رحيله، كأنما كان يحمل عصا أسطورية، تشبه عصا النبي موسى.. شق بها البحر الأحمر، وأوجد فيه معبراً لعبور قومه، حيث سيتيهون في الصحراء أربعين سنة، ثم يتيهون في مجاهل التاريخ..

وأول تعرفي إلى محمد الماغوط بدأ منذ التقاطي، عن عربة، تطاردها شرطة البلدية، ديواناً له، يحمل عنوان:"غرفة بملايين الجدران".. سعره المثبت على الغلاف ليرتان، وقد اشتريته، بنصف ليرة.. وقد فجّر الديوان في أوديتي، ينابيع ثرّة.. تماماً كما فعل تيودور دستويفسكي، وأنطوان تشيخوف، ثم مكسيم غوركي.. وإدغار آلان بو.. ووليم سارويان.. ووالت وايتمان، ووليم فوكنر، وهذا الأخير ألقى قنبلة نووية في صحرائي..ولن أنسى بالطبع معلمين كبار من أمثال حنا مينه، والصديق النزق، الراحل، بخيانة عظمى، سعيد حورانية، والمعلم الكبير يوسف إدريس.. وكثيرون سواهم.. أذكر منهم، على سبيل الوفاء، أستاذي، الشاعر عبد الباسط الصوفي.. وآخرين، وآخرين.. والقائمة طويلة..

وأعرف، ويعرف قليل من القرّاء، أنَّ محمد الماغوط كان يكتب قصائده، بحريّة منفلتة من عقالها، وكانت تزعجه الكتابات الصحفية المقنونة بمواعيد.. فيهرب منها، أو ينساها، أو يتناساها..وحيث كنت مخرجاً مسؤولاً عن القسم الفني في الصحيفة، كنا نبحث، حال حلول أول الليل عن زاويته المكلّف بها، فلا نجدها.. فيقول لي جبران كورية: خذ سيارة من الصحيفة، وهات لي محمد الماغوط من تحت الأرض!..

فأهبط الدرجات القليلة، ثم أمرّ على عامل الاستعلامات، وكان أعشى.. وآخذ مفاتيح سيارة البيك آب، على ظن من عامل الاستعلامات أنّي سائق، (ولم أكن قد حصلت على شهادة سواقة) وأمضي بالسيارة للبحث عن محمد الماغوط، وكنت على دراية بخرائط (المقاهي) المعتمة التي يختبئ فيها من أجل جلبه إلى مقصلة الكتابة..

وكان يأتي مطواعاً.. بينما مبنى الصحيفة ما يزال على (العظم)، ولا جدارات تفصل بين غرفة وأخرى.. فيتحول الماغوط إلى نمر حبس في قفص، يتجول في فضاءات المكان، من شرق إلى غرب، بينما أنا أشم رائحة احتراق أعصابه.. وأنتظر، على جمر، ولادة الزاوية.. وحيث ينتهي من الولادة العسيرة، يلقي الزاوية إليَّ، كما لو كان يلقي معطفاً مهترئاً يودّ التخلص منه عند أولى نسمات الصيف.. ويطلب سيجارة مني، حيث نفذت سجائره.. ويقول لي: يا وليد.. أرجعني إلى حيث كنت!..

.. بعد عشرة أيام من رحيل زوجته الشاعرة سنية الصالح، كتبت تحية وداع لرحيل سنية المفجع.. وحين حملت الماغوط إلى مبنى الصحيفة، شتمني بعبارة مقذعة، لا يصح تكرارها هنا، وقال لي لم أبك على سنية، إلا حين قرأت زاويتك..

وأما آخر زيارة لي لهذا الرجل النبيل، النبيل.. الذي كان مهيَّأً لقيادة ثيران تفلح في الصخر، وهو ذاته كان ثوراً يفلح في السراب.. أخذني بهدوء إلى شرفة بيته.. وأراني منضدة للكتابة.. مع وسواس لديه، من أن تكون هناك أجهزة تنصت.. أو أجهزة تصوير مخفية..وأسرّ لي بسر كان يخفيه عن الجميع..

www.alkottob.com

كل ما كتبه من أشعار ومسرحيات وأعمال مبهرة، كتبها فوق فخذه الأيمن في حالة التفاف الساق فوق الساق!..وقال لي: لا تفشِ السر أبداً.. وها أنا أفشيه لأجل الحقيقة والتاريخ..

وليد معماري

www.alkottob.com

www.alkottob.com

إلى الطائر الصديق محمد الماغوط

جمعتنا سنوات الوجع والشقاء النبيل مع الكلمة، وحبر الروح .. تقاسمت مع الحرف اللهب والحرائق وجُذوة عمرك المتثبّث بمخاوفه كطائر يخشى الفلات من الأغصان .. لقاءات متعددة في أروقة الصحافة في الخليج، وكلَّ لقاء كنت تفاجئنا بهبوبك غير المكترث بالركام ..وكنت تحتكم كلَّ وجع إلى طفولتك المتمرِّدة على اعتبارات اللعب، والمد والجزر.. وفي دمشق احتفى بيتك بسراجك السحري وأضواء الأصدقاء، والدردشة، الساقطة من على أغصان الأحلام والوقت والتعب، كثمار ليست من نوع واحد.. وليست تبتغي من المتذوقين أن يقولوا عنها :إنها ناضجة.. محمد الماغوط أيها المتوحِّد كجذع في مملكة ريح، سلاماً لروحك من صديق، لمّ شملكما الحبر وأرق الكتابة.

زياد علي

www.alkottob.com

وداعاً..

محمد الماغوط، واحد من المبدعين الذين كتبت عنهم عشرات الكتب، وحبّرت مئات الزوايا والخواطر، وأمطرت مساحاته القفراء، بوابل من الصفحات، هنا وهناك، وعلى امتداد العالم العربي، وتخطى حدود وطنه إلى العالم قاطبة، وتناولته الأقلام بالترجمة لأعماله الأدبية، بكافة اللغات العالمية، هذا الشاعر الذي قال:" إن أي فلاح عجوز، يروي لك " بيتين من العتابا "كل تاريخ الشرق، وهو يدرج لفافته أمام خيمته".

وقال : "سلمية الدمعة التي ذرفها الرومان، يحدّها من الشمال الرّعب، ومن الجنوب الحزن، ومن الشرق الغبار، ومن الغرب الأطلال والغربان..".

هذا الذي أربك – بشعره – جلسات مجلة – شعر – وبحضور شعراء مبدعين أمثال : أدونيس – يوسف الخال – أنسي الحاج – أبو شقرا.. وآخرون..!.

هذا الشاعر القادم من عبّ بادية الشام لابساً عباءة الفصول، مشنشلاً بالأمنيات مطارداً من النظرات الشريرة والحاقدة، ورفوف من الهمسات – الفضولية – محاصراً حتى من أقرب الناس إليه.

هذا البدوي المدثر بأنين الواحات الملوّع من منفى إلى منفى..، ومن مقهى إلى آخر..، هذا الشاعر – النفّار– النّزق – المشاكس والمقاتل بالكلمات، ذنبه الكبير، أنّه قبض عليه، يوماً.. ما متلبساً بجريمة – الكتابة – وراحت تطارده مخافر الحدود الأدبية، وحتى رجال – الأنتربول – وزّعوا.. قصائده، مسرحياته خواطره، على نقاط التماس ومدارات الهياج، حيث أهدر دمه ومن أبناء عشيرته، وعلّقت له – مشانق النقد – في الساحات الهزلية لأن من يحاكمه ويرفع القضايا ضدّه، أمام المنصّات المرقعة بالزيف والمخاتلة، هم خفافيش وزرازير المرحلة – المضت وبقي النّسر شامخاً شموخ شامه – يرقب بعينيه الصقريتين، فلول هزائم أنصاف – النّقده – وظلم ذوي القربى وأشباه رجال القصيدة، ومدمني مهنة – التّلاص – الأدبي ؟!.

محمد الماغوط الشاعر، هذا المشغول المنشغل في قضايا وطنه، الصغيرة منها والكبيرة والهموم حتى الفناء، ذنبه أنه يكتب" ما.. يشعر به بصدق..".

بلا رتوش، أو مساحيق – ترضي هذا.. وتزعج ذاك..؟!

وانهمرت – كزخّ المطر الاستوائي – الكتابة عنه، وله، وعليه، وكان حصاد هذه الكتابات كلها تقريباً، تتلخص بعنوان شاحب وبخيل بعض الشيء هو " الماغوط شاعر السخرية، ومسرحي واقعي، واخز.. العبارة، رائد القصيدة النثرية، ومن أهم الأسماء الأدبية – قاطبة – التي كتبت قصيدة – التجاوز والتخطي – متشائم حتى الاختناق، متفائل حتى النبض الأخير يتطير من أي شيء، حتى من – ظله – يتبرم من الذين شوّهتهم – الأوسمة المزيفة – ووسامه الذي يفخر به منذ الولادة الأولى – الحياة – حتى الولادة الثانية – الموت – أن يحب وطنه، ووطنه يحبه، فارداً روحه لناس مجتمعه البسطاء، وأن يعبئ رئتيه بهواء ريفه النقي الجميل، البعيد عن – التدخين – وأرصفة اللف.. والدوران، وأن الحياة عنده كلها، هي موقف للعزّ فقط..؟!

خضر عكاري

* * *

www.alkottob.com

نبوءة البرّيات

محمد الماغوط حارس نبعه، الآتي من البريات كالمبشّرين .. وهل يجيء المبشِّرون من خارج وعي البرّيات، ومقولات الشمس الأولى..

على جدران كهفه حفر الماغوط بأنامله الحادة صورة عصفور أحدب، يتجاسر على الطيران، رغم كلِّ الإحباط والخيبات..

جوزيف حرب

www.alkottob.com

www.alkottob.com

صفات الشاعر

الصفات التي غلبت على محمد الماغوط هي نفسها التي غلبت على رفاقه التي تنطبق على الجميع معاً، ومحمد فيما بعد توسع في رحلته، فلم يقتصر مقامه على بيروت وعلى مناخها الثقافي العارم، ولم يقتصر عطاؤه في نطاق العاصمة اللبنانية وحدها، وإنما ذهب كثيراً في معارجه وانتقل إلى المسرح وإلى الكتابة النقدية الصحافية واستغرق في تصوير عالمه العربي حتى التعرية ودل بقوة على الضعف وعلى التراجع وعلى معالم النهضة بالضرورة بين السطور.

وكذلك فعل رفاقه، إذ توسعوا مثله، ولا يمكنني إلا أن أمزج بينه وبين هؤلاء ثم إن ماكان إبداعاً ثميناً شمله والرفاق، في تلك الأيام من الخمسينيات في أواخرها، ومن الستينيات في مطالعها، والجميع متساوون في أنهم حملوا النغمة الفريدة إياها. وتلك المسيرة تبدو في هذه الكلمات حيث يلتقي محمد وأصدقاؤه الحقيقيون، إذ قبل محمد بقليل وبعدئذ حاضراً في الصميم لنا الصفاء. عهداً وكنا الكبار في الواقع وكنا معاً متواجدين وكنا المقامرة بذاتها الجلي وفعل الإقدام على المجهول والجرأة في القول وفي طلب الأبعاد.

شوقي أبو شقرا

www.alkottob.com

من المبدعين الوطنيين

الماغوط مثله مثل سعد الله ونوس وكثير من المبدعين الوطنيين المتشبثين بالأرض والمؤمنين بالمبادىء الوطنية الصادقة.سمعت أنه قبل سنتين وهو يرى التسابق للتصالح مع العدو الصهيوني، والهرولة لكسب السبق إنه قال في إحدى المناسبات: أرجوكم ياحكامنا الأشاوس أن تنتظروا قليلاً قبل أن توقعوا وثيقة الصلح مع العدو الذي رضعنا كرهه من أثداء أمهاتنا.. انتظروا حتى نموت لأننا لا نصدق أن هذا سيتم يوماً ما.

وأعمال الماغوط الشهيرة والتي كسب بسبب دريد لحام شهرة واسعة مثل (كاسك ياوطن) المسرحية التي تمتعنا بمشاهدتها أو المسلسل الجميل الذي أداه (دريد لحام) غوار الطوشة وغيرها الكثير أذكر منها مسرحيات ضيعة تشرين، غربة، شقائق النعمان، إضافة لكاسك ياوطن إضافة للمسرحية الطويلة(العصفور الأحدب) ومن الأفلام (الحدود، التقرير، المسافر) وروايته الوحيدة التي يحكي فيها سيرته الذاتية(الأرجوحة) وديوان (الفرح ليس مهنتي).

وكتب- سأخون وطني، غرفة بملايين الجدران، سياف الزهور، وأغلب هذه المسرحيات والأفلام كتبها في مقهى(أبو شفيق) بالربوة بدمشق.

محمد القشعمي

www.alkottob.com

رسالة إلى الماغوط

أيها الصامد الماغوط
أيها المندثر في الصيف والشتاء
أيها المعتق قي الشوارع الباكية
يا لحناً للجوع والفقرات المصدعة
أيها الليل المخبئ بداخل الليل
أنا مثلك بحياة وبلا حياة
بسؤال ولم أجد بعد الجواب
نم بجوعك المتفاني وأحكم بشبع من الغيوم
أعرف أنك تبكي في كل مكان
مع كل دمعة
مع كل جمرة نيران
أيها المتسلسل المحدق في عيون الظمأ والنسيان
أيها الشارب من كأس الحياة والمناظير
أيها الربيعي بثيابه في كل مكان
أعرف أنك حملت فوق ظهرك سفوح كل الجبال
وملايين من عيون العيون
هل سأعود مثلك إلى أول عمري
بعكازين من خشب
أم سأبكي على شجوني
بدمعة واحدة من ذهب

* * *

إنك تثير شقاء كل من في الحدائق
كالموسيقى الراحلة إلى ما وراء الجفن والشفق
أيها القبر المتهدل العائش لا تحيا
لاتحيا، ابقى مع المطر الحزين فوق رأسك
فأنت صاعد إلى أعالي النجمات

www.alkottob.com

فالراحات لا تحمل ولكن

ستحملك الكلمات

إلى مكان لا يعرف أحد عنوانه

أيها الأخوة لا توجهوا للماغوط حزناً وأسى وإنما شكراً وعرفاناً ولا تعطوه وإنما خذوا منه فأنتم بذلك تكرمونه وتخلدون ذكره، لأن الماغوط كان دمعة جادة وحلماً غيوراً وفكرة لا ترتاح إلا بالعمل والتعب.

جورج نبكي

www.alkottob.com

الطوفان الكبير..

ومضتَ اليمامةُ بورقة زيتون
فكانت القصيدةُ الأولى
بداية كونٍ وتكوين..
أمسك الشاعرُ خبرَ الأرض
دفعَ بأوراقهِ
فانزاحَ الغمامُ
وتبددتْ عواصفُ الريح..
مدّت الكلماتُ بساطها
فاخضلَّ هشيمُ الأوراق
وابتلّت الجذور..
الشرُّ ملحٌ في الجراح
والخيرُ سؤال مهزوم:
لماذا البؤس يحيا
في فردوس الجائعين؟
أنا هذا الوطن المفجوع
أترك لكم وصيتي:
تذكّروا قصيدتي الأولى
لاتنسوا اليمام
ربما حمل إليكم غصن زيتون
ورسالة تسبق
طوفان القدر المرسوم

سمر مهنا

www.alkottob.com

طـواف

فكّرتُ أن أختار لي
عصراً من العُصُور،
أعيشُ في ظلاله، مُمتلئاً بالفرح
العظيم
بالإنسان،
وطاف بي
الزّمان،
فما تركنا أيَّ عصرٍ كانَ في أي
مَكان.
كُنّا
نزُور
كُلَّ الحضارات الّتي كأنَّها الشَّمسُ،
ونحنُ الأرضُ
حولها ندُور،
بالنَّاي
والخُمُور،
فلم أجد عصراً بلا حُريَّةٍ
يحكُمُها
سجَّان،
ولم أجد عصراً لهُ سفينةٌ
ما وقعت في
قبضة
القُرصان.
وعُدتُ من كُل العُصُور حالماً
بالفأس،
والممحاة،
والنسيان.

أ.جوزيف حرب

www.alkottob.com

سفير المقهورين إلى الخلود

يكاد يكون الشاعر محمد الماغوط أحد العرب القلائل في القرن العشرين الذين ضاقوا باللغة العربية، وضاقت بهم، فلم يتسع أي منهما للآخر.

يحسب القارىء للوهلة الأولى أنه أمام شاعر منحاز لمهارة البساطة، لكن كلمات الماغوط ترسم مشهداً شعرياً يتفجر في الوجدان.. له نهفة العشق الأول وطزاجة الاعتراف الأول بالشعر العالي.

كثيرون ظلوا أحياء بعد رحيل الماغوط، وكثيرون سيولدون ويموتون لكن فراشة الشعر الباهر التي اخترقت شرنقة الحياة العادية عبر كلمات الماغوط، ستظل تحمله إلى كل القلوب الملهوفة بالحب والجمال، الباحثة عن العدل والمساواة. أحسب أن قصيدة الماغوط هي أوراق اعتماد عصرنا إلى المستقبل وأن الماغوط هو سفير المقهورين إلى عالم الخلود.

حسن.م. يوسف

www.alkottob.com

الشعراء لهم الحياة في الذاكرة والصدور

هل يمكن فصل الإنسان عن المكان هل يمكن انتزاع الإنسان من بيئته كان المكان للماغوط.. السلمية وكان المكان للماغوط.. دمشق ولكن السلمية مدينة الطفولة المدينة النائمة على أطراف الصحراء وألاعيب التاريخ..ومغامرات الثراء السريع المخفقة..مدينة الفواطم والقرامطة ورسائل إخوان الصفا مدينة ثورة القطن والبصل والإخفاق القدري.

السلمية مدينة الشعراء، والحلم الذي كنت أعلن دائماً أنه في انتظار روائي يجعل من حلزونيات السلمية ماكوندو أخرى، ولكن المدينة تأبت وتآمرت على الرواية وأنجبت الشعراء.. فكان محمد الماغوط..

هل السلمية هي الماغوط.. أم الماغوط هو السلمية؟!.. وهل مغامرة التاريخ المخفق تجلت في تلك السخريات الحزينة التي صنعت الماغوط مسرحاً وشعراً؟!.. أم أن الماغوط هو من صنع من السخرية تاريخاً للإخفاق؟ كانت السلمية حلماً وكان الماغوط صديقاً بالقوة لا بالفعل وكانت مغامراته منذ العصفور الأحدب وحتى آخر مسرحية كتبها اختصاراً وتلخيصاً لكل إخفاقات ذلك الجيل وتلك المدينة

شرط الصحراء..

شرط القطن

شرط حلم العدالة

شرط حلم الثراء

ثم القبوع على أطراف البادية تنتظر مخلصاً لا يأتي.. أكان الماغوط ذلك المخلص بالشعر.

محمد الماغوط صديق لم يمت، فالموت إنما يدرك الفانين أما الشعراء فلهم شيء آخر غير الموت في القبور.. إنه الحياة في الذاكرة والصدور.

خيري الذهبي

www.alkottob.com

قامة إبداعية عملاقة

وفاة الشاعر والمقالي اللامع والكاتب المسرحي والروائي محمد الماغوط فاجأتني بصورة مؤلمة.. ربما لأني بعيد عن دائرته الشخصية.. بعداً يتناسب وقربي من إبداعه الأدبي.

فقبل أسابيع قليلة ألقيت في فرع دمشق لاتحاد الكتّاب العرب محاضرة حول محمد الماغوط.. بصفته روائياً، لفتُّ فيها الانتباه إلى جانب ظلَّ مغفلاً من أدبه، وكتبت مراجعة نقدية لكتاب لؤي آدم "محمد الماغوط وطن في وطن" نشرتها جريدة البعث، وعندما تعرض محمد الماغوط على خلفية نصوصه الأخيرة التي نشرتها جريدة تشرين ضمت زاوية آفاق، لحملة مؤسفة وغير لائقة أطلقها الكاتب ياسين رفاعية بمقالة عنوانها: "محمد الماغوط إلى أين" كنت أول من تصدى لتلك الحملة المؤذية الطائشة.

فإذا كنا غير قادرين في هذا القطر على تشجيع المبدع وتكريمه، فلنمتنع على الأقل عن تسديد السهام الطائشة إليه.

ومن أشكال اهتمامي بإبداع محمد الماغوط الأدبي تدريس بعض نصوصه الشعرية في دبلوم الدراسات العليا، وقد تابعت ترجمة شعر محمد الماغوط إلى اللغات الأجنبية، ومن بينها اللغة الألمانية.

لأن ذلك يحقق له العالمية، وقد قام الشاعر والمترجم المعروف: خالد المعالي بترجمة مختارات من شعره إلى الألمانية.

نحن في سورية مجتمع لا يشجع الأديب ولا يكرّمه وما حظي به محمد الماغوط أخيراً من تكريم قد جاء متأخراً جداً، وبدلاً من ذلك فتحت بعض من صحافتنا صفحاتها لأقلام غير مسؤولة قامت بتجريح محمد الماغوط والحط من قيمة إبداعه، ولكن فوزه بجائزة سلطان العويس الإماراتية حديثاً هو خير رد على الأقلام التي حاولت أن تخرمشه ظناً منها أنها تعلي من شأنها على حساب قامته الإبداعية العملاقة. لقد أصر محمد الماغوط على أن يعيش ويصمد في وطنه سورية على الرغم من أن هذا الوطن لم يقدم له ما يستحقه من رعاية وتشجيع واعتراف.

إن وفاة محمد الماغوط مناسبة أليمة، ويجب أن تكون مناسبة لإعادة النظر في علاقة مجتمعنا بمثقفيه. فهم ضمير هذا الوطن وحراسه الأمناء.

محمد الماغوط.. كنت طوال حياتك الثقافية حارساً يقظاً لهذا الوطن، وها قد انتقلت إلى جوار ربك، قريباً من السماء ومن الله لتناجي حبيبتك.. ووطنك.. سلام عليك.

د. عبده عبود

www.alkottob.com

قامة إبداعية كبيرة

الماغوط قامة إبداعية عربية كبيرة وموته خسارة فادحة، فهو ينتمي إلى جيل العمالقة الذي يضم العديد من الأسماء السورية والعربية، ومايمتاز به الماغوط عن الكبار من أمثاله أنه ظل منتمياً، صادق الانتماء، لجذوره الأولى وجمهوره الأول، وحلمه الأول.

الماغوط معلم كبير وقلائل هم الكبار الذين يستطيعون أن يكونوا معلمين بحق.

اعتدال رافع

www.alkottob.com

في وداع الماغوط: الأمم تقاس بمبدعيها

كنت أخطط لأقدم لمحاضرتي عنك التي تصادف تقريرها اليوم في أحد المراكز الثقافية لأقول إنك واحد بين أهم مبدعي الأمة القلائل الذين مازالوا بين ظهرانينا ..والأمم تقاس بمبدعيها أمثالك ولكنني لا أعرف كيف سأقدم لمحاضرتي، وقد سبقتني يد الموت إلى تقديمك للأمة.. بل للوطن كله.. وللعالم وليس إلى جمهور محدد في محاضرة مسائية.. تحتفل بشعرك وأدبك الذي أمتع الملايين ضحكاً ودموعاً.. دموعاً استنزفتها الضحكات على وطن كنت تتألم له وعليه ومنه.

كنت سأقدم بحزنك الجليل الذي رسمته في "ضوء القمر" وبحصارك الذي قضيته في "غرفة بملايين الجدران" كنت سأقدمك بمحبة وفرح على الرغم من معرفتي بأن "الفرح ليس مهنتك" كنت سأقدمك بدموعك التي غرستها على وطن قررت "أن تخونه" ولم تخنه أثخنك بالعذابات عليه وأثخنته حباً وعطاءً فانحنى ظهرك تحت ثقل عذابات أبنائه.. "كعصفور أحدب" ورقص "كمهرج" جأر بالدمع على ضعف وطن "وضحك من أمة باتت كالفئران" فكيف ستحرره وتجعله وطناً لا يبكي فيه الأطفال ولايهجره الشبان.. ولا يعاني فيه الكهول.. "غربة" ولا يشرب الشيوخ عليه "كأسه الأخيرة" وهم يرون "سياف الزهور" – ٢٠٠١، دار الثقافة – يقتل كل البتلات الواعدة فتموت أو تهجر..

"سأخون وطني" تذكرت سائق عربة تشيخوف الذي فجع بابنه لم يجد أذناً تسمعه وتواسيه فروى مأساته في آخر الليل لجواده..بينما الإنسان العربي المفجوع في هذا الزمان بأكثر من أبنائه وأرضه ومستقبله لا يجد من يروي لهم مأساته في آخر الليل.

وتسأل بابتسامتك ذات الحزن القاسي وبمرارة ضحكة المفجوع "هل سيرويها لمارسيدس".

كنت مسكوناً بالبراءة والحزن والتسكع والغربة والبساطة والموطن تأخذك التداعيات فتترك لها نفسك بحرية.. لا تجملها بل تتركها همجية بريئة، تلقائية، تضحكنا حتى النهنهة والبكاء فنكتشف أننا نضحك من أنفسنا في زمن عزت فيه الضحكات البريئة.

دخلت في عوالم النفس والواقع.. كما تدخل في عوالم الثقوب السوداء حيث لم يسبقك أحد إليها..بلغة امتلكت طزاجة فأرجعت لنا ألق لغة الحكاية والأسطورة بكل عفويتها وتأثيرها، وكنت واحداً من رواد قصيدة كثر الجدل حول مشروعيتها. فأسست لها وثبتَّ أركانها متحدياً كل قوانين العروض والتفعيلات الرئيسية والإيقاعات الساذجة .كنت غريباً ووحشياً ومتدفقاً كشلال.

كيف نفذت ما قلته في قصيدة سماء الحبر الجرداء:

وأنتم يا أعدائي وأحبابي يا من تقرؤوني فوق سروجي والصهوات

يامن تقتاتون على حزني

كالكلاب الضارية

سأقذف هذا القلم إلى الريح

سأدفنه كالطائر

www.alkottob.com

بين الثلوج البيضاء وأمضي
على فرس من الحبر ولن أعود
فوداعاً أيها الماغوط

د. غسان غنيم

* * *

www.alkottob.com

محمد الماغوط

قبل سنوات دعي محمد الماغوط لزيارة كندا بمناسبة صدور ترجمة لأشعاره فيها، ففضل تجاهل الدعوة ولبى دعوة أخرى أتته من النبطية، المدينة اللبنانية الجنوبية التي لا تبعد عن وطنه سورية كثيراً. حين سألته مجلة عربية لماذا فعل ذلك وفضل النبطية على كندا، أجاب: "قيل لي إن في النبطية الكثير من الشهداء"، عندما دعوه قالوا له: تعال لترى مكاناً مرتفعاً. وكان الماغوط قد هتف مرة في إحدى قصائده: "لا أرى في هذا الشرق مكانا مرتفعا لأنصب عليه راية استسلامي".

الماغوط الناقم، الساخر، اللمّاح الذي قال مرة إن لا شيء يربكه مثل المديح مبدع لا يعرف سوى الكتابة، يتحاشى مجالس الأدباء ومقاهيهم لأنه يكره التنظير:"لا أحب أن أسمعه ولا أن أخوض فيه، لا أذكر أنني جلست مع أدباء وتحدثت في الأدب، عالمي هو الكتابة، خارج دفاتري أضيع، إذا كان عندي رأي أفضّل أن أكتبه على أن أحكيه"، كانت دفاتر الكتابة، إذاً، هي شاطئ الأمان بالنسبة إليه، والكتابة هي حصانته الأخيرة بوجه العسف واليأس والإحباط في عصر هو، برأيه، عصر ضد الموهبة، عصر لتفريغ العواطف لا شحنها.

في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي طلب منه يوسف الخال قصيدة لينشرها في مجلة "شعر"، ولم تكن لديه قصيدة جاهزة، لكنه قال للخال: غداً تكون عندك. على ماذا كان يراهن، وهو يقطع هذا الوعد على نفسه أمام يوسف الخال. هل لأن القصيدة كانت مستوية عنده، وبقي أن يضعها على دفتر الكتابة؟ لا نعلم، لكنه في ليلة واحدة كتب "حزن في ضوء القمر"، كانت تلك مفاجأة أذهلت الخال، أما القصيدة فغدت عنوان ديوانه الأول الذي صدر في عام ١٩٥٩ عن مجلة "شعر"ذاتها.

بعد ذلك بسنوات، في عام ١٩٦٦، زار أنسي الحاج دمشق وراح يفتش عن الماغوط الذي غادر بيروت إلى الشام. كان فضوله كبيرا ليرى ما إذا كان الماغوط في عنف ما كان وفي حدة ما كان يوم كان في بيروت، الجواب سيأتي على لسان الماغوط نفسه في حديث نشر له في عام ١٩٩٩: "أشعر بأنني بعكازي في بلدي أقوى من كل صواريخ الأرض".

كان قد قال، وهو في عز شبابه وسخطه: "أيها المخبرون، يا رجال الانتربول في كل مكان، عبثاً تبحثون عن الجريمة كاملة، فما من جريمة كاملة في هذا العصر، إلا أن يولد الإنسان عربياً".

ويبلغ به النزق حد التهديد: "سأطلق الرصاص على حنجرتي"، ولكنه لم يفعل ما فعله خليل حاوي. لم يطلق الرصاص على حنجرته أو صدغه، ظل حياً، يراقب النبوءة التي أطلقها في الخمسينيات، وهي تتحقق أمام مرأى عينيه كاملة: أيها العرب يا جبالاً من الطحين واللذة/ يا حقول الرصاص الأعمى/ تريدون قصيدة عن فلسطين؟"

كأنه يكتب عن البارحة، قبل أن يغمض عينيه، ويرحل في هدوء، ليس بعيداً عن سجن مزة العسكري الذي خبر زنازينه الباردة في مطالع الشباب، وهو يفصح عن الروح المتمردة الناقمة التي لازمته حتى الرحيل.

حسن مدن

* * *

www.alkottob.com

الماغوط

(محمد الماغوط) لا أدري ماذا أسميه؟ شاعراً؟ أم كاتباً أم صحفياً، هذا الإنسان الذي تعرفت عليه قبل سفره لاستلام جائزة عويس الشعرية، وجدت هموم الناس على فسحات وجهه، وآلام الفقراء في كيانه، وحبه لزوجته ما زال يخفق بين جوانحه.

سألته عن همه فقال: رغيف الخبز والشوق.

وعن إلهامه فقال: من الشوارع التي كنت أمشيها على الأقدام، إذ لم أكن أملك أجرة الطريق.

وعن ذكرياته قال: أذكر أستاذي (رفول الخوام) الذي أعطاني أكبر علامة في اللغة العربية وقال: (أنت جعلتني أشعر أن هناك أشجاراً مثمرة مع أني كنت أظن أنه لا يوجد منها إلا بالجنة).

وأذكر الرحابنة وفيروز ونازك الملائكة وسهراتهم الجميلة. وأذكر بكاء نزار قباني على كتفي، حالما نتزاعل يأتي ليصالحني كنت أحبه كثيراً.

وأذكر السجن الذي كتبت فيه أجمل قصائدي وتعرفت فيه على أعز أصدقائي القوميين (الياس مسوح) والذي ما زال صديقي حتى الآن.

ماذا عن المرأة هل تحبها؟ أحب المرأة كجسد لأني بعد سنية لم أحب مع أن بناتي حاولن تزويجي لكني رفضت، (فالنساء نجوم تضيء وتنطفئ وهي السماء).

هل أنت نادم عي شيء كتبته؟

أبداً أنا لم أندم حتى على فاصلة كتبتها.

وعن مسرحياتك؟

جميعها نجحت وما زالت تعرض حتى الآن، لكني أزعل حين أذكر أن المهرج عندما عرضت في دمشق غيروا فيها القفلة، فأحسست أن شيئاً كبيراً فيها تغير.

وأزعل حين أذكر أن أحد الممثلين سرق الغلة أثناء عرض مسرحية (خارج السرب).

وعن الشعر قال: جاءني أحد المغتربين من سيدني وأحضر لي هدية وقال: إذا كان يوجد ثلاثة شعراء في العالم فمنهم محمد الماغوط، وإن لم يكن إلا واحداً فهو: محمد الماغوط.

ومرة قرأ أدونيس إحدى قصائدي أمام الناس وسألهم عن الشاعر.. فبدؤوا يتحزّرون.. هل هو فولتير أم رامبو أم.. وعندما عرفوا أنه لمحمد الماغوط تلقيت منهم أعظم مديح.

إن كثر ما يحرجني في هذا العالم: المديح والذم.

ماذا تفعل الآن: أشرب وأدخن، أكتب وأحلم..

مع أن أحلامي كوابيس، أساعد الموهوبين، والمحتاجين وأزور المرضى وآخذ العزاء بأصدقائي.

www.alkottob.com

أخيراً أقول: يالسخرية القدر.. قدري أن أتعرف عليك لأبكيك لأنعيك لأقبل العزاء فيك مع أنك لم ترد الحديث عن الموت جاءك الموت ليخطفك منا، لكنك موجود وستبقى في وجدان كل إنسان عرفك من خلال أعمالك، أو كما عرفتك أنا، فآخر كلمة قالها لي: سنبقى أصدقاء.

بثينة النونو

www.alkottob.com

www.alkottob.com

استيقاظ

أحسست بحاجة التداخل بين الحكايات إلى كثير من التفاصيل، فعدت من جديد إلى المقدمة التي كتبتها الأديبة الراحلة "سنية صالح" لديوان زوجها "محمد الماغوط" مطلع السبعينيات قرأت عباراتها.. أعدت القراءة عشرات المرات، هازا سرير العالم بين البصرة ودمشق وبيروت ومقرراً تخصيص أسبوع كامل أعود فيه إلى ديوان الماغوط "الفرح ليس مهنتي" لأتوقف طويلاً مع قصيدته "سلمية" أو قصيدته "إلى بدر شاكر السياب-زميل الحرمان والتسكع".

فاستيقظت في ساحات نفسي.. صورة الشاعرة الراحلة "سنية صالح" وهي تنقل لمحمد الطعام والصحف والزهور.. خبأت كل ذلك في دفتري الصغير منتظراً صباح اليوم التالي.. محاولاً إخفاء ما ما يختلط في كلماتي من صور الخيال المسكون بالأسماء والواقع المجبول بها أيضاً.

د.راتب سكر

www.alkottob.com

المقالة النقدية عند محمد الماغوط

يعتبر موضوع هذا العمل بحثاً في مؤلفات الكاتب المعاصر محمد الماغوط.

ومع أن الماغوط شاعر يكتب بنجاح كبير في مختلف مجالات الكتابة (دراما- مقالات قصيرة – مسح.. إلخ) فإنه يمكن القول إن المقالة الصحفية الناقدة تعتبر من أنجح أشكال كتاباته.. أما السمة الأشد وضوحاً في كتاباته الصحفية وغير الصحفية فهي النزعة النقدية).

(لم يكن طريق محمد الماغوط الأدبي سهلاً، فلقد كان دائماً يبحث عن طرقه ووسائله الخاصة كي يوضح – وبطريقة متميزة – المشاكل السياسية والاجتماعية التي طالما أثارت المناقشات بين المفكرين من القرّاء والنقاد).

في كتابات محمد الماغوط نجد أصداء قوية لنضال الشعب السوري من أجل التحرر والاستقلال، ومرحلة (الخمسينيات) تعتبر مرحلة تكوينية لكتابات الماغوط، ولها ميزات خاصة في حياته، وتأثيرها كبير على تطوره الفني في الفترات اللاحقة، ولكم أدهشت بواكير الماغوط القراء والنقاد من حيث اختياره للمواضيع ووضوحه في طرح المشاكل ومعالجتها، وطريقته الناجحة جداً في الكتابة، فظهر من خلالها حاملاً راية التجديد والتغيير في الحياة الاجتماعية والسياسية في سورية، الأمر الذي حدا بالقوى الوطنية والتقدمية للترحيب بكتاباته ودفع بالرجعية وقواها في المنطقة إلى الوقوف ضدها بالقول والفعل.

وفي كتاباته تراه موجوداً مع كل واحد من أفراد المجتمع.

ومن خلال النظرة التحليلية لمؤلفات الماغوط، نستطيع أن نتابع وبدقة الواقع الشعبي الذي ينطلق منه لمعالجة المشاكل وهذا من الأشياء التي تميزه عن بقية الكتّاب.

عمار المير أحمد

www.alkottob.com

صعود الماغوط

أمثال محمد الماغوط لا يودعون يوم صعودهم إلى الرفيق الأعلى، بل يستقبلون شأن الشهداء، والصديقين، والقديسين لأنهم أبد الدهر خالدون، وفي ضمائر الأجيال يسكنون..

الماغوط الذي فاضت عن صدره أوسمة التميز والسبق لم يعش يوماً واحداً رقماً في جداول الانتخاب أو بطاقات التموين، بل كان على الدوام مسكوناً بهموم الناس، واهتماماتهم.

أعاد للعصر، شهامة فرسان الجاهلية الأولى، ونبل صعاليك العرب، وشفافية وادي عبقر، فكتب الشعر، والنثر، والمسرحية، وثيابه كما يده، يغار من نظافتها ونصاعتها ثلج جبل الشيخ وزهور التفاح في الغوطتين.

الماغوط مدرسة في الجسارة والجدارة، والشجاعة، يهرب من الطريق السهل إلى المنعرجات الخطيرة في حلبة التحدي الكبير الذي لا يذوق طعمه، ويدرك عظمته إلا الكبار أمثاله..

لقد كرم الماغوط من قائد مسيرة حزبنا وشعبنا بالوسام الأرفع، كما كرمه عارفو فضله ومدركو جوهر عبقريته وعطاءاته في أكثر من منبر وساحة ثقافية وأدبية على امتداد الدار العربية، غير أن التكريم الذي سيبقى خالداً هو إجلال الناس وإكبارهم لهذا الهرم الأدبي الذي يرقى إلى ذروة المعجزة في زمن الانبطاح والإذلال الذي تعيشه الأمة.

عندما زرته في المشفى قبيل الصعود الأخير، سألته عن حجم الألم الذي يعانيه فقال: " كل جرح محمول ألمه إلا العار".

هكذا كان إحساس الماغوط بأوجاع أمته وصبوتها إلى الانعتاق والخلاص والكرامة.

رحم الله الماغوط بقدر ما أعطى وطنه من فيض عبقريته، والعمر الطويل لرفاق دربه الذين يصعدون مثل هبوب النيازك في سماء الخلود.

صابر فلحوط

www.alkottob.com

في رثاء محمد الماغوط

وترجل محمد الماغوط، ترجل الفارس الذي لم يملك ظله فرساً مطهمة أو خشبة جعلها جواده في طفولته ولما كبر رفع بها سماء تشرده وسند حائط دموعه عن برد السنين، ترجل الفارس الذي لم يملك يوما جوادا، لكن ثأر خمسين عاماً للحرية وعلى الفقر والقهر والفساد خاض بسوس الحداثة ولم يكن له كليب يتوج العرب بعزته، كان زيراً متعطشاً لدماء الظلم، ولم يمتد ملكه عن عواء جوعه، ولم يتسع عن صحراء سلمية الدمعة التي ذرفها الرومان. على أول أسير فك قيوده بأسنانه، ومات حنيناً إليها.

إنه محمد الماغوط الذي ألفنا بوحشنا، وآلف وحوشنا بنا، علمنا شرف الخيانة المرفوعة الرأس عند الانتصار ظالماً ومظلوماً للإنسان المتهدم بواقعه، ونبدأ مع الماغوط في ساعة رحيله، فأي جنازة ستتسع لكل قامة الماغوط، وأي رثاء يكفنه بدمعه، الآن خسرنا عمود إنساننا الأول، الآن خسرنا لم نربحه إلا بسخريته، خسرنا آخر صور ملامحنا في مرآة شعره، وما علينا إلا أن نبدأ من آخر نقطة على سطر تعرية بعض خياناتنا السرية،.. وفتح ديوان الماغوط السياسي المسيج بحقل ألغام عشوائي لا يمكن التسلل بينها إلا لمن ألف بمهارة أسطورية مراقصة الألغام، وتلك فرصة للحلم بانكشافنا على محرماتنا الذاتية والموضوعية من خلال عين الماغوط الذي وحد في جعبته حكماء العرب فأفسدهم وأطلقهم صعاليك خلعاء يعيثون فساداً في قرى روحنا، فتغير المأثور المحرم: الصعاليك إذا دخلوا قرية أفسدوا ملوكها.

ويبقى في ذهن الكثير سؤال عن حياته، لكن كم سينتابهم الضحك عندما يعرفون بساطة هذا العبقري فمن هو محمد الماغوط وما هي رحلة هذا السندباد الذي جعل من دمعة بحراً وأمضى عمره يحلم بسفينة تعبره، وبقي يذود عن حوض دمشق حبه لتكبر كما يهوى، بقي منتمياً لمائه في عرق لبغوطة وشقوق صخر سلمية:

ينظر إلى أمه الطبيعة

قلت لها عطشان يا دمشق

قالت اشرب دموعك

قلت لها: جوعان يا دمشق

قالت: كل حذائي

– وماذا قلت لها

– لا شيء

– أطرقت في الأرصفة وبكت،

وها هو يقف على برزخ نهاية الجسد والحياة بعد أن خلف لنا تجربة شعرية صاعقة وراية ثورة من ثورات القرن العشرين التي ستبقى عالية رغم سقوط جل الرايات، إن أهم سؤال تصادم به تجربة الماغوط الشعري، بعد أن ولدت من الإشكالات البنائية ما لا يحصى، ترى ما دور كتابة الماغوط المفارقة للكتابة العربية التاريخية في بناء تنويري للكتابة الجديدة التي يروجها الزمن الجديد الذي تعطفه العولمة عن أمسه القريب جداً، لا شك أن تجربة محمد الماغوط الشعرية

www.alkottob.com

أضحت تراثاً إبداعياً هو العتبة الرئيسة في البناء الجديد كون تجربة الماغوط ثقافة في التغيير والإبداع وإذا أردنا اختبار قدرة نص الماغوط على إنتاج ملكته الحداثية التي ترتقي إلى مساءلة الطروحات الجديدة فلا بد لنا من استعراض الشروط الجديدة لأدب المرحلة الجديدة التي تبدأ بالأسئلة البنائية، لكن من ينكر أن سلالة شعر الماغوط أقامت في القصيدة الحديثة كما أقام عسيب.

- وها أنت يا ماغوط قد حللت ضيفاً على زميل الحرمان والتسكع بدر شاكر السياب منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً خاطبته

- **يا زميل الحرمان والتسكع**
- **حزني طويل كشجر الحور**
- **لأنني لست ممدداً إلى جوارك**
- **ولكنني قد أحل ضيفاً عليك**
- **في أي لحظة**
- **موشحاً بكفني الأبيض كالنساء المغربيات**
- **لا تضع سراجاً على قبرك**
- **سأهتدي إليه**
- **كما يهتدي السكير إلى زجاجته**
- **والرضيع إلى ثديه**
- **ترى هل اهتديت والآن ليس في العراق كله سراج**
- **ربما تضيء دموع الأمهات العراقيات لك الطريق، فمنذ سبعة آلاف عام يقفن حاملات سراجاً ملأنه زيت دموعهن ينتظرن الحياة، فهل وصلتها ولست من العدائين ولا دراجة لديك ولا لدى السياب.**
- **لا تضع ملاءة على شارات المرور وتناديها يا أمي**
- **فالأمهات هناك على المقابر ينتظرن شهيداً جديداً.**

فسلام الله عليك يا ماغوط مت في زمن حتى القبور العربية لا تأوي أبناءها، فنم غريبا شريدا كما كنت في حياتك، لكن إياك التسكع في الليل على الأرصفة خشية القتل بنيران الحرية الصديقة، فلن تقدر على موت بالنيران الصديقة مرتين أيها النار الصديق.

خالد زغريت

www.alkottob.com

لملم الهزائم.. فهزمه الموت

كأن محمد الماغوط في مسرحه كما في شعره أراد أن يؤكد مقولة أن البقاء ليس للأقوى وأن الأقوى هذا هو ميت، ولكنه رغم موته ما يزال يمارس علينا سلطة الموتى فيحكمنا يتحكم فينا يحكم الأحياء من قبره. من هذه المفارقة المرعبة كما أعتقد يجيء تهكم الماغوط، ومنه تنبع مواقفه النقدية الغاضبة الساخطة المتقززة. ففي كتاباته عاش دور المثقف العربي الذي كان يلملم الهزائم والإحباطات التي انتابته بصفته أول من خسر مشاريعه الشخصية مثلما خسر مشاريعه القومية من جراء ممارسة الموت لسلطتهم على الأحياء. لكنه لم يكن ليعلن أنه أفلس أو انهزم، لأنه كان يملك رؤية مستقبلية هي حامل انكساراته التي كان يحولها مرة إلى مسرحية ومرة إلى قصيدة، ومرة إلى مقالة.

لقد نال الماغوط من مبدعينا السوريين حظوة شعبية ورسمية أكثر من غيره، وهذه ليست سبّة، بل لأن الرجل كان ينجز صورته الخاصة به، والتي لا ترضى عنها الأنظمة الرجعية لأنه لم يترك من شره منشأة إلا وقرضها، وجداراً إلا وهدمه، وطاعوناً يذهب بحياة الطغاة إلا ونشره، مارس القتل وكان دساساً وجاحداً وظالماً ومفترساً ومغروراً وفاجراً ومحتالاً اختلس أحلامنا من الزنازين وقام بهتك سترها وأطلعنا على بلادتها وكسلها، وضلالتها وتسفلها، وخياناتها وذلها، شهواتها وضعتها وكيف كانت تسف وتنهب وتفتري وتغصب وتغتصب وتكذب وتصنع المعجزات : تحول الماء إلى حليب، والحجر إلى خبز دون أن تستعين بقوى غيبية.

الماغوط اشتغل عندنا نحن الفقراء فحاول أن يسعدنا بصفتنا مخلوقات الله التي ما تزال تهيم على وجهها في صحراء التيه وحاول قبل موته أن يقيد ويحد من سطوة أولئك الموتى على حقوق الأحياء، فألغى قانون القرعة الذي جاء بهم إلى السلطة، وكذلك أبطل حق الانتخاب، وأشاد كثيراً بشرعة الاغتصاب، ومنح كل مغتصب ختم السلطة المقدسة ليعاقبنا ليختم على ظهورنا صكوك عبوديتنا باعتبارنا مناسبين للطاعة ولا نصلح للحكم وهلل في مسرحياته وأشعاره للقوة، مجد الغزو والتشليح بالسلاح وسلب النساء والأطفال. وكان متفوقاً في الدهاء، وموهوباً في التمييز بين الشجعان والجبناء، والفقراء والأغنياء، وكان يكتشف الجرائم السياسية مثل بيع الأوطان وبيع قطع غيار الأعضاء البشرية قبل وقوعها، وكان لا يقبل أن ينحني أو يستسلم عقل الأمة لخرافات أو تخريف السياسيين، وكان يعرف جيداً قطاع الطرق واللصوص الذين يغيرون في وضح النهار على الأمة، ويأخذون من فقرائها الأتاوة والجزية، وكان يعرف كيف صار الفقراء ملكية خاصة لمثل هؤلاء (القطالسة) وكيف أشاعوا الجهل والأمية وكيف حشوا بها العقل . عقلنا . فلا نفرق بين سلام وحرب، أو ذكر وأنثى، وحر وعبد.. رجل كالماغوط يعلم ويفعل فينا كل هذه المعجزات ألا يستحق أن يبقى معنا ؟

أنور محمد

www.alkottob.com

محمد الماغوط

يقول نوفاليس، الشاعر الألماني : " البداية الأصيلة هي الشعر . الطبيعة والنهاية هي البداية الثانية " الشعر . الفن ".

الطبيعة، في الكلام على الماغوط وتبعاً لهذا القول، ليست المكان وإنما هي الطبع.

كتابة الماغوط طبيعة . طبع كمثل الكتابة العربية الأولى. وبوصفها كذلك، حُقّ له، أن تحل النثر محل الوزن، ملغية الفرق بين النثر والشعر. صار التمييز بينهما، على الأقل. متعذراً.

أصبح من الممكن أن نسأل : هل الوزن شعر بالضرورة ؟

وأصبح من الممكن أن نؤكد : يمكن أن يكون النثر شعراً آخر. هكذا نصف كتابته بأنها حياته الثانية : بالسخرية هنا هناك، تُقتحم الفاجعة، وبالجرح تمتحن اللغة، وفي بسيط العبارة يُكتنز مركب الحياة.

أدونيس

www.alkottob.com

عندما تكون الشهادة فعلاً ناقصاً

عندما طلب مني وليد أن أكتب شهادة عن محمد الماغوط قلت له : ولكن لمن أكتب ؟ أجابني دون تردد : اكتب للأحياء.. وها أنا أعتذر للماغوط من الأحياء الذين يتوقعون أن يكون ما سأكتبه عن الماغوط مجرد كلمات رثاء.. حقاً لا أعتقد أن يكون أحد حزيناً على موت الماغوط كما الحياة نفسها !

الشاعر لا يختار حياته، ولا يختار موته أيضاً، الشاعر يضع قبعته على رأسه ويأمر المطر أن يسقط على وطنه، الشاعر لا يموت هو فقط يستريح من عناء الحلم.. ولكن من يطرد الشاعر من مملكة الحياة ؟ من يجرؤ أن يضع على قبره وردة ؟ من يستعمل الفعل الماضي في التعريف بغيابه ؟.. تلك الـ " :كان " تعني الكينونة في حال الاستمرار.. هي كذلك عندما يحتضن الشاعر الموت !.. ألم أقل لكم أنه كان يعد الحياة بأن لا يموت.. ألم يهد إليها قصيدة.. ألم يقفز إليها متمسكاً بأنها.. وأنها.. وأنها تستحق أن تعاش !

إذن، دعونا نعترف الآن، في هذه اللحظة من عمر الشاعر، أننا، كما هو، كما نحن، ماضون إلى استقبال ابتسامته، كما هي، كما كانت، كما ستبقى.. ابتسامة شقت دربها بين حافتين : الأولى شفتا محمد الماغوط والثانية مساحة الوطن بأكملها.. أما القصيدة فهي الجهد الوحيد الذي ارتكبناه، ونحن نعلن الحب شهادة وحيدة تبقي الشاعر بيننا حياً.. حتى لو مات !

وها أنا أعتذر عن اعتذاري . مثلكم تماماً . وأعلن أنني حزين على محمد الماغوط.. الذي كان الشاهد الأخير على أن (أليس) لم تكن وحدها في بلاد العجائب !؟

أحمد تيناوي

www.alkottob.com

رحل الجسد.. لكن الإبداع لا يموت

برحيل الماغوط فقدت الثقافة العربية على وجه العموم والشعر على وجه الخصوص قامة إبداعية عالية ومدرسة شعرية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى. فقد ترك الماغوط أثراً كبيراً في أجيال من الشعراء التي ترسّمت خطا تجربته..

الماغوط في هذا اليوم وحين أستعرض تجربته يحضرني قول كارل غوستافيونغ: التابوهات مقدسة واختراقها ذنب كبير ولكن كل التابوهات قابلة للاختراق على أن تدفع الكفارة والكفارة هي الإبداع.

لقد اخترق الماغوط تقاليد الشعر وهي تابوهات في الوقت الذي اخترقها به.. وقد دفع الماغوط الكفارة كاملة بإبداعه الكبير ووقف قامة كبيرة بين قامات الشعر العربي في العصر الحديث.

الماغوط منذ مطلع تجربته الشعرية في غرفة بملايين الجدران، ببراءة وعفوية وفطرية اختطَّ طريقةً جديدة في كتابة جديدة لم يكن هو في ذلك الوقت معنياً بالتسمية التي يمكن أن يتخذها هذا اللون من الكتابة وهذا قد صرّح به هو في مادة مكتوبة، هذه الانطلاقة الشعرية وبهذه الملاحظة حولها أعتبرها إيجابية لتجربته ولا أعدها ملاحظة سلبية عليها.

فهي تعني أن تجربته تفجرت كما يتفجر أي ينبوع في الطبيعة، على هواه ومثلما يريد، ثم يجري ماؤه ليرسم مجراه أيضاً.. ليترك للآخرين فيما بعد أن يسمّوا هذا النبع وأن يسمّوا هذا النهر وأن يقيموا عليه كل ما يمكن أن يقام من مشاريع نقدية أو دراسية أو استلهامية. فالماغوط عاش وكبر وشاخ ومات، وهو في ريعان فطريته وطفولته وبراءته، وإنها لمأثرة حقيقية للإنسان أن يكون على هذا النحو، بهذه الفطرية والبراءة قاد الماغوط أيضاً كتابياً تجربة في التمرد وتجربة في التسكع على أرصفة الثقافة العربية وهوامشها والتي أجدها، أي هذه الهوامش والأرصفة، أهم من الصفحات في كثير من مراحلها.. الهامش الذي يصبح أهم من الصفحة لأنه كان صادقاً وحقيقياً.. أشعر بأنني لست ذاهباً لأودع ميتاً في مأتم، وإنما مشاركاً في ردّ هذا الطفل البريء والصادق إلى حضن سلمية الذي أنجبه..

إنها حصة التراب التي لابد أن يتقاضاها، أما ما تبقى فهو لنا وسيزداد تألقاً وعلواً مع الأيام..

الماغوط يطوي صفحة الجسد.. ويبقى الإبداع الذي لا يموت..

عبد القادر الحصني

www.alkottob.com

أعماله ستبقى محفورة في وجداننا

رحيل هذا الصديق، رحيل مرّ قاس، جارح.. فهو يسكن في قلب كل محب للإبداع الحق، وكان المرحوم أبو شام مبدعاً بحق، خلاقاً في كل ما كتب من شعر ومسرح وسينما متوجاً هذه الإبداعات بمقالاته الصحيفة الشاعرية الساخرة والتي أعني بها جميع أعماله.. فهي ستبقى محفورة في وجداننا..

شخصياً شعرت بأن أخاً كبيراً فارقني.. منذ شهور قليلة كنت عنده في منزله وكنت بصحبة ابني علي.. لقد غمره بعطفه وحنانه خلال تلك الجلسة الممتعة رغم مرضه وتعبه.. لذا أشعر أنه أخ لي وصديق..

الكلمات تعجز عن أن تعبّر عمّا يجول في داخلي، تلقيت الخبر البارحة بعد أن كنت أنا وأحد الأصدقاء نتجاذب أطراف الحديث عنه طويلاً وعندما انتهينا وذهبت إلى البيت فوجئت بهذا الصديق ينقل لي نبأ الوفاة حتى إنه ظن أنني كنت أعرف مسبقاً، لكنني كنت أشعر بإحساس غريب في داخلي بأن محمد سيغادرنا إلى رحاب الله الواسعة في ذلك اليوم..

منذ شهر تقريباً كتبت زاوية في جريدة الفداء المحلية بعنوان (مسارات الحزين) أهديتها له وكان الإهداء على الشكل التالي: إلى الحزين الآبد الشاعر محمد الماغوط.. كأساً بلا وطن..

وقد كرمناه السنة الماضية عبر عمل مسرحي عنوانه (سهرة في ضوء القمر) وهو من إعداد علي أمين وإخراجي، وقد حاولت أن أشبعه بروح الماغوط الساخرة المبدعة المتألقة أبداً..

ختاماً، محمد دمعة في قلوبنا.. دمعة لا يمكن أن توصف.. سنظل نبتلُّ بها كما يبتل الأطفال بغمامة ماطرة..

عزائي لنا جميعاً فيه.. ولشام وسلافة أصدق التعازي..

أحمد خنسا

www.alkottob.com

رحل الماغوط بلا نجوم ولا زوارق

وجهزت جيشاً جراراً من ورق الخريف
ودرعاً وسيفاً قاطعاً من ريح الشمال
وخوذة من الدموع الصلبة
التي لا يخترقها الرصاص. أو القيلجان،
وكان جواد الثورة.
بزينته وأجراسه وجرسه الشاغر
يصهل نافراً مستعجلاً بانتظاري.
ولكن عندما وضعت يدي على ركبتي
وحاولت النهوض لامتطائه
أدركتني الشيخوخة.
الماغوط (أحلام وكوابيس)

صحيح أنك لا تذكر من سلمية سوى الوحل والبرد والأحلام والغيوم والأبقار والرياح.لكنك عدت إليها حاضناً ترابها وخوفها وحزنها على فراقك..

ربما أنت الذي تودعنا، ولسنا نحن الذين نودعك؟
عدتَ إلى تلك الطفلة التي تعثرت بطرف أوروبا
وهي تلهو بأقراطها الفاطمية
وشعرها الذهبي
وظلّت جاثية وباكية منذ ذلك الحين
دميتها في البحر
وأصابعها في الصحراء
حين كرّمتك صحيفة تشرين، وربما أنت الذي كرّمتها

صعدت إلى المنبر متكئاً على عكازك فرافقك الدمع والتصفيق وقلت: "الذي جعلني أحضر إلى هذا المكان ليست السيارة الفاخرة ولا المرافقة ولا عكازي، إنما الحب، لن أطيل عليكم الحديث أو البقاء لأنني في كل ما كتبت وقرأت لست أكثر من ضيف عليكم وعلى الوطن".

وعادة لا يتأخر الضيوف في رحيلهم.

وها أنت ترحل..

www.alkottob.com

وعلمتنا نحن أبناء جيل الهزائم والنكبات المتتالية أن نعترف بهزائمنا. نحن الذين رسمتنا في قصائدك. ومقالاتك الساخرة علمتنا أن الجرأة هي الاسم الآخر للصدق.. نحن أبناء الحزن نشبهك. وكان المفروض أن توزع علينا قبوراً إضافية ندفن فيها أجسادنا الخائفة وأرواحنا القلقة.

برحيلك نستعيد بعض شجاعتك وبعض خوفك وحبك ونتذكر ما قاله ممدوح عدوان في وصفك: "لم يظهر محمد الماغوط صوتاً في المشهد العربي الشعري في الخمسينيات من القرن الماضي، بل انفجر فيه قنبلة فراغية، ومنذ أصواته الأولى، كان فاجراً ومنفجراً. هذا الرجل الذي لم يهتم بوزن ولا بقافية ولا آداب ولا شعائر سياسية رأى نفسه جائعاً ومشرداً، فعرف ببداهة الإنسان الأول أن العالم متآمر عليه، ولذلك فإن أية مؤامرة أخرى في هذه الدنيا الخادعة لم تكن تصلح لإلهائه عن مجابهة تلك المؤامرة الكونية،ولأنه لا يخجل من دموعه، من هزائمه، فإنه اعترف بإذلال العالم له، فقد علّمنا أن الاعتراف بهذا الذل هو النصر الوحيد الذي بقي لأناس مثلنا في عالم مثل هذا العالم،لذلك لم أحس يوماً أنني أقرأ الماغوط بل كنت أشعر دائماً أنه يعلمني آداب الانفجار الوقح، الذي لا يقيم اعتباراً لشيء، وكلما أقرأ الماغوط كنت أحس أن هذا الرجل يتغلغل إلى أعماق روحي ليجبرني على الاعتراف بالوضاعة التي أوصلني إليها هذا العالم الذي أعيش فيه، هو ذا شخص وحيد في الدنيا، يعلن أنه يحشو مسدسه بالدموع ويشتهي أن يأكل النساء بالملاعق، ولا يرى فرصة للحنان إلا أن يضع ملاءة على شارة مرور ليناديها يا أمي، ويأمر الغيوم بالانصراف لأن أرصفة الوطن لم تعد لافتة حتى بالوحول، وفيما نحن نرى التبجح بالقوة الكاذبة، هو ذا شخص يعلمنا أن نحب بعضنا، وأمام الانتصارات الإعلامية الخلبية يعلمنا أن نعتز بهزائمنا وأمام المراحل الوهمية يعلمنا أننا بحاجة إلى البكاء، وأمام الانتماءات الضيّقة يعلمنا أننا نمسك الحق في أن نطالب أوطاننا في أن تعيد لنا الأغاني والدموع، وكل فاصلة في أناشيد حبّنا، في هذه الأوطان قبل أن تطردنا من جحيمها".

نحن نودع فيك الجسد ونأخذ منك إرثك الإبداعي الكبير.. ونتمنى أن نستطيع الاستمرار في الصراخ بحثاً عن الحرية والعدل والجمال. نعم إرثك الكبير يحتاج إلى ورثة كبار يعرفون معنى ودلالة ما كتبت.

أيها الطفل الشيخ، أيها المشاغب..كل الكلمات ستبقى بلا معنى إن هي تعثرت بالموت ولم تتعثر بالحياة التي أردتها لنفسك وللعالم من حولك.

نعم، كنت باحثاً عن فسحة أمان طيلة عمرك. ولم تأت هذه الفسحة فذلك الحذاء الذي رأيته في بداية حياتك أخذ منك الطمأنينة وترك لك الخوف صديقاً مدى الحياة.

كنت في حياتك المستمرة فينا عجينة تمرد ومساحة من الرؤية لذواتنا الفردية والجماعية، وهي تشاهد خيباتها وأمراضها.

أيها الصادق في زمن الكذب.. أمثالك لا يرحلون، ولا نشتهي رحيلهم. وإن فعلوها سيظلون مثل الضمير الحي يصرخون مدى الدهر أن ابحثوا عن الحرية. ألست القائل: "إن أضعف ديمقراطية أفضل من أي ديكتاتورية"..

محمد الماغوط.. أنا لا أرثيك ولم أنتظر موتك لأكتب.

أنا أرثي نفسي وجيلي وزمني فقط.

أكيد ستزهر دموعنا يوماً ما نحن الذين قرأنا حروفك وعشقناها باحثين عبرها عن الضوء والجمال والحب.

مصطفى علوش

www.alkottob.com

الماغوط بدأ كبيراً ومات كبيراً

كنت شاباً صغيراً، عندما تعرفت عليه، وكان اسماً كبيراً، بدأ كبيراً ومات كبيراً، كنت لا أحلم أن أجلس معه أو أن أتحدث إليه ولكن ذلك حدث. كان ذلك في مقهى الغارديينا الذي أزيل مع غيره من أماكن تجمع المثقفين ليحل محله أبنية إسمنتية تجارية لا طعم لها ولا لون.

المهم، في مقهى الغارديينا، لم أكن أتجاوز الـ١٧ من عمري وجئت لأرى صديقي صخر فرزات ورضا حسحس، وكانا يجلسان مع مجموعة من الأصدقاء ومنهم محمد الماغوط.

عرّفني صخر عليه وقال: هذا صديقنا سحبان، يكتب القصة والشعر. نظر إلي مرحباً. جلست وشاركت بالحديث وكان نقاشاً حامي الوطيس حول قصيدة النثر، فشاركت وأدليت بدلوي، وكنت من المتحمسين لقصيدة النثر.

كان يومها قد أصدر مسرحية (العصفور الأحدب). حين قام ليغادر قال لي: صدرت لي مسرحية جديدة إذا كنت ستأتي غداً سأحضرها لك. قلت: بالتأكيد. في اليوم التالي حضرت وحصلت على نسخة من (العصفور الأحدب).

صرنا بعدها أصدقاء ولم يكن من السهل أن تصادق الماغوط. كان مزاجياً مع طيبة كبيرة، بعد أيام التقاني وسألني عن رأيي بالمسرحية، كم كان ذلك تواضعاً كبيراً منه.

لن أتحدث عن أهميته في قصيدة النثر وعن إضافاته الأخرى الهامة، ولن أرثيه هنا.. فشاعر مثله لا يموت، بل هو حي أبداً في كتبه وأعماله المتعددة الأخرى.

سحبان سواح

www.alkottob.com

البدوي الأحمر يلحق بجيل العمالقة

كان المشهد الأبرز في العقد الأخير على ساحة سورية الثقافية هو مشهد الجنازات التي تكاد تنهي جيلاً من الكتّاب الرواد الذين أعطوا لسورية الحديثة هويتها الثقافية ومكانتها الأدبية في محيطها العربي والدولي. فبالأمس كان سعد الله ونوس ونزار قباني وممدوح عدوان وهاني الراهب.. واليوم محمد الماغوط صاحب كاف التشبيه الشهيرة هذا الحرف الذي حوله الماغوط إلى عالم شعري كامل يستطيع ضم واحتواء عذابات ومظالم وأحلام العالم كله.

موت العظماء يزيدهم عظمة، فالإحساس بفقدهم يزيد من جرعة الخلود لأعمالهم ويضفي عليها هالة قداسة تقوي من ارتباطها بوجداننا.

محمد الماغوط لم يتثاقف على القارئ ولم يتعبه أو يدخله في متاهة التهويم والغموض بل أشركه في حزنه وسخريته من العالم وفي أحلامه المنكسرة بلغة بسيطة جارحة بعيدة عن التكلف أو الفذلكة دون أن ينسى البناء المحكم لعمارة القصيدة فكل مفردة في مكانها وكل تشبيه له أثره الخاص الذي يغور في أعماق النفس، يبكيك أحياناً ويضحكك ويثير غليانك وغضبك من العالم أحياناً أخرى أو يعمق إحساسك بالتقزز من واقعك المر الذي بناه الساسة. كل ذلك بشعر لم يستطع أي من الشعراء والكتّاب تقليده، فبقي محمد الماغوط رائداً لقصيدة (ماغوطية) لم يتخرج من مدرستها أي تلميذ وكل من حاول فشل وبقي على التخوم محوماً دون الولوج إلى سر الشعرية والمفردة المضمخة بحساسية مرهفة تقودها كاف التشبيه التي طاوعت الماغوط في تطوافه وترحاله الشعري.

في المسرح أعطى الماغوط لنفسه حرية السخرية من العالم لأقصاها فكان مسرحه مختلفاً حيث لم يركن لبنية معينة أو نص تقليدي أو مخطط معطى بل كرس ما يسمى (بالقفشة المسرحية) الذكية الحاذقة التي تخلق ضحكة ممزوجة بالألم.

لم يتقن الماغوط التنظير أو الكتابة الفكرية–التنظيرية، إنما أتقن الكتابة الوفية لدواخله ولتجربته الحياتية دون تعليمية أو إرشادية فكل ما يعتمل في روح ونفس الشاعر وكل ألم يلم به يحوله شعراً صافياً لا يحتاج المرء في قراءته والتفاعل معه أية وسائط سوى معرفة بسيطة باللغة أو حد أدنى من الثقافة، لذلك كان (مع الشاعر الكبير نزار قباني) شاعراً جماهيرياً بحق يعرفه القاصي والداني خاصة بعد عروض مسرحياته (ضيعة تشرين – غربة –شقائق النعمان..) والتي أحدثت نقلة نوعية في تجربة الماغوط كتابياً وجماهيرياً.

في كتابة الماغوط (شعراً . مسرحية . مقالة..) يدق الفارق كثيراً بين هذه الفنون فهو لا يركن للقواعد المنجزة لأنه يترك نفسه وقلمه على سجيته فتتدفق روحه على الورق محافظاً على شاعرية نادرة تبلل بنداها كل مفرداته بغض النظر عن شكل الكتابة.

محمد الماغوط.. لم يمهله المرض حتى يصرف كامل مبلغ جائزة سلطان العويس التي جاءت متأخرة كالعادة تعلن لنا قرب نهاية الشاعر. هذه النهاية التي نختفي بها أكثر من أي إنجاز ثقافي أو إبداعي آخر لكأن الموت هو الإنجاز الأهم في حياتنا والذي نمتشق له أقلامنا لنتبارز بمدحه وتفصيل سجاياه.

لذلك سنبقى بحق الأمة التي ترى نفسها بموت أبنائها وبالتالي موتها.

أحمد خليل

www.alkottob.com

التاريخ لا يتذكر سوى المبدعين

لا تقاس البلدان أو تقيّم بحجم القمح الذي تصدره، أو بكمية النفط الذي تكرره، والتاريخ لا يتذكر، لا القمح ولا النفط، إنما يتذكر علامات أضافت لثقافة هذا البلد ولكنوزه الروحيه. الماغوط اسم أضاف أكثر بكثير رغم حبي للقمح، أضاف أكثر بكثير مما أضافه قمح بلدي.

رغم أن حياته فيها شيء من المأساة، استطاع أن يضحك الناس، أن يهز مشاعرهم وأن يخاطب عقولهم.

وسار مع الناس في أصعب مراحل التحولات الكبيرة التي لم تكن مقتصرة على سورية، بل كانت تجري في كل أنحاء العالم.

الماغوط رجل القرن العشرين، استطاع أن ينتقل وبثبات إلى القرن الواحد والعشرين ولديه من أعمال ما يمكن أن تقول الكثير لأبناء القرن الحالي ولأبناء القرن القادم..

د. محمد قارصلي

www.alkottob.com

يعادل جيشاً من الشعراء

متفرداً ومكتفياً بذاته.. وبالمعنى العام؛ كان الماغوط منذ ظهوره الشعري في الخمسينيات بمباركة ورعاية من أدونيس، هو الإنسان العربي الجديد. إنسان الاحتجاج والرفض ومن هنا كانت قوته في خارطة الحداثة الشعرية.

وبرحيله الهادئ نخسر هذا الصوت الراسخ وهذه القوة اللازمة بإنشاء التوازن بين المدجنين واللامدجنين.

لا بد أن رحيله قد أحدث خللاً في صميم هذا التوازن فقد كان يعادل جيشاً كاملاً من الشعراء.. وهو الذي شكّل بوجوده حصناً عصياً على الاستباحة للقصيدة الجديدة شعره بسيط ومؤثر، لأن صوت الذات المغمسة بالتجربة الصوت الخارج من الحياة على شكل صرخة ضد الزيف والنفاق، فكان صوت الغضب، غضب الجائعين والمحرومين الذين يهددون بالنزول عراة إلى الشوارع، ويا له من تهديد مروع!!

يشبه الماغوط شعراء الكومونة، أو شعراء الثورات المغدورة، أو الثورات التي لم تأتِ بعد.

يشبه رامبو، ومايكوفسكي وبريخت دون أن يقلّد أحداً منهم، فالماغوط بالدرجة الأولى يشبه ذاته. واجه الماغوط العالم بشراسة حين أعلن قدومه إلى الشعر من الأماكن القصية، قرويٌ من أطراف البادية، فكان البدوي الفلاح يدق بقدميه الثقيلتين أرصفة المدن.

لا يستطيع أحد أن يدير وجهه لشعر الماغوط، لأن شعره قويٌ وغاضبٌ وشرسٌ وتهكمي..!!

إن لشعره مخالب وأنياباً ضربت في جسد البلاد والتكرار، فكان صوت الغريزة الأكثر حضوراً في الحداثة من كل الأساطير والمقولات الانبعاث والرجوع إلى الماضي.

لقد ظهر كمارد متمردٍ لم يوقفه شيءٌ وكتب دواوين قليلة فيها مئات القصائد الجارحة!.

على مدى عقود، ولولاه لاستفردوا بالشعراء الجدد وفرقوهم شذر مذر.

لقد أراد ما أراد أن يقول بالشكل المناسب وأتمّ رسالته ومضى بعد أن اطمأن إلى أن الشعر الجديد صار قوياً وراسخاً.

ناظم مهنا

* * *

www.alkottob.com

إمام الشعر

هو سليل أئمة المستورين، لكنه كان إمام الشعر الظاهر في هذا الزمان، جاء يحمل رمحاً طويلاً من النور سنانه الصورة الحادة، المصقولة سخرية وتهكماً، ومنذ نصف قرن أو أكثر وهو فارس الكلمة لم يهن عزمه ولم يكل..

لم تكن قصيدة النثر بعد أن كتبها الماغوط بحاجة لمن يقنعنا بها، لا بل نقلها إلى الموقع الأقوى والأعلى وعلى يديه فقط اشتد ساعدها، واستوى لها عرش الإبداع، ومازالت قصائده إلى اليوم وستظل في المستقبل براقة متوهجة أخاذة.

لم يتبجح الماغوط يوماً . وكان يحق له هذا . لريادته هذا اللون من الشعر، ولم يعنه أن يكون رائداً، أو منظراً له، لقد كان له هم آخر تماماً، هم حقيقي، لقد كان همه الشعر، لذلك ومن هذه الزاوية أرى أنه الرائد الفذ باستمرار.

قلة هم الشعراء الذين كان لهم تأثيرهم في حياتنا، وفي كتاباتنا كما كان تأثير الماغوط، وقلة أيضاً الذين كان لهم هذا القرب من أعماقنا، ولكم أقامتنا وأقعدتنا تلك الصور الفجائية القادمة من عمق الصحراء.

صقر عليشي

www.alkottob.com

الماغوط هزّ شجرة الشعر الكلاسيكية

محمد الماغوط رجل مبدع لكل الأجيال وربما لأجيال كثيرة، هزّ بقوة شجرة الشعر العربي الكلاسيكي واستطاع أن يستخلص منها أجمل الثمار الخفيّة ليقدمها على أنها بذور لأشجار جميلة جديدة. استطاع بحق أن ينسف الكلاسيكية في الرؤية وأن يقدم موسيقى داخلية جديدة فضلاً عما فجّره من طاقات هائلة في البلاغة وأساسها الذي نعرفه جميعاً التشبيه والتشبيه البسيط، استطاع أن يولد من هذا التشبيه البسيط آلافاً من الصور غير المألوفة وأن يضع يده على العلامات الخفية جداً في اللاوعي العربي بين المشبه والمشبه به.

كل ذلك في إطار موسيقى تتسرب خفية إلى أعماق القارئ والمتلقي لتشكل موسيقى جديدة بعيداً عن الصخب والخطابة الموسيقية المألوفة عبر عشرات الأجيال.

هذا الشاعر استطاع أن يفعل في الشعر العربي ما فعله وجعل عشرات الأصوات الجديدة تمتح من تجربته وتعيد عزف معزوفاته على أوتار أخرى.

لم يكتف بما فعله بالشعر، إنما التفت إلى فنون أخرى عصرية، مثل المسرح، الدراما التلفزيونية، والرواية. وله في كل منها حصاد مدهش.

اعتمد على مصداقية التجربة وعلى حساسية الإنسان العربي تجاه مسائل مصيرية، لم يكن يستطيع أن يواجهها بكل هذه الجرأة قبل أن يفتح الماغوط له هذا الباب من الجراءة المدهشة.

سيبقى الماغوط في أعماق كل قارئ رمزاً لإنسان حقق مصداقية كاملة بين الحياة والكلمة، بين الرؤية والأشواق الحقيقية. بين الجرأة والتعقل، بين الحب وشهواته اللامحدودة.

الماغوط – نقول لك وداعاً ويكاد كل منا أن يقول وداعاً لمرحلة كاملة. لكننا سوف نصحبك تحت آباطنا إلى المراحل القادمة.

مروان ناصح

* * *

www.alkottob.com

هكذا تكلم الماغوط

هذه المرة فعلها الماغوط، مات داخل غرفة بملايين الجدران، وعلى عادته ترك باب قفصه مفتوحاً لعصفوره الأحدب، مات وورشتنا "شغف" كانت تتهاتف معه من أجل عرض مسرحيته التي لم تجسد إلى الآن "العصفور الأحدب".

لم نقل كما يقول الغير في لحظة الوداع، من أنك تركت المسرح أو الشعر وحيداً، وزواياكَ الصحفية وحيدة، بل نقول أعمالك أسست لظاهرة جديدة على مستوى الشكل والمضمون في زمن كان الشكل والمضمون له صفة واحدة..

فعلها هذه المرة، كما فعلتها من قبل سنية صالح – زوجته وأمل دنقل، وممدوح عدوان، سعد الله ونوس، خليل حاوي، رياض صالح الحسين، محمد سيدو وليس أخيراً صدر الدين الماغوط (كلما أحببناهم سقطوا من القطار).

مات المتمرد على الثالوث، كأن الماغوط نصب بربري في مجتمع متمدن، وأصبح الماغوط من نسيج المجتمع العربي وأشعاره أمثالاً يحتذى بها تماماً كالأمثال العامة، "كما قال الماغوط" و"هكذا تكلم الماغوط، والماغوط كائن متعدد الكانات، شبه بالنسر المتمرد وبرائد الحداثة الشعرية، وبالعصفور الحزين في ضوء القمر".

إلا أن محمد الماغوط لا يشبه سوى محمد الماغوط الذي فعلها أخيراً بضحكة وحب اسمه "الشعر" وأخيراً فقط أضيئوا المسارح، ولا تتفاجؤوا أنه لم يمت..

علي صقر

* * *

www.alkottob.com

(أبا شام) هو الجسد ليس إلا..؟!

تأخرت عنك يا سيدي.. بل قصرت بحق نفسي لأنني لم ألتزم بالموعد الذي كان بيننا على موائد الإفصاح.. قلت لي يوم التقينا لآخر مرة بداية هذا العام بأنك تتوق إلى حبيبتك جداً..؟! فسألت: أتتوق إلى "سنية صالح"..؟! قلت: وإلى "سلميّة" أيضاً..بعدها . طلبت مني أن أجلب قطع الثلج من البراد لكأسينا الصباحيين الممزوجتين بأحاديث طويلة وآهات امتدت من بيتك الجميل في "المزرعة" إلى أواخر قمم الأرض.. مروراً بحالات أخوتنا العرب في كل مكان، وكنت تنهي مفردات الجمل بتنهيدة حارقة وعبارة لاذعة تثير "دمع" الضحك حتى البكاء.. هكذا كعادتك دائماً.

– تأخرت عنك.. ولا أدري ما الذي يخبئه لك نيسان الربيع فجأة دون سابق إنذار ولا مواربة..هو الموت يا سيدي.. هذا الذي "وهب لك الحياة" لأنك الباقي في ملايين القلوب من أقصى الجنوب إلى أقصى الشروق.. إلى جميع تفاصيل "أطلسك" العربي الذي رسمت دائماً أخاديده وتعرجاته بمداد أقلامك التي غمستها بدواية الفقر والفقراء منذ الولادة، وأهديتها إلى البائسين المشردين في كل زاروب وصلت إليه.. بدون رقيب.. "فأليس"ما زالت عندنا"في بلاد العجائب"و"عصفورك الأحدب" لم يتأثر بجائحة "الإنفلونزا" لأنه محصن ضد أمراض الأرض والكواكب و"الحدود" مازالت هي ذات الحدود بل زاد فيها احمرار "شقائق النعمان" حتى ظننا أن "غربة" هي التي أجبرتك على شرب نخب الوطن حين رفعت "كاسك" وصرخت "يا وطن"..؟!

هوذا ياسيدي "الماغوط"..هو ذا الوطن كل الوطن يودعك بكل ما فيه حتى السماء بغيومها أعطت إذن الهطول لدمعاتها كي ترافقك صبيحة الرحيل إلى مثواك الأخير، ولا أرى مثوى لك إلا قلبي لأن الحروف التي اجتازت "شرق عدن إلى غرب الله" انحفرت فيه وكونت قصائد حب من طراز رفيع لم ولن تأتي الأعراب بمثله أبداً..؟!

– تأخرت عنك..ولن أتأخر بعد الآن على "سياف الزهور" سأسير معه دائماً إليك دون سيف وإنما "بقوارير مياه" من قرب صديقك "أبو شفيق" مقهاك المشتاق إلى صرير قلمك وهديل حمائم صوتك.. سنسير معه أنا وأحبابك إلى واديك الذي اخترت أن يتأطر بـ"المسك" في كل صباح وعشية.

"أبا شام" لن أودعك فأنت أكبر من الوداع، وما رثيتك ولن أرثيك فأنت أعظم من دواوين الرثاء.. ولكنني سأنحني أمام شموخ فقرك، وشعرك، ونثرك، وسخريتك، وقهرك، انحناءة إجلال وإكبار لذكراك الباقية..

مع السلامة يا سيدي "الماغوط" ما رحلت وإنما هو الجسد ليس إلا.؟!

أحمد علي حشّاش

www.alkottob.com

إلى روح الشاعر الذي جعل الليل نـهاراً

.١.

أنت وأنا
نستيقظ في الليل
في تمام منتصف الليل
لنفكّر في شكل النساء والحرية..

.٢.

في منتصف الليل
القصيدة أكبر من المقاييس
الخيال أوسع من المكان
الزمان ليس ساعة تتساقط من الرمل
والنثر عاهلٌ بلا مراكب..!

.٣.

في منتصف النهار
العقل بحاجة إلى غبار
الجسد بحاجة إلى الأرض
الجنازات بحاجة إلى مديح
الرجال لا يحتاجون إلى أحد
يا محمد الماغوط؟
وبلغة شكسبير الأولى تماماً،
كنت رجلاً
الرجل الذي لا يحتاج إلى مناصب
العقل الذي لا يحتاج إلى سفسطة
العدالة التي لا تحتاج إلى الأوزان
الكراسي التي لا تحتاج إلى قبضايات
يا محمد الماغوط
اليوم أبكيك كما أبكي القصيدة
متذكراً السلمية التي رفعت من مستوى الهواء الشرقي

www.alkottob.com

متذكراً سليمان عوّاد
الذي قضى عشرين عاماً في معطف سميك
وفي كتابة حب بمراهقة يشبهها الورد
متذكراً الذئاب التي تمتطي أنيابها
لتقفز هكذا فوق القوافي بلا مفردات..!
. ٤ .
يا محمد الماغوط
يا شكل القصيدة في براءتها
يا شكل العدالة بلا وزن
يا هجاء القوافي إذا هجم البيان
يا نهاراً يحمل مفرداته كفتيات
يا قمراً وزّع حزنه على العشاق
يا بحراً من الرومانس المخلوط بالرمل
نحن على يقظة مما يفعله أبناء الجاحظ
يا محمد الماغوط
سوف أستيقظ في منتصف الليل
لأفكر بك يا أزرق العينين كقرصان
لأفكر بالقصيدة التي تعتقل المجانين
لأفكر بحرية تفصّل لنا النهار
لأفكر بأهالي سلمية ومصياف
بالجنازة التي تحملها وراءها
بالموت الذي صفّ إلى جانب القوافي
بروحي التي رافقتك ثلاثين عاماً
يا محمد الماغوط الذي سيحتفلون برحيله
لقد تأخروا كثيراً باحتفالات الحمّى..!
في منتصف الليل
سوف تضيء ركبتها كأنها نهار
سوف نرفع البيان إلى النثر
سوف نعتقل الأوزان العاطلة عن الشغل

www.alkottob.com

سوف نجعل النهار جميلاً كالعدالة
وسنرفع الحرية كصرخة في ليل القرى
يا محمد الماغوط
لقد حرّضتني على الرثاء
على رثاء أكتبه لأول مرة
كأنني قرصان مجنون
يرثي المياه التي غادرتها البحار..!

جودت حسن

www.alkottob.com

أهم من الحياة نفسها

محمد الماغوط شاعر عبثي

شاعر كبير عرفته قبل المسرح، وهو مسرحي كبير نجح كثيراً والثنائي دريد لحام.

هو أصلاً على ما أعتقد لم يكن قابضاً يوماً الحياة على محمل الجد، وهؤلاء الرجال هم برأيي أهم من الحياة نفسها.

خسرنا شاعراً كبيراً

وخسرنا مسرحياً كبيراً.

رجل مديني، "كنت أهكل همو كثير حين يكتب وأقول لأصحاب مدري وين عايش هالرجل..عم بيروحوا الكبار والمبدعون، يا ريت الرب يخفف شوي عن المبدعين ويروح بطرفو نحو المجرمين..".

ريمون جبارة :(مخرج مسرحي)

www.alkottob.com

من الذين عملوا "مجلة شعر"

محمد الماغوط أحد أكبر شعراء العالم العربي وخاصة فيما يتعلق بالقصيدة الحديثة. وكان من كوكبة الشعراء الذين عملوا مجلة شعر في مطلع الستينيات وعلى رأسها يوسف الخال، والتي ضمت معظم الشعراء الدين أحدثوا ثورة من خلال مجلة شعر على صعيد القضية النثرية.

يوسف الخال ومن حوله الماغوط وأدونيس وفؤاد رفقه وشوقي أبي شقرا ونذير عظمة وليلى بعلبكي ولور غريب.

المجلة أحدثت ثورة على صعيد قصيدة النثر وكان من المبرزين بينهم محمد الماغوط، وهو رائد القصيدة الحديثة في العالم العربي. تطرق إضافة إلى الشعر إلى المسرح وكان لي شرف أنا ويعقوب الشدراوي أن نطلع مع محمد الماغوط في مسرحية "المهرج"، ومسرحية "المارسيز العربي" وقد عُرضت الأخيرة في بيروت وتوقفت في ١٣ نيسان ١٩٧٥.

بقيت على اتصال مع محمد الماغوط، وموته شيء مؤسف جداً. سألني آخر مرة متى تزورني، وسألته هل عندك مسرحية لي جديدة. فقال لي بالتأكيد. كنت على وشك أن أطلع إليه أواخر هذا الأسبوع. فاجأني الخبر المفجع..

محمد الماغوط، خسارة كبيرة للشعر والأدب والمسرح خسارة لا تعوّض.

أنطوان كرباج (مخرج وممثل مسرحي)

www.alkottob.com

عالم لا يجيد الاحتفاء بالشعر والشعراء

رأيته قبل أيام في دبي مثقلاً بتعب السنين والمرض يصعد إلى المسرح كفارسٍ هرم لاستلام جائزة سلطان العويّس، وما إن تحرك عن كرسّيه حتى ضجت الصالة بالتصفيق لهذا العملاق الذي ظلّ شاباً نضِراً كما القصيدة. وظل حاضراً في حياتنا ويومياتنا رغم نأيه وابتعاده واختياره ما يشبه العزلة احتجاجاً على هذا العالم الذي لا يجيد الاحتفاء بالشعر والشعراء إلا وهم على مشارف الوداع.

أحببته قبل أن أعرفه. وبعد أن عرفته، في حياته وفي موته شاعراً يستحق التصفيق الحار.

زاهي وهبي (شاعر وإعلامي)

www.alkottob.com

الشعر مستعصياً

غياب محمد الماغوط قد يكون حجتنا، نحن الذين ما زلنا على علاقة ما بالشعر من قريب أو من بعيد. حجتنا لنفكر ملياً في المعنى الذي نريد أن يودي شعرنا إليه. محمد الماغوط كان الشاعر الوحيد الذي لم يهاجمه الشعراء. العلة كانت في أنه يكتب القصيدة ويدير ظهره للجمهور. في آخر حديث له، بدا الرجل كما لو أنه يستذكر إلى أي حد كيل له المديح. سأله الزميل عبده وازن إن كان يحب المديح، فأجاب من دون تردد: أكره المديح. والحق أننا كنا على الأرجح، ونحن نجمع على شاعريته، ولا نختلف عليها، نضيّق عليه الخناق. ذلك أننا نحن الشعراء إنما نقرأ بمزاجين عل الأقل. لذا كان محمد الماغوط حجتنا القاطعة في ذم الشعراء الذين لا يشبهونه، ولذا كانت جملته سبيلنا الأول إلى الاعتراض، شعرياً على الأقل. لكن موضوع شبهنا به، يحتاج إلى تدقيق طويل وعسير. نجمع على الماغوط، لكننا نختلف في ما بيننا. نجمع على الماغوط ذلك إنه الشاعر، وما إن نباشر قراءته حتى يحوّلنا قراءً، لا نعود لنقرأ بعين الكاتب ومزاجه، لأن كتابته أصعب من أن يجد فيها الناقد والشاعر صنعة ما. كان عباس بيضون يقول عنه: إنه سليقة فوارة. كتابته حية ونضرة وتفسد مزاج السليقة عند الشاعر بمجرد أن يباشرها. لذا كنّا نقرأه ونعجب به، لأنه شاعر يجدر بنا قراءته، لكن هذه القراءة نفسها تفسد حيويتنا ونضارتنا، فلا نعود نستطيع أن نقلده أو نتتلمذ على يديه. كل تلمذة على يدي الماغوط تشبه خيانة لشعره. كما لو أنه حين يكتب، يقطع العبارة من جذرها ويمنعها عن أي استعمال. سنقول إن الماغوط قال كذا، في مناسبة كذا، لكننا لن نستطيع أن نكتب سليقتنا وقد سبقنا الماغوط إليها. كل وجوه الشبه مع الماغوط هي محض صناعة. فالشعر يجود بشاعر واحد مثله، وكل ماعداه يبدو، في معنى ما، خروجاً عن السليقة نحو الصناعة الباهتة.

كلنا قلّدنا الماغوط في لحظة أو في أخرى، وكلنا أحببنا شعره. لكننا دائماً لا نتأثر بالماغوط بل نقلده.

نعرف منذ زمن أننا نستطيع أن نتأثر بالصناعة: بطريقة ليّ الجمل، وطريقة الإنشاء. لكننا لا نستطيع أن نقلّد الروح. والماغوط كان على الأرجح روح الشعر العربي الحديث.

نقرأ الماغوط قراءً، لكننا نقرأ الآخرين بحرفه الصاغة. نعرف كيف تتالت الجمل، وأين يكمن سر الصناعة الماهرة، وكيف يمكن استحلاب الفكرة من اللغة، وكيف يمكننا أن نقول شيئاً لا يعني شيئاً في ذاته، لكنه يستطيع أن يوحي ويغمر ويطوف. لذا نبادر إلى تنحية الماغوط جانباً، فهو لغزنا الذي نتحدى به شعرية الشعراء. نحن لا نشبه الماغوط، لكننا نجزم أن الآخرين لا يشبهونه، وإن في قلة شبههم به ما يجعلهم ناقصين وأقل من أن يكونوا شعراء. نقرأ الماغوط ولا نجرؤ أن نكتب على منواله. ذلك أننا نحتاج أن نكون في حال من اثنتين لنكتب مثل الماغوط: إما أننا نجهل ما كتب، وإما أننا قررنا أن نلقي بكل ما قرأناه في سلة المهملات، لنباشر الشعر من حيث تقودنا أمزجتنا الحارة في تلك اللحظة. لذا كله تبدو معرفة الماغوط لعنة. قراءته تشبه لعنة نحيل آثارها المدمرة على غيرنا، على شعرائنا الكبار تحديداً. لكننا لا نحسن أن ننجو منها.

www.alkottob.com

كتب الماغوط ما يكفي ليجعل الشعر مستعصياً. وليجعلنا ننصرف عنه إلى صناعة المعجبين والأفكار النقدية. لا نقول في شعر الماغوط الكثير، ذلك أنه يشبه الأنصاب، نتفق على معناه ولا نجرؤ على مساءلة معاينة مرة أخرى. ففي مثل هذا التجرؤ ما يجعل كل ما حاولنا تحقيقه في مهب الريح.

الآن بعد الماغوط، أفكر أن من الأنسب لي أن أتجاهل وجوده كلياً. وأن أنسى أنه وجد ذات يوم. ففي مثل هذا النسيان ما يجعلني قادراً على تصديق ما أكتب والدفاع عنه.

بلال خبيز

www.alkottob.com

مات أبي

مات شاعري

مات بطلي

مات نموذجي ومثالي

ماتت المرآة التي كنت أرى نفسي منها.

مات مرشحي المفضل لجائزة نوبل للآداب

مات أبي.

مات محمد الماغوط، الذي كتب الشعر بأسنانه، مات المحارب للقصيدة باللحم الحيّ.

مات الملاكم العنيف، ولم يسقط بضربة قاضية. مات الوفي للشعر، والخائن لقصائد الآخرين.

مات المخمور باللغة، مات المقامر باللغة حين أفلس الآخرون.

مات الذي أحبني كشاعر وأزعر، والذي أحببته كشاعر الزعران.

لم أدخل يوماً إلى دمشق إلا وأسأل عن الماغوط، ولم أصافح صديقاً سوريًّا في بيروت إلا وأسأل عن الماغوط.. اليوم أعتقد أن عاصمة للشعر قد سقطت في أيدي الموت.. مات فتى الشعر العربي، مات مشاغبها الأجمل، مات الذي تشيطن وتولدن وتصعلك وحربق وكان أجمل ابتسامة عرفتها الدموع العربية.

مات الشهواني الذي عشق الحياة وأكنها في حديقته، وهو الذي جرّ الشوارع كالخيول إلى إسطبل قصيدته لتشرب.

مات الوحيد والمتوحد والمنعزل والمعزول، مات صديق الجن والجناني.

هو شاعري الأجمل،هو أجمل حوار صحافي أجريته في حياتي المهنية وصديقي يوسف بزي.

مات الماغوط، يا شباب، أعتقد الليلة، سأشرب كأسك يا محمد، وأقول للساقي واحد جن تونيك)..

يحيى جابر

www.alkottob.com

الماغوط.. تقوم قيامة الكلمات

قال أكثر بكثير مما يمكن أن نقول.. سجَّل أوجاعنا القادمة وآلامنا الاستراتيجية المزمنة.. فلا نستطيع أن نكتب له أكثر مما كتب هو لنفسه ولنا..

ولا نستطيع أن نشرح الأقوال والأفعال أكثر مما اخترع هو في مجالات التعبير الفوضوية التي قطعت كلَّ الشرائط الاحتفالية.. وكلَّ الحدود السوداء..

كان قابلاً للحياة شرط أن يظلَّ قابلاً للتمرد وللفوضى.. كان قابلاً للحب شرط أن يكتب عن كلِّ أدوات قمعه وأساليب تعذيبه.. كان قابلاً للسجن شرط أن (يفضح الدنيا) بحديث السجن والسجّان.. بحديث ملآن ببذاءة تداني وتعادل سفالة وانحطاط الحالة السجنية..!!

حمل الكلمات الصعبة فوق الكلمات البذيئة.. فوق منسوبات القهر اليومي كي يتركنا في النهاية في حالة حب.. فهذا هو حق الشاعر.. وهذا هو ضميره في كلِّ التاريخ.. وفي كلِّ المستقبل..

ما بين العاصمة الأزلية (دمشق) والبلدة الهاربة إلى البادية.. (سلمية) تقوم قيامة الكلمات فتدخل كلها إلى (جهنم) حيث تحقق الاستعارة الماغوطية ذاتها بالانتماء إلى نهايات التمرد.. وليس إلى نهايات الحياة..

ومثلما بقي لتاريخ الشعر العربي صعاليكه العتاة الذين قلبوا دروب الصحراء رأساً على عقب.. يتداعى هذا التمرد العربي الصعلوكي ويتداعى كشيءٍ غالٍ لا يذهب..

ولا يذهب حتى يظهر بقوةٍ فلا يكون بالنتيجة إلا (البدوي الأحمر) مستفزاً الصحراء بلون عصري.. وببدوية لا تكل ولا تمل مهما تضاعفت طوابق الفنادق ونجومها..

..ينغمر (البدوي الأحمر) في جهنمه الأزلية دون توبة أو استغفار.. تاركاً للسجَّان سجناً فارغاً حتى من أكاذيب أوَّابٍ أو مستغفر..

د. بغداد عبد المنعم

www.alkottob.com

أبٌ شعري لا يقتل

إذا كانت حياة الغائب مستمرة في ما يتركه الغائب من أثر فينا، فإنّ محمد الماغوط الشاعر ما زال حياً. هو أحد الشعراء القلائل، من جيل الرواد أو من جيرانهم، الذين لا نفتقد المتعة والبهجة حين نعود إلى قراءتهم. فهو لم يتمرد على التقليدية في الشعر بالانتماء إلى تقليدية حديثة أو حداثة تقليدية، بل شقّ طريقه الخاص غير مبالٍ بالتسميات والأُطُر. كان شامل التمرد على الصنمية السياسية وعلى النمطية التعبيرية معاً، وكان صوت الهامش الذي اقتحم المشهد الشعري وكسر كلّ ما يعترض تدفق موهبته الفطرية، الجامحة كتدفق السيل.

كان اختياره العفوي كتابة الشعر المنثور خالياً من التبشير النظري والادعاء المعرفي، وخالياً من النزهة النضالية إلى إقصاء الخيارات الشعرية الأخرى. كتب الشعر المنثور لأنه يتسع لهيجانه، ولأن شعريته لا تتحقق إلا في هذا الشكل الذي أنجز على يديه شرعية جمالية واسعة وكتبه لأنه ينسجم مع شغفه في أن يكون حرّاً كما يفهم الحرية، خارج النظام السياسي وخارج النظام الشعري معاً. وحين يختلف الشعراء والنقاد على الاختيارات الشعرية المعاصرة، فإن الماغوط يخرج من سياق هذا الاختلاف لأنه البرهان الساطع على ما يعنينا في الكتابة الشعرية، وهو العثور على الشعر.

كان، دون أن يقصد، أباً روحياً لأكثر من جيل من شعراء قصيدة النثر، دون أن يتمكن أحد منهم من قتل أبيه الروحي!

محمود درويش

* * *

www.alkottob.com

المبرر الوحيد لقبولي لقصيدة النثر

محمد الماغوط شاعر فذ.. يكاد يكون شاعراً رغم أنفه، فهو لم يقصد بشعره أن يكون شاعراً بقدر ما قصد أن يقدم نفسه، وبأن يقدم العالم كما يراه.

كان يكتب بغض النظر عن التزام ما يكتبه بشروط الكتابة الشعرية، بل أراد أن يكتب ما يتفق مع حاجته، فلم يسع إلى تحقيق مجد أدبي بقدر ما سعى إلى تحقيق نصه، لهذا استطاع أن يصل إلينا.. فهو لم ينشغل بأن يكون رائداً ينقل شكلاً إلى الشعر العربي بقدر ما انشغل بأن يكون نفسه حتى آخر يوم في حياته.

إنه شاعر حقيقي، فرض وجوده على الحياة الشعرية، ليس لأنه قدم شعراً جديراً بهذه الصفة، بل لأنه قدم شعره في شكل جديد لم يكن موجوداً من قبل.. وسيظل حتى هذه اللحظة قابلاً للأخذ والرد.

رأيته العام الماضي حيث كنا في تأبين للشاعر الراحل ممدوح عدوان زرناه في بيته، ووجدته ذات الشاعر الذي عرفناه، شاعراً حقيقياً وإن ظل مثقفاً متواضعاً.. ورغم ذلك فهو صاحب موهبة كبيرة ويعتبر نتاجه الشعري المبرر الوحيد لوجود قصيدة النثر في الشعر العربي.

أحمد عبد المعطي حجازي

www.alkottob.com

أقام عمود قصيدة النثر

الماغوط شاعر كبير ورائد في مجال قصيدة النثر التي تدين له بالكثير، فرغم أن تلك القصيدة كتبت من قبله حيث ظهرت في مجلة "شعر" على أيدي "أنسى الحاج" و"أدونيس" لكن الماغوط أضفى عليها ملامحها المعاصرة، ويضيف طلب أن الماغوط أقام عمود قصيدة النثر، فمثلما أقام صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازي عمود قصيدة التفعيلة كما قال د.لويس عوض–للماغوط مدرسة خاصة في قصيدة النثر، حيث يقول إن قصيدة النثر لدى الماغوط تتسم بأنها أكثر إحساساً بالإنسان العربي المعاصر، وأقرب من وجدانه من قصيدة النثر التي ظهرت في مجلة "شعر"، فقد كانت الأخيرة تميل إلى شكل قصيدة النثر الغربية، على العكس من قصيدة الماغوط.

حسن طلب

www.alkottob.com

الشاعر المحولجي

تاريخ الشعر العربي يؤكد دائماً أن شعراءه الكبار هم هؤلاء الذين سكنوا الأجزاء المعهودة من أرض الشعر، باعتبار أن هذه الأجزاء هي ذاتها أرض البشر، في تاريخ الشعر العربي كل شاعر كبير هو شاعر عام، منذ المتنبي وحتى أحمد عبد المعطي حجازي ومحمود درويش، وكل شاعر كبير من هؤلاء ليس صاحب طريقة خاصة، إنه عضو بارز في طريقة قائمة، وقليلون هم الشعراء الذين سكنوا المناطق المهجورة وأصبحوا أصحاب طريقة، وأصبحوا كباراً، ومن هؤلاء أنسي الحاج وأدونيس وصلاح عبد الصبور ومحمد الماغوط.

وقوة الماغوط مقرونة بقوة طريقته التي أنشأها، فيما قوة شاعر مثل محمود درويش مقرونة بنبوغه داخل طريقة تسبقه وتستمر بعد (أي داخل طريقة أنشأها الأسلاف)، لا بد أننا سنحب دمشق أكثر وسنحب بردى والأرصفة والروح العذبة الهائجة أكثر ما دمنا نقرأ شعر محمد الماغوط، وسنحب أنفسنا أكثر لأنه يطلعنا على إمكانيتنا في أن نكون مبدعين بدلاً من أن نكون أتباعاً، تاريخ الشعر العربي يؤكد قوة الاتباع فيه ومحمد الماغوط يؤكد قوة الإبداع فينا، "الرجل المائل" و"غرفة على البحر" وسواها من القصائد هي إسهامات شاعر محولجي استطاع كحالة استثنائية أن يجتذب أغلب العابرين. والمألوف أن الشعراء المحولجية يعملون على القراءة لكن في حالة الماغوط وهي حالة استثنائية- عمل الشاعر المحولجي على الجمهور، حرره من أسلافه، وترك كل فرد فيه يذهب إلى فردوسه، وبعد أن فرغ الشاعر من عمله حمل حقيبته وذهب إلى المكان الوحيد، المكان الذي تسكنه سنية صالح؟

عبد المنعم رمضان

www.alkottob.com

شاعر الدراما الساخرة

فقدت الحياة الأدبية والشعرية علماً بارزاً من أعلام الحداثة والتجديد الشعري وقصيدة النثر أيضاً، فقد كان محمد الماغوط رائداً من رواد قصيدة النثر برزت موهبته بشكل متألق ونافذ ومؤثر خلال التحاقه بجماعة مجلة "شعر" عام ١٩٥٩، وأصدر الماغوط ثلاثة دواوين هي:"الفرح ليس مهنتي"-"حزن في ضوء القمر"-"غرفة بملايين الجدران" والدواوين الثلاثة جاءت في إطار ما يسمى قصيدة النثر. ويتضح أن جماعة مجلة "شعر" هي التي أبرزت الماغوط في ذلك الوقت وشجعته على انتهاج أسلوب شعري ربما كان من أهم الدوافع والمصادر لانتشار هذا النوع من الكتابة الشعرية لدى الأجيال الجديدة، فمن أهم خصائص الماغوط مزجه الوجدان والتأمل العميق بالبعد الدرامي القائم على المفارقة، سواء في القضايا السياسية أو الاجتماعية أو الفلسفية.

لقد قرأت الماغوط في الستينيات، وفي الواقع فإنني لا أستطيع استعادة قراءة أية قصيدة نثر أكثر من مرة، وهذا ملمح من ملامح المفارقة بين قصيدة النثر والشعر العربي، فالشعر العربي عبر تاريخه يجدد في الوجدان مع كل قراءة له نشوة الاستمتاع، هو ما لا ينطبق في قصيدة النثر، ولكن ربما كان محمد الماغوط هو الاستثناء من حيث إنه يمتلك نفس المتعة مع القراءة التالية للقراءة الأولى، والسبب في ذلك أنه كان يعتمد على مؤثرات فنية عميقة أهمها التجسيد، حيث كان قادراً على تجسيد المواقف واستلهام الصورة الشعرية من الواقع أكثر من الخيال.. كما كان الماغوط قادراً على استحداث ما يسمى بالصدمة الفنية، فيفجر في كل عبارة لهباً جديداً. وهذه المفارقات التي كانت تدوي كطلقات المدفعية كانت في الوقت نفسه-وهي تعتمد على الصدمة- تثير في القارئ وفي المتأمل في شعره قدراً كبيراً من الإحساس بالسخرية، والسخرية عنصر رئيسي في تجربة محمد الماغوط، وهو يمتلك هذا الحس الدرامي الذي أضاف إلى شاعريته نوعاً جديداً من التعبير يختلف عن غيره من شعراء الحداثة-وخاصة أن شعراء قصيدة النثر من جماعة مجلة "الشعر" كانوا يستغرقون في نوع من الشطحات السريالية تحت تأثير اندماجهم بالتجربة الفرنسية وخاصة شعر رامبو وانجراف كثيرين منهم إلى الغموض الذي أودى بشاعريتهم وانقرض بتأثيرهم في الحركة الشعرية والذي هزت في البادية لمناوأة التيار الواقعي والقومي في الشعر العربي الحديث، أما الماغوط فقد استند إلى موهبة فطرية تشده إلى الحداثة من ناحية وإلى الواقع لعربي على المستوى الاجتماعي والسياسي والفكري.

في النهاية يمكن أن نوجز القول بأن الماغوط هو شاعر الدراما الساخرة، وشاعر الواقعية وملهم العديد من الأجيال الجديدة، وقد خرج الماغوط من غرفته المليئة بالجدران إلى الأفق المليء بالنجوم.

محمد إبراهيم أبو سنة

www.alkottob.com

سيّد نثر الحياة اليومية

كان محمد الماغوط (١٩٣٤-٢٠٠٦) الرائد الحقّ لما نسميه اليوم "قصيدة النثر" العربية، ليس بمعنى أنه كان صاحب النماذج الأبكر في هذا الشكل من الكتابة الشعرية (وهو شرف قد يصحّ أنّ الكثيرين يتنازعونه، من مصر إلى سورية إلى لبنان..)، بل في مستويات ثلاثة، بين أخرى ليست أقلّ أهمية.

المستوى الأول: إنّ الماغوط كان الرائد الأبرز في تفجير الطاقات الإيحائية والتعبيرية الهائلة التي ينطوي عليها النثر، بوصفه نثراً أوّلاً وأساساً، ثم في انقلاباته واستقبالاته الشعرية بعدئذ. وكانت فطرة الماغوط في هذا هي فطرة الشعر الخالص، الشعر الطبيعي، والشعر الأعجوبة البسيطة التي لا يضلّ القارئ طريقه إلى عبقريتها. ورغم أنّ الماغوط لم يكن مصاباً بأيّ من "فيروسات" الشعر الفرنسي التي أصيب بها مجايلوه من شعراء قصيدة النثر العربية أواسط الخمسينيات، فإنّ نثره كان بحقّ نثر الحياة اليومية"، تماماً كما حلم به الشاعر الفرنسي بودلير منذ أواخر القرن التاسع عشر.

المستوى الثاني: هو أنّ الماغوط تكفّل بنقل موضوعات قصيدة النثر العربية الخمسينية من الذهني والميتافيزيقي والتأملي الصرف، وهي الموضوعات التي كانت قد تسللت وهيمنت من خلال التأثر الطاغي بقصيدة النثر الفرنسية، إلى شؤون الصعلكة والتسكع والحرمان والحزن والرعب من الشُرطي ومن المقدّس سواء بسواء. ولسنا نعرف شاعر قصيدة نثر غاص إلى قاع الشارع كما فعل الماغوط، ونقل هواجس وأحلام ومخاوف وآمال مواطن الشارع، كما لا نعرف أنّ رائداً سواه كانت مثوبته الكبرى إقبال قارئ الشارع على استقبال قصيدته بترحاب شديد، دونما جوازات سفر ووسائط بين النص الشعري والذائقة.

وأخيراً، كان الماغوط رائداً في الانتماء إلى حقبة الحديث والحداثي، وفي تجسيد حداثة مركبة متعددة تعددية مستقلة، فضلاً عن انطوائها على حس ما بعد حداثي مبكر، في آن معاً. وأما فضيلتها الكبرى فهي أنها لم تكن بالضرورة مطابقة لأي من "الحداثات" الغربية الشائهة المشوهة، التي شاع تقليدها وتكريسها في خمسينيات وستينيات القرن الماضي. ويحلو لي أن أقتبس هذا المقطع من قصيدة الماغوط الشهيرة "أغنية لباب توما"، من مجموعته الأولى"حزن في ضوء القمر"،١٩٥٩:

ليتني حصاةٌ ملونةٌ على الرصيف
أو أغنيةٌ طويلةٌ في الزقاق
هناك في تجويفٍ من الوحل الأملس (..)
ليتني وردةٌ جوريةٌ في حديقة ما
يقطفني شاعرٌ كئيب في أواخر النهار
أو حانةٌ من الخشب الأحمر
يرتادها المطرُ والغرباء (..)
أشتهي أن أقبّل طفلاً صغيراً في باب توما

www.alkottob.com

ومن شفتيه الورديتين،

تنبعث رائحةُ الثدي الذي أرضَعَه،

فأنا ما زلتُ وحيداً وقاسياً

أنا غريبٌ يا أمي.

لكي أساجل بأن هذا النص ينتمي إلى ذهنية الحقبة الحديثة في أنه يلتقط حالة اغتراب الوجدان عن العصر، مردّها- بين عوامل أخرى- طغيان العقل وتراجع الروح وحيرة الكائن في ذلك كله. وهو ينتمي إلى الحداثة في ثورته الشكلية واللغوية والاستعارية. وينتمي إلى الرومانتيكية (خصم الحداثة) في أن نبرته الإجمالية تنهض على حنين إلى الانصهار في عناصر الطبيعة، وعلى توجع حزين ومرهف حول الذات وفيها. وتكفي الناقد الأدبي ما بعد الحداثي علاقة استعارية مثل حانة من الخشب الأحمر/روّاد من المطر والغرباء، أو رباط جنسي تخييلي بين شفة طفل صغير والثدي الذي أرضعه، أو نقلة سيكولوجية مباغتة وتنافرية في العلاقة بين وحيد /قاس/غريب/ يا أمّي، لكي يحكم على هذا المقطع الماغوطي بأنه ما بعد حداثي.

صبحي حديدي

www.alkottob.com

رسالة إلى بابا

أبي الحبيب
أحبك لأنك علمتني أن أطير ولو كان الزحف أسرع
أن أصمت ولو كان الكلام أسهل
أن أتكلم ولو كان الصمت أسلم
أن أحب ولو كانت الكراهية أسهل
علمتني
أن أكون إنسانة أفضل وأجمل
أن أطير ولو بجناح واحد
سأشتاق مشاركة تفاصيل الحياة معك ونحن نشرب القهوة
سأشتاق إليك في البيت والشارع، على الأريكة وفي الشرفة، مع هطول المطر وتفتح البراعم
سأشتاق صوتك، دفاترك، أقلامك، قبعتك، أظافرك
مع السلامة يا صديقي الأجمل وقامتي الأعلى
ابنتك شام

د. شام محمد الماغوط

www.alkottob.com

شاعر البسطاء

المشكلة أني لا أتمتع بنعمة النسيان، فأنا أتذكره كل لحظة، روحه تسكن كل مكان وكل زمان. أتخيله ينتقل في بيته، كيف يأكل ويكتب ويستمع للأخبار.. ويتكلم على الهاتف..

كان يعرّي الكلمة من معناها العادي لتتفجر ببساطتها بكل الاتجاهات إبداعاً وشعراً، كان –رغم سنه– طفلاً في المشاعر وشاباً في المشاريع والنشاطات.

دائماً كان يحدثني عن فكرة بسيطة سوف تصبح فيلماً أو مسلسلاً أو مسرحية، يكتب الخواطر على قصاصات الورق في كل مكان، لا يتقيد بمكتب، يعتمد على الوحي والإلهام، ويكره مواضيع الإنشاء، يحب المسرح بشكل خاص، الجهد النفسي والإبداعي والجسدي للممثل على خشبة المسرح والصوت القوي بكلمات بسيطة من صميم الشارع العربي، ولحظة المونولوج الأخير لبطل المسرحية ليختصر بها كل المشاعر العربية، هي الأجواء التي تأثرت بها وعشتها في بيتنا.

وأعتقد أنه كما كان الإسلام خاتمة الأديان، وانتهى زمن المعجزات، نشهد في عصرنا خاتمة للشعر والإبداع في عالمنا العربي، خاتمة للكلمة الحرة الصادقة.

وسأحتفظ بحزني على رحيل أبي لنفسي، كما تحتفظ الأرض بالمياه الجوفية.

سلافة محمد الماغوط

* * *

www.alkottob.com

مختارات من أعمال محمد الماغوط

www.alkottob.com

حزن في ضوء القمر

أيها الربيعُ المقبلُ من عينيها
أيها الكناري المسافرُ في ضوء القمر
خذني إليها
قصيدةَ غرامٍ أو طعنةَ خنجر
فأنا متشرّد وجريح
أحبُّ المطر وأنين الأمواج البعيدة
من أعماق النوم أستيقظ
لأفكر بركبة امرأة شهيةٍ رأيتها ذات يوم
لأعاقرَ الخمرة وأقرضَ الشعر
قل لحبيبتي ليلى
ذاتِ الفم السكران والقدمين الحريريتين
إنني مريضٌ ومشتاقٌ إليها
إنني ألمح آثار أقدام على قلبي
دمشقُ يا عربةَ السبايا الوردية
وأنا راقدٌ في غرفتي
أكتبُ وأحلم وأرنو إلى المارة
من قلب السماء العالية
أسمع وجيب لحمك العاري
عشرون عاماً ونحن ندقُ أبوابك الصلده
والمطر يتساقط على ثيابنا وأطفالنا
ووجوهِنا المختنقةِ بالسعال الجارح
تبدو حزينةً كالوداع صفراءَ كالسلّ
ورياحُ البراري الموحشة
تنقلُ نواحنا
إلى الأزقة وباعة الخبزِ والجواسيس
ونحن نعدو كالخيولِ الوحشية على صفحات التاريخ
نبكي ونرتجف

www.alkottob.com

وخلف أقدامنا المعقوفة
تمضي الرياحُ والسنابلُ البرتقالية..
وافترقنا
وفي عينيكِ الباردتين
تنوح عاصفةٌ من النجوم المهرولة
أيتها العشيقةُ المتغضّنة
ذات الجسد المغطَّى بالسعال والجواهر
أنتِ لي
هذا الحنينُ لك يا حقوده!

* * *

قبل الرحيل بلحظات
ضاجعتُ امرأة وكتبتُ قصيده
عن الليل والخريف والأمم المقهوره
وتحت شمس الظهيرة الصفراء
كنت أسندُ رأسي على ضلفات النوافذ
وأترك الدمعه
تبرق كالصباح كامرأة عاريه
فأنا على علاقة قديمة بالحزن والعبوديه
وقربَ الغيوم الصامتة البعيده
كانت تلوح لي مئاتُ الصدور العارية القذره
تندفع في نهر من الشوك
وسحابةٌ من العيون الزرقِ الحزينه
تحدقُ بي
بالتاريخ الرابضِ على شفتيّ.
يا نظراتِ الحزن الطويله
يا بقع الدم الصغيرة أفيقي
إنني أراكِ هنا
على البيارق المنكَّسه
وفي ثنياتِ الثياب الحريريه
وأنا أسير كالرعد الأشقرِ في الزحام تحت سمائك الصافيه

www.alkottob.com

أمضي باكياً يا وطني
أين السفنُ المعبأةُ بالتبغ والسيوف
* * *
والجاريةُ التي فتحتْ مملكةً بعينيها النجلاوين
كامرأتين دافئتين
كليلة طويلةٍ على صدر أنثى أنت يا وطني
إنني هنا شبحٌ غريبٌ مجهول
تحت أظافري العطرية
يقبعُ مجدك الطاعن في السن
في عيون الأطفال
تسري دقاتُ قلبك الخائر
لن تلتقي عيوننا بعد الآن
لقد أنشدتُكَ ما فيه الكفايه
سأظل عليك كالقرنفلةِ الحمراء البعيده
كالسحابةِ التي لا وطن لها
* * *
وداعاً أيتها الصفحات أيها الليل
أيتها الشبابيكُ الأرجوانيه
انصبوا مشنقتي عاليةً عند الغروب
عندما يكون قلبي هادئاً كالحمامه..
جميلاً كوردةٍ زرقاء على رابية،
أودُّ أن أموت ملطخاً
وعيناي مليئتان بالدموع
لترتفعَ إلى الأعناق ولو مرة في العمر
فإنني مليء بالحروفِ، والعناوين الداميه
في طفولتي،
كنت أحلم بجلبابٍ مخططٍ بالذهب
وجواد ينهب بي الكروم والتلال الحجرية
أما الآن
وأنا أتسكَّعُ تحت نور المصابيح

www.alkottob.com

أنتقل كالعواهرِ من شارعٍ إلى شارع
أشتهي جريمةً واسعه
وسفينةً بيضاء، تقلُني بين نهديها المالحين،
إلى بلادٍ بعيده،
حيث في كلِّ خطوةٍ حانةٌ وشجرةٌ خضراء،
وفتاةٌ خلاسيه،
تسهرُ وحيدة مع نهدها العطشان.

* * *

www.alkottob.com

أغنية لباب توما

حلوه عيونُ النساء في باب توما
حلوه حلوه
وهي ترنو حزينةً إلى الليل والخبز والسكارى
وجميلةٌ تلك الأكتافُ الغجريةُ على الأسرّه
لتمنحني البكاء والشهوة يا أمي
ليتني حصاةٌ ملونةٌ على الرصيف
أو أغنيةٌ طويلةٌ في الزقاق
هناك في تجويفٍ من الوحل الأملس
يذكرني بالجوع والشفاه المشرده،
حيث الأطفالُ الصغار
يتدفقون كالملاريا
أمام الله والشوارع الدامسه
ليتني وردةٌ جوريةٌ في حديقة ما
يقطفني شاعرٌ كئيب في أواخر النهار
أو حانةٌ من الخشب الأحمر
يرتادها المطرُ والغرباء
ومن شبابيكي الملَّطخة بالخمر والذباب
تخرج الضوضاءُ الكسوله
إلى زقاقنا الذي ينتجُ الكآبةَ والعيون الخضر
حيث الأقدامُ الهزيله
ترتعُ دونما غايه في الظلام..
أشتهي أن أكون صفصافة خضراء قرب الكنيسه
أو صليباً من الذهب على صدر عذراء،
تقلي السمك لحبيبها العائد من المقهى
وفي عينيها الجميلتين
ترفرفُ حمامتان من بنفسج
أشتهي أن أقبّل طفلاً صغيراً في باب توما

www.alkottob.com

ومن شفتيه الورديتين،
تنبعث رائحةُ الثدي الذي أرضَعَه،
فأنا ما زلتُ وحيداً وقاسياً
أنا غريبٌ يا أمي.

* * *

www.alkottob.com

المسافر

بلا أمل..
وبقلبي الذي يخفقُ كوردةٍ حمراءَ صغيره
سأودِّع أشيائي الحزينةَ في ليلةٍ ما..
بقع الحبر
وآثار الخمرة الباردة على المشمّع اللزج
وصمت الشهور الطويله
والناموس الذي يمصُّ دمي
هي أشيائي الحزينه
سأرحلُ عنها بعيداً.. بعيداً
وراء المدينة الغارقةِ في مجاري السلّ والدخان
بعيداً عن المرأة العاهره
التي تغسل ثيابي بماء النهر
وآلاف العيون في الظلمه
تحدق في ساقيها الهزيلين،
وسعالها البارد، يأتي ذليلاً يائساً
عبر النافذةِ المحطَّمه
والزقاقُ المتلوي كحبلٍ من جثث العبيد
سأرحلُ عنهم جميعاً بلا رأفه
وفي أعماقي أحمل لك ثورةً طاغيةً يا أبي
فيها شعبٌ يناضل بالتراب، والحجارة والظمأ
وعدة مرايا كئيبه
تعكس ليلاً طويلاً، وشفاهاً قارسةً عمياء
تأكل الحصى والتبن والموت
منذ مدة طويلة لم أرَ نجمةً تضيء
ولا يمامةً شقراء تصدحُ في الوادي
لم أعدْ أشرب الشاي قرب المعصره
وعصافيرُ الجبال العذراء،

www.alkottob.com

ترنو إلى حبيبتي ليلى
وتشتهي ثغرها العميقَ كالبحر
لم أعد أجلس القرفصاء في الأزقه
حيث التسكع
والغرام اليائس أمام العتبات.
فأرسل لي قرميدةً حمراء من سطوحنا
وخصلةَ شعرٍ من أمي
التي تطبخ لك الحساء في ضوء القمر
حيث الصهيلُ الحزين
وأعراسُ الغجر في ليالي الحصاد
معْ أقراط أختي الصغيره
وأرسل لي نقوداً يا أبي
لأشتري محبره
وفتاة ألهث في حضنها كالطفل
لأحدثك عن الهجير والتثاؤب وأفخاذ النساء
عن المياهِ الراكدةِ كالبول وراء الجدران
والنهود التي يؤكل شهدُها في الظلام
فأنا أسهرُ كثيراً يا أبي
أنا لا أنام..
حياتي، سوادٌ وعبوديةٌ وانتظار.
فاعطني طفولتي..
وضحكاتي القديمة على شجرةِ الكرز
وصندلي المعلَّقَ في عريشة العنب،
لأعطيك دموعي وحبيبتي وأشعاري
لأسافرَ يا أبي.

* * *

www.alkottob.com

الشتاء الضائع

بيتُنا الذي كان يقطنُ على صفحةِ النهر
ومن سقفه المتداعي
يخطُرُ الأصيل والزنبقُ الأحمر
هجرْتُه يا ليلى
وتركتُ طفولتي القصيره
تذبلُ في الطرقات الخاويه
كسحابةٍ من الوردِ والغبار
غداً يتساقط الشتاءُ في قلبي
وتقفز المنتزهاتُ من الأسمالِ والضفائر الذهبيه
وأجهشُ ببكاءٍ حزين على وسادتي
وأنا أرقبُ البهجة الحبيبه
تغادرُ أشعاري إلى الأبد
والضبابُ المتعفّنُ على شاطئ البحر
يتمدَّدُ في عيني كسيلٍ من الأظافرِ الرماديه
حيثُ الرياحُ الآسنه
تزأرُ أمام المقاهي
والأذرعُ الطويلةُ، تلوحُ خاويةً على الجانبين
يطيبُ لي كثيراً يا حبيبة، أن أجذبَ ثديك بعنف
أن أفقد كآبتي أمام ثغرك العسلي
فأنا جارحٌ يا ليلى
منذ بدءِ الخليقةِ وأنا عاطلٌ عن العمل
أدخّنُ كثيراً
وأشتهي أقربَ النساء إليّ
ولكم طردوني من حاراتِ كثيره
أنا وأشعاري وقمصاني الفاقعة اللون

* * *

غداً يحنُّ إليّ الأقحوان

www.alkottob.com

والمطرُ المتراكمُ بين الصخور
والصنوبرةُ التي في دارنا
ستفتقدني الغرافات المسنّه
وهي تئنُّ في الصباح الباكر
حيث القطعان الذاهبةُ إلى المروج والتلال
تحنُّ إلى عينيّ الزرقاوين
فأنا رجلٌ طويلُ القامه
وفي خطواتي المفعمةِ بالبؤس والشاعريه
تكمن أجيالٌ ساقطة بلهاء
مكتنزةٌ بالنعاسِ والخيبة والتوتر
فأعطوني كفايتي من النبيذ والفوضى
وحرية التلصلصِ من شقوق الأبواب
وبنيّةً جميله
تقدم لي الورد والقهوة عند الصباح
لأركضَ كالبنفسجة الصغيرة بين السطور

لأطلقَ نداءاتِ العبيد
من حناجر الفولاذ.

* * *

www.alkottob.com

نجوم وأمطار

في فمي فمٌ آخر
وبين أسناني أسنانٌ أخرى.
* * *
يا أهلي.. يا شعبي
يا من أطلقتموني كالرصاصةِ خارجَ العالم
الجوعُ ينبضُ في أحشائي كالجنين
إنني أقرضُ خدودي من الداخل
ما أكتبه في الصباح
أشمئزُّ منه في المساء
من أصافحهُ في التاسعه
أشتهي قتله في العاشره
أريد زهرةً كبيرةً بحجم الوجه
ثقباً كبيراً بين الكتفين
لتنبثقَ ذكرياتي كلُّها كالينبوع
أصابعي ضجرةً من بعضها
وحاجباي خصمان متقابلان.
أريدُ أن أهزَّ جسدي كالسلك
في إحدى المقابر النائية
أن أسقطَ في بئرٍ عميقه
من الوحوش والأمهات والأساور
لقد نسيت شكل الملعقة وطعمَ الملح
نسيتُ ضوء القمر ورائحة الأطفال
إن أحشائي مليئةٌ بالقهوة الباردة
والمياه العمياء
وحنجرتي مفعمةٌ بقصاصات الورق وشرائح الثلج
أيها الماءُ القديم
أيها الماء النيئُ.. كم أحبك.
* * *

www.alkottob.com

بياقات صلبة تصل حتى الذقن
بشفاه دبقة ومعاصم تخنقها الأزرار
نقف لنأكل
نقفُ لنشتاق
نهوي على الذباب بالقصائدِ والمناديل
لنلمحَ شجرةً أو طائراً يمضي.
بأقدامٍ صغيرة لا تعرف الرحمه
نتكئ على الأرض
ونقذف أضلاع الريف من شارع إلى شارع.
* * *
كنتُ أصعدُ الأدراج الملتوية مئات المرات
نظيفاً كالقطن
لمَّاعاً كورق الآس.
أصعدُ وأهبطُ كخنجرِ القاتل
بأحذيةِ الشهرة، وأحذية البغضاء
معلقاً تعاستي في مسامير الحائط
غارساً عينيَّ في الشرفات البعيده
والأنهار العائدة من الأسر
رأيتهم جميعاً تحت السماء الصفراء
أغنياء ومسالمين
فقراء ووحوش
ملايين الأسنان تصطدمُ في الشارع
ملايين الوجوه المقطَّبه
تخفض بصرها تحت الرعد
رأيت الجنازاتِ المسرعه
وأعنَّة الجياد البربرية تلتهبُ في الشوارع
والعمال يسقطون من الأدوار العليا
يقبرون بأحكام تحت المطر الحزين
مع تبغهم وثيابهم وصُرَرِ طعامهم
دون أن يثورَ شيء ما في الصحراء

www.alkottob.com

الريحُ تصفرُ فوق النجيع
والقبورُ الصغيره
تتساقطُ كالندى على القبعاتِ والمعاطف.
* * *
رأيتُ النسيم المعلَّب
والصحف المرتطمةَ بالأمطار
شربتُ المياه المسنَّه
ولعقتُ الزبدة التي فيها دماء الثدي
ولم تساورني الشكوك أبداً
في هذه الأرض النائمة كالطفل
في هذه الأرض المحدودبة كالجزّار
ولكن من خلال الشبابيك
من خلال الآلاف المؤلفه
من النجوم والجثث والمطارق الناريه
كنت أبحثُ عن ضربةٍ قاصمة لوجهي
عن بحر صغير أنتعله بقدمي
وطعام متكبِّر
أطويه على زندي كالوشاح.
لقد مللتُ السلالم الطويلة وقاعات الانتصار
أريد أن أشوي الذرة عند الغروب
أن آكل الحجر والحصى عند الغروب.
* * *
أريد أن أضمَّ إلى صدري أيَّ شيءٍ بعيد
زهرةً بريةً
أو حذاء موحلاً بحجم النسر
أريد أن آكل وأشرب وأموت
وأنام في لحظة واحدة
إنني مسرع مسرع
كغيمة أصيبت بالجرب
كموجةٍ وحيدة مطاردة في البحر.

www.alkottob.com

منزل قرب البحر

ماذا يريد الصدرُ البرونزي
والبحرُ الرّاكب فرسه الجميلة
لا أريد الشوارع قصيرةً هكذا
أريدها عميقة وهيّابه
طويلة وفاتنه
كأحشاء مبعثرة في الريح
أريد فقط
وللحظة واحده
أن أداعب الزبدَ الأبيض بعقالي
وأنا مبحرٌ إلى مكان ما
تحت مطر حزين.. حزين
أن أرى بلادي الجائعه
تبتعد عني
زهرة زهرة وشجرة شجره،
أن أرى الفقرَ والوطنية والمساواة
من نوافذ السفن
حيث الطيورُ المائيّةُ الكسلى
تبيضُ على قبعتي
وتشعل لي لفافتي المائلة مع الريح

* * *

لا أريد أباً يلوِّح بشملته
أو حبيبةً تنعقُ لأجلي كالغراب
أريد أن أرحل هكذا
فقيراً وكسولاً
في كل عام أخطو خطوة
وفي كل جيل أكتب كلمه.

* * *

لقد آن الأوان

www.alkottob.com

لتمزيق شيء ما
للإبحار عنوةً تحت مطر حزين حزين..
لا كمغامر
تلفُّه سيول من الحقائبِ والأزهار
بل كفأرٍ خسيس
كفأر دامع العينينْ
يستيقظ مذعوراً
كلما ناحت إحدى البواخر
وتألقت مصابيحها
كعيون الضباع المبلَّله.
* * *
يا أرصفةَ أوروبا الرائعه
أيتها الحجارةُ الممدّدة منذ آلاف السنين
تحت المعاطفِ ورؤوس المظلاتْ!؟
أما من وكرٍ صغير
لبدويٍّ من الشرقْ؟

يحمل تاريخه فوق ظهره كالحطَّاب.
* * *
لا..
لن أرحل تحت النجوم
ولن أطأ أمواجك الصافية بحذائي
سأظلُّ في مؤخرة السفينه
أنهشُ خشبها كاللحم
أعبرها موجةً موجةً، على رؤوس الأظافر.
* * *
سأصنع أوكاراً ملتوية بين الأمواج
ملتوية وعميقة كالأزقه
أختبئ فيها من العواصف
وزمجرات الريح
سأصنع وسادة من الأمواج العتيقه

www.alkottob.com

وأنام بثيابي وحذائي ودفاتري
حتى الصباح.
* * *
سأشقُ طرقاتٍ واسعةً للتسكع
وأزرع جوانبها
بالأشجار والمقاعد الفارغه
سأبحث عن سمكة صغيره
بعينين عسليتين
أبحث عن أثدائها بأصابعي
وأعقد قراني عليها
تحت وهج القمر ونيران المذابح.
سأصنع لها شعراً طويلاً من شرايين المياه
وصدراً ناهداً
من عيون البحارة القدامى
أكتب لها الأشعار
وأتحوَّلُ معها في أعماق البحر الخلاب
كما يتجول العاشقان في الأسواق.
* * *
وتحت غيوم الكستناء الزرقاء
بين عواء الزنوج
وصرير النهود البريَّة
حيث يودّعني البحر، وهو يسعلُ ويتنهد
كرجلٍ مدمنٍ على التبغ
سأغوص بحراشفي باتجاه الجزر والأدغال
حيث دموعُ النسور تتراكم كالطمي
والكلماتُ الوحشيه
تتدلّى من الأشجار كثمر التين.
لن أكون ضجراً هناك
وأنا أختال كالطاووس
في غرفِ الفحم الملتهب

www.alkottob.com

حيث يتصبَّبُ عرقي على الحقائب
وغدائر المسافرات
حاملاً أطفالهن على مداخل الجزر
ضاغطاً أثداءهن الصغيرة بكتفي وظهري
رافعاً دفاتري القروية كالسيف البراق
في وجه العالم أجمع.
وفي الليل
عندما تظلمُ الأمواج كالقبور
وتسيل دماء الأسرى تحت الأشرعة الغاربه
سأقفُ على موجة عاليه
كما يقف القائد على شرفته
وأصرخ:
إنني وحيد يا إلهي.

* * *

www.alkottob.com

الدموع

تحت مطرِ الربيع الحار
أنتقل من مدينة إلى مدينه
وحقائبي مليئةٌ بالجراح والهزائم.
* * *
تحت مطرِ الربيع الحار
أسيرُ يا حبيبتي
وصدرك الشبيهُ بشجرةِ التفاح العاريه
يظلِّلُني كدخانِ القطارات.
لقد ودَّعت الكثيرين
ودَّعت بلادي
وسهولها المحترقة في الليل
هجرتُ رفاقي
والدم ينزف من صدورهم وأنوفهم
ولم أتنهدْ
كنت أغرِّدُ كاليمامةِ فوق الجبال
أتثاءبُ في مآتم الشهداء
وأحدّق في أثداء الأمهاتِ الثكالى.
أيتها الطفلةُ المدببة كالرمح
لن أنسى ما حييت
وجهك المغطَّى بالدموع
يوم افترقنا على ناصية الشارع
وأوراق الخريف تتساقطُ على معطفك الصغير
ولم تنظري إليّ!!
كنت تلتفتين إلى الوراء
عيناك مليئتان بالدموع
وشعرك مسترسلٌ كشعر الفرسان المقهورين.
* * *
هكذا أودّك يا حبيبتي

www.alkottob.com

زهرة برية أو يمامةً في عنقِ الريح
ولكنني يائسٌ حتى الموت
أتقهقرُ بلا روية على تلال الحبر
وأهدابك الجميله
تنحني على صفحاتي كعبيد في المراكب.
ولا كلمة للطفلة الغريبه
للعيون المتدفقة كالريح.
إنني أرى كل شيء
الأشرعةَ والرعد
القمرَ والريح والدماء
ونوافذَ السجون المطفأة عند الغروب
أرى كل شيء
إلا جديلتيك الحبيبتين.

* * *

أود أن أهيم فوق جسدك الصغير
وأسحقه كالورده
أن أرفعه بيدي كبندقية صغيرة فوق التلال
فاهدئي بجواري
أيتها الطفلة الغائبه
الفراش باردٌ ومظلم
ونهداكِ عصفوران من الجمر!!

* * *

www.alkottob.com

الغجري المعلب

بدون النظر إلى ساعة الحائط
أو مفكرةِ الجيب
أعرف مواعيد صراخي.
وأنا هائمٌ في الطرقات
أصافح هذا وأودِّع ذاك
أنظر خلسةً إلى الشرفاتِ العاليه
إلى الأماكن التي ستبلغها أظافري وأسناني
في الثوراتِ المقبله
فأنا لم أجعْ صدفه
ولم أتشرّد ترفاً أو اعتباطاً
"ما من سنبلةٍ في التاريخ
إلا وعليها قطرةٌ من لُعابي".

* * *

أعرفُ أن مستقبلي ظلام
وأنيابي شموع
أعرف أن حد الرغيف
سيغدو بصلابة الخنجر
وأن نهرَ الجائعين سوفَ يهدرُ ذات يوم
بأشرعتهِ الداميه
وفرائصه الغبراء
فأنا نبيٌّ لا ينقصني إلا اللحية والعكاز والصحراء
ولكنني سأظل شاكي السلاح
في "قادسية العجين"
في "واترلو الحساء" التي يخوضها العالم
هكذا خلقني الله
سفينة وعاصفه
غابةً وحطابا

www.alkottob.com

زنجياً بمختلف الألوان كالشفق، كالربيع
في دمي رقصة الفالس
وفي عظامي عويلُ كربلاء
وما من قوةٍ في العالم
ترغمني على محبةِ ما لا أحبّ
وكراهية ما لا أكره
ما دام هناك
تبغٌ وثقابٌ وشوارع..

* * *

www.alkottob.com

سلمية

سلمية: الدمعةُ التي ذرفها الرومان
على أوَّلِ أسير فكَّ قيوده بأسنانه
ومات حنيناً إليها.
سلمية.. الطفلةُ التي تعثَّرتْ بطرف أوروبا
وهي تلهو بأقراطها الفاطميه
وشعرها الذهبي
وظلَّتْ جاثيةً وباكيةً منذ ذلك الحين:
دميتُها في البحر
وأصابعها في الصحراء.

* * *

يحدُّها من الشمال الرعب
ومن الجنوب الحزن
ومن الشرق الغبار
ومن الغرب.. الأطلالُ والغربان
فصولُها متقابلةٌ أبداً
كعيون حزينةٍ في قطار.
نوافذها مفتوحةٌ أبداً
كأفواهٍ تنادي.. أفواه تلبي النداء
في كل حفنةٍ من ترابها
جناحُ فراشة أو قيد أسير
حرفٌ للمتنبي أو سوط للحجاج
أسنانُ خليفة، أو دمعةُ يتيم
زهورها لا تتفتَّحُ في الرمال
لأن الأشرعةَ مطويةٌ في براعمها
لسنابلها أطواقٌ من النمل
ولكنها لا تعرفُ الجوع أبداً
لأن أطفالها بعددِ غيومها

www.alkottob.com

لكلٍّ مصباح فراشه
ولكل خروف جَرَس
ولكلٍّ عجوز موقدٌ وعباءة
ولكنها حزينةٌ أبداً
لأن طيورها بلا مأوى

* * *

كلما هبَّ النسيم في الليل
ارتجفت ستائرها كالعيون المطروفه
كلما مرَّ قطارٌ في الليل
اهتزتْ بيوتها الحزينةُ المطفأه
كسلسلةٍ من الحقائب المعلقة في الريح
والنجومُ أصابع مفتوحة لالتقاطها
مفتوحة- منذ الأبد-لالتقاطها.

* * *

www.alkottob.com

بدوي يبحث عن بلاد بدوية

أيها الفراشُ الباردُ والمظلم كالزقاق
آه كم أتمنى لو أشجّكَ بفأس
أين الشفاهُ التي قبلتها؟
والنهود التي داعبتها؟
كأنَّ القدرَ يصوِّبُ مسدساً إلى ظهري
ويسلبني كلَّ شيء في وضح النهار.

* * *

آه كم أتمنى.. لو أستيقظ ذات صباح
فأرى المقاهي والمدارس والجامعات
مستنقعاتٍ وطحالبَ ساكنه
خياماً تنبحُ حولها الكلاب
لأجدَ المدن والحدائق والبرلمانات
كثباناً رمليه
آباراً ينتشل الأعراب ماءهم منها بالدلاء.

* * *

آه كم أتمنى لو أكونُ في هذه اللحظه
محموماً في قرية بعيده
على سريرٍ غريب
وتحتَ سقفٍ غريب
وامرأة عجوز لم تقع عيناي عليها من قبل
تسألني،
وهي تعصرُ منديلها المبلّل فوق جبيني:
من أي بلاد أنت يا بني؟
فأجيبها والدموعُ تملأ عيني:
آه يا جدتي.....

* * *

www.alkottob.com

في الليل

هناك نحلٌ.. وهناك أزهار
ومع ذلك فالعلقمُ يملأ فمي.
هناك طُرَفٌ وأعراسٌ ومهرجون
ومع ذلك فالنحيبُ يملأ قلبي.
* * *
أيها الحارس العجوزُ يا جدّي
أعطني كلبك السلوقي لأتعقَّب حزني
أعرني مصباحك الكهربائي
لأبحث عن وطني.
من أزقة طويلة كسياط أجدادي
آتي إليك،
والاستغاثاتُ مصطفَّةٌ في حنجرتي كالمجاذيف
لأشكوَ لك الغبارَ والجماهير
الليلَ والزهور والموسيقى
لأشكو لك ذلك الرصيف:
ما إن شرعت بقصتي
حتى انسل بين الأزقة كالأفعى
وتركني وحيداً.. وقدماي
تهتزان في الهواء كقدميّ المشنوق
ولذا جئتك مرفرفاً بيدي كالخفاش
لا أعرف أين أمضي هذه الليله
وكل ليله
الأرصفة التي أعبرها
تلفظُ خطواتي كالدواء المرّ
الجدران التي ألمسها
ترتعشُ تحت أصابعي كالشفاه قبل الزئير
أحسد المسمار

www.alkottob.com

لأن هناك خشباً يضمُّهُ ويحميه
أغبط حتى الجثث الممزقة في الصحراء
لأن هناك غرباناً ترفرف حولها وتنعق لأجلها
آه يا جدي
لقد اشتقتُ للظلم للإرهاب
للتعلّقِ بالأغصان بالشاحنات
للتمسّك بأيّ شيء
ولو بقضبان السجون

* * *

إنني لستُ ضائعاً فحسب
حتى لو هويتُ عن أريكتي في المقهى
لن أصل إلى سطح الأرض بآلاف السنين.

* * *

www.alkottob.com

رسالة إلى القرية

مع تغريدِ البلابل وزقزقة العصافير
أناشدُك الله يا أبي:
دعْ جمع الحطب والمعلومات عني
وتعالَ لَملمْ حطامي من الشوارع
قبل أن تطمَرني الريح
أو يبعثرني الكناسون
هذا القلم سيوردني حتفي
لم يتركْ سجناً إلا وقادني إليه
ولا رصيفاً إلا ومرَّغني عليه
وأنا أتبعه كالمأخوذ
كالسائر في حلمه

* * *

في المساء يا أبي
مساء دمشق البارد والموحش كأعماق المحيطات
حيث هذا يبحثُ عن حانه
وذاك عن مأوى
أبحث أنا عن "كلمة"
عن حرف أضعُهُ إزاء حرف
مثلَ قِطٍّ عجوز
يثبُ من جدار إلى جدار في قرية مهدمه
ويموء بحثاً عن قطته
ولكن.. أو تظنني سعيداً يا أبي؟
أبداً
لقد حاولت مراراً وتكراراً
أن أنفضَ هذا القلم من الحبر
كما يُنْفَضُ الخنجر من الدَّم
وأرحل عن هذه المدينه

www.alkottob.com

ولو على صهوةِ جدار
ولكنني فشلت
إن قلمي يشمُّ رائحة الحبر
كما يشمَّ الذكر رائحة الأنثى
ما أن يرى صفحة بيضاء
حتى يتوقَّف مرتعشاً
كاللص أمام نافذةٍ مفتوحة
أنام
ولا شيء غير جلدي على الفراش
جمجمتي في السجون
قدماي في الأزقة
يداي في الأعشاش
كسمكة "سانتياغو" الضخمه
لم يبقَ مني غير الأضلاع وتجاويف العيون
فاقتلعنيْ من ذاكرتك
وعدْ إلى محراثك وأغانيك الحزينه
لقد تورطتُ يا أبي
وغدا كلُّ شيء مستحيلاً
كوقفِ النزيف بالأصابع.

* * *

www.alkottob.com

وصية الشتاء للربيع

أية عدالة هذه؟
كلمة البحر.. مفردة
وقطرة المطر.. مفردة؟
كرهت حكم العائلة
حكم المافيا هذه!

* * *

كلما تنهدت
عاد مغترب مع حقائبه وهداياه وذكرياته
وكلما ولد رجل دين
اسودّت الدنيا في وجهي ووجه طبقتي.
وكلما كتبت كلمة..
غردّ عصفور أو ولد طفل أو تدفق ينبوع
وكلما سمعت أصواتكم عبر الأثير
أنسى دموعي وأمراضي
والعدو الذي يحتل أرضي
والتخلف الذي يفتك بشعبي
والديون التي تنال من سمعتي
وإليك وصية الشتاء لحفيده الربيع:
على حصيرة دمشقية
حيث آثار الأقدام المفلطحة
والجباه والراحات المستسلمة
أشبه بأختام بريد مستعجل إلى الجبهة.

* * *

وأنا أصلي كل ركعة باتجاه
واحدة باتجاه النافذة
وأخرى باتجاه المضخة
وواحدة باتجاه بنت الجيران
وأخرى باتجاه سحابة لم تستقر بعد على شكل أو اتجاه معين

www.alkottob.com

* * *

وعلى نفس الركبتين، وعلى نفس الحصيرة
أوغلت في الإيمان
بين رواد الحانات وسماسرة الثواب والعقاب
وكانت عينا سنية تشعان كقصائدها
والموت المظفر يجتاح حطامها
لقد ماتت أو جفت عضواً بعد آخر مثل أي نهر في فصول الجفاف
وعندما وصل الموت إلى قلبها
انتقلت دقاته إلى قلبي
وورثته على عجل
كما يرث ولي العهد تاجه في المعركة
لأتابع الصلاة والحرب

* * *

كانت تحسدني على عناويني
وأنا كنت أحسدها على عناوينها وقصائدها!!

* * *

ويا عضدي وسندي وابني الروحي محمد بدور
اكتب على لساني بخط أزرق وواضح كسماء الصيف:
مهما كانت قصائدي جميلة ومبوّبة بأحدث آلات الطباعة في العالم
فإنني أحب التي أكتبها على ركبتي واللفافة في فمي أكثر
وإذا أرسلت إلى أي مكان في الوطن وبأحدث أنواع الفاكس والمواصلات
فإنني أحب التي تنقل في أكياس البريد وما عليها من بقع وأختام
لأنها تأخذ شكلها الطبيعي
وتظل عابقة برائحة الشعب وعرق جبينه وأطرافه.

* * *

المهم أنت تبني كنحلة
وأنا أهدم كعاصفة!
لأنك جئتني وأنا في أسوأ حالاتي
وعليك أن تتحمل النتائج!

* * *

www.alkottob.com

سيداتي سادتي

مواطن عربي ينقل إبرة الراديو من محطة إلى محطة ويعلّق على ما يسمعه من أغان وبرامج وأخبار وتعليقات، من الصباح الباكر حتى نهاية الإرسال في الوطن العربي.

إذاعة رقم ١: عزيزي المستمع، في نزهتنا الصباحية كل يوم تعال معنا إلى ربوع الوطن الحبيب حيث لا شيء سوى الحب والجمال.

المستمع: والتخلف.

إذاعة رقم ٢: أغنية لفيروز "جايي، أنا جايي.. جايي لعندك جايي".

المستمع: يا فتّاح يا رزّاق. إنها حتماً فاتورة الماء أو الكهرباء أو الهاتف.

إذاعة رقم ٣: عزيزي المستمع مع الورود والرياحين والنرجس والنسرين والفل والياسمين.

المستمع: أي فل وأي ياسمين. والله لو مات أحد أصدقائي في هذا الغلاء الفاحش فلن أستطيع أن أقدم له إلا إكليلاً من الخطابات.

إذاعة رقم ٤: قصيدة اليوم: وللحرية الحمراء باب.

المستمع: بكل يد قابضة يدق.

إذاعة رقم ٥: وإننا نعلن من هنا أن لا شروط لنا أبداً على تحقيق الوحدة العربية.

المستمع: باستثناء شرط واحد هو أننا لا نريدها.

إذاعة رقم ٦: حكمة اليوم، قل كلمتك وامش.

المستمع: إلى البنك.

إذاعة رقم ٧: إن المجلس الأعلى لشركات الطيران العربية يحذر في مؤتمره المارقين والعابثين بقضايانا المصيرية ويضع كافة إمكاناته وطاقاته في خدمة المعركة.

المستمع: بما أن الأمور قد وصلت إلى شركات الطيران فمعنى ذلك أن القضية "طايرة قريباً".

إذاعة رقم ٨: حلم لاح لعين الساهر".

المستمع: عودة الحياة الطبيعية إلى لبنان.

إذاعة رقم ٩:من أنبائنا الرياضية خرج الجواد العربي "نور الصباح" من الداربي الإنكليزي بعد الشوط الأول بسب إهمال الجوكي وسقوطه عنه.

المستمع: طبعاً لأن العرب لا يعرفون أن يخيّلوا إلا على بعضهم.

إذاعة رقم١٠: وإن الاتحاد النسائي العام في الوطن العربي يدعو كافة أعضائه المنتسبات..

www.alkottob.com

المستمع:.. إلى ترك أطفالهن دون رضاعة وأزواجهن دون طعام وبيوتهن دون ترتيب ومطابخهن دون جلي والتفرّغ لحلّ مسؤولياتهن وفضح المؤامرات التي تحاك ضد قضيتنا وأمتنا، وكل فرع لا يتقيّد بهذه التعليمات يغلق وتختم جميع مكاتبه "بالشكلس الأحمر".

إذاعة رقم١١: وكما قلنا وأكدنا مراراً نعلن أمام العالم أجمع أنه:

لا صلح

لا اعتراف

لا مفاوضات

المستمع: لا تكذبي. إني رأيتكما معاً.

إذاعة رقم١٢: وإننا نؤكد أيضاً من هنا ولجميع شعوبنا العربية والإسلامية أننا لن نذهب إلى مؤتمر ولن ننسحب من جلسة ولن نتهاون في قضية ولن نساوم على حق ولن نتردد في مساعدة ولن نتراجع عن موقف ولن نفاوض ولن نصالح ولن نقرر إلا ما تمليه إرادة الشعوب.

المستمع: والشعوب في السجون.

إذاعة رقم١٣: أغنية "دايماً وراك دايماً أتبع خطاك دايماً".

المستمع: معروفة. المواطن والمخابرات.

إذاعة رقم١٤: وبعد أن شرح سعادته لسفراء الدول الغربية الظروف الخطيرة التي تمر بها المنطقة، أعطاهم مهلة شهرين للعودة بأجوبة واضحة من حكوماتهم، وذلك قبل بدء حملة الانتخابات الأمريكية وانشغال العالم بها، لأن العرب مصممون أكثر من أي وقت مضى عل صوم رمضان القادم في القدس والصلاة في عكا والوضوء في مياه الأردن ثم استقل سعادته الطائرة في رحلة استجمام إلى أوروبا تستمر..

المستمع: إلى ما بعد الانتخابات الأمريكية.

إذاعة رقم١٥: وإننا في هذه الظروف المصيرية نحث جميع القادة والمسؤولين العرب على الالتزام بقرارات جميع القمم العربية دون استثناء: قمة الخرطوم وقمة الرباط وقمة بغداد وقمة فاس الأولى والثانية.

المستمع: عجيب، كل هذه القمم ومازلنا في الحضيض.

إذاعة رقم١٦: والآن سيداتي وسادتي، ومع اقترابنا من ركن المنزل تنضم جميع موجاتنا العاملة..

المستمع: إلى جبهة الصمود والكفاح العربي.. ونقدم لكم طبخة اليوم.

إذاعة رقم١٧: إن طريقنا إلى فلسطين لا بد أن تمر من بيروت.

المستمع: ومن جونيه.

إذاعة رقم ١٩: ومن موسكو.

إذاعة رقم٢٠: ومن واشنطن.

المستمع: من كثرة الطرق التي أصبحت تؤدي إلى فلسطين صارت القضية في حاجة إلى إدارة مرور.

المذيع: اخرس.

www.alkottob.com

إذاعة رقم٢١: فيروز تغني أنا وشادي.. تربينا سوا.. راح شادي.. ضاع شادي.

المستمع: بس شادي؟

المذيعون العرب: اخرس.

المستمع: لن أخرس.

المذيعون العرب: ستخرس رغماً عن أنفك. (وتمتد مئات الأيدي من الراديو وتنهال عليك ضرباً وصفعاً): كلب، جاسوس، حقير، طابور خامس..إلخ..

إذاعة رقم٢٢: نأسف لهذا الخلل الفني، وسنعود إليكم فور إصلاحه.

إذاعة إسرائيل: لا.. لا.. خذوا راحتكم.

* * *

www.alkottob.com

الحديقة قرب الغابة

أجمل شعارات هذه الأمة وأعرقها. بل ثوب زفافها الأبيض. ماذا حلّ بها؟ ماذا بقي منها غير الأزرار الصدئة والأكمام المتهدلة والجيوب الفارغة؟

شعارات نقية يطلقها أناس أنقياء وبلمح البصر تصبح كثياب عمال الدباغة مع أن الكل يدعي النظافة وتعقيم اليدين.

معاهد جامعات مخابر تكنولوجيا، ومع ذلك حكمة قيلت قبل أربعين قرناً على ظهر بعير تحكمنا وتسيطر على أفعالنا ونحن على متن الجامبو أوالكارافيل وعلى ارتفاع أربعين ألف قدم عن سطح الأرض.

ما أذرب ألسنتنا في إطلاق الشعارات. وما أرشق أيدينا في التصفيق لها، وما أعظم جلدنا في انتظار ثمارها، ومع ذلك فإن منظر ثائر عربي يتحدث عن آلام شعبه للصحفيين وهو يداعب كلبه الخارج لتوه من الحمام، أو منظر طفل مقنزع في صدر سيارة بمفرده أمام مدرسة خاصة أو حضانة أطفال، وعلى مسافة أمتار من ظل سيارته يقف المئات تحت الشمس المحرقة بانتظار باص، يلغي مفعول عشرين دراسة ومئة محاضرة وألف أغنية وأهزوجة عن العدالة والاشتراكية. كأن هناك من اختص في تجويف الشعارات العربية وتفريغها كالخلد من أي محتوى.. ولا يقر له قرار ما لم يتركها لمن سيجيء من بعده وهي كالبطيخة المنهوشة بالأسنان حتى القشرة البيضاء.

كأني بهؤلاء وأمثالهم منذ أول مظاهرة عام ١٩٤٨ اصطفوا على طريق النضال العربي، وكل منهم وضع شعاراً من الشعارات في "حلة" ووقف وراءها وبيده مغرفة وراح يفرغ ما بها كبائع السحلب.

وعندما تصبح هذه الشعارات ضجة بلا محتوى.. يعودون إلى الصف مرة ثانية ويقفون رتلاً أحادياً وراء بعضهم كما في النظام المنضم، وكل منهم يحمل فرشاة في يمينه وسطل دهان في يساره، ويبدأ بلصق التهمة تلو التهمة على ظهر الذي أمامه بينما تكون فرشاة الذي وراءه تعمل في ظهره وتلصق عليه ألف تهمة مماثلة. حتى أصبح ظهر المواطن العربي مع مرور الأيام والعهود والمراحل كواجهة السينما أو لوحة الإعلانات.

وفي المقابل هناك فريق ثالث يتألم ويخبط كفاً بكف لهذه الحالة.. ويدعو إلى الشفقة والرحمة بهذه الأمة.. ثم يتلفت يمنة ويسرة وينهش منها ثمن سيارة ويمضي.

ويأتي آخر ينهش منها ثمن طقم كنبايات.

وآخر ثمن مزرعة دواجن.

وآخر ثمن كباريه.

وآخر ثمن شاليه.

وآخر محضر بناء.

وآخر تعهد قمامات.

وهذه خاتم سوليتير.

www.alkottob.com

وتلك فستان سواريه للصيف.

وتلك معطف فرو للشتاء.

وهذه الأمة ترتجف كالنعجة في موسم القصاص بعد أن جردت من كل ما يسترها ولم يبق منها إلا الأنسجة والأعصاب.

ولكن حذار:

يحكى أن نمراً في سيرك هندي بعد أن تقدم به العمر وأحيل على التقاعد كأي دركي عجوز، دفن رأسه بين قائمتيه وانزوى بعيداً عن الأعين، لكن الحيوانات الأخرى لم تتركه وشأنه فراح كل ما في السيرك من قطط صغيرة وقردة وثعالب وسحالي وببغاوات وسعادين يتحرش به ذهاباً وإياباً. وهو صامت لا يروم، تعففاً وسأماً، ولكن في يوم من الأيام عندما زادوا من تحرشهم لم يطق صبراً على ذلك. فانتظرهم حتى مروا قافلة واحدة ورفع يده وهوى بها عليهم. فقضى على الجميع بضربة واحدة.

* * *

www.alkottob.com

وجبة اليوم وكل يوم

كان المحاضر العربي والمتجول في جامعات أوروبا والذي نزح عن وطنه منذ سنوات طويلة هرباً من الجوع والإرهاب، يتجول ذات مساء في شوارع إحدى المدن الأوروبية وكل ما حوله من ديموقراطية وعدالة ونظام كان متلألئاً ومتناسقاً مثل شجرة الميلاد.

المظلات فوق الرؤوس، والمارة فوق الأرصفة، والقانون فوق الجميع، يا لها من حضارة مهذبة ودود كالقطة المنزلية الأليفة.

ودخل أحد المطاعم الفاخرة ليتناول عشاءه، فاستقبله "الميتر" بابتسامته المعهودة للغرباء، وقدم لائحة الطعام ووقف بانتظار طلباته. فقال له الأستاذ الغريب: إنني متعب من القراءة والكتابة فاقرأ لي القائمة إذا أمرت.

قال "الميتر" بحماس: أمرك سيدي. عندنا ويسكي اسكتلندي، وبيرة ألمانية، وخبز كندي، وشوربة سويسرية، وجبنة فرنسية، ولحم أرجنتيني، وكافيار روسي، ومعكرونة إيطالية، وشاي سيلاني، وقهوة برازيلية، أما الأقداح فهي تشيكية والفوط والمناشف أمريكية.

فشعر الأستاذ بغربة عميقة عن كل ما قرئ له. وانتابه حنين جارف إلى أي شيء يذكره بوطنه وبلاده.

فسأله: أليس عندكم أي شيء عربي؟

فقال الميتر: لا. ليس عندنا أي شيء عربي سوى "الخدم".

وعاد إلى وطنه في أول طائرة حاملاً خبرته وشهاداته وأشواقه ليعوض ما فات من عمره كل هذه السنين. وما إن وصل إلى الفندق حتى ترك فيه كل شيء، ووضع يديه في جيوبه وراح يتجول حتى آخر الليل في شوارع المدينة التي أحبها وهجرها وهو لا يكاد يشبع من هوائها وأرصفتها وسمائها ونجومها وسط النقاش العالي وراء جدرانها. ودخل أحد المطاعم بعد أن أرهقه التجوال الطويل ليتناول عشاءه فهب إليه "الميتر" بابتسامته المعهودة مرحباً به وبطلباته فقال له الأستاذ الغريب:

اقرأ لي ما عندك من أطعمة ومشروبات، فأنا كنت غائباً لسنوات وسنوات عن الوطن. وقد لا أعرف ما تعنيه الأسماء في الوقت الحاضر.

فقال "الميتر": عندنا عرق لبناني وفول سوداني وكباب حلبي، وملوخية مصرية، وكبسة سعودية وفريكة عراقية وكوسكوس تونسي وكنافة نابلسية وبطيخ أردني وقهوة عدنية. والطبخ بجميع أنواعه عربي وكما ترى المطبخ شرقي والستائر شرقية والراقصة شرقية والأغاني عربية وكذلك الفرش واللباس عربي. وكذلك أنا وموظفو الاستقبال والطهاة والمحاسبون. كلنا عرب بعرب.

فتنفس الأستاذ الصعداء وقال:"يعني ليس عندكم أي شيء أجنبي؟".

"الميتر": أبداً يا سيدي، ليس عندنا أي شيء أجنبي ما عدا صاحب المحل..

* * *

www.alkottob.com

وشمر عن ساعد الجد والعمل وانخرط في الحياة السياسية حتى شحمة أذنيه. ودخل في حزب وخرج من آخر. وانضم إلى هذه المنظمة، وعارض تلك الكتلة. تغدى مع المعارضة وتعشى مع الموالاة. عجن اليمين وخبز اليسار. احتك بالأطباء والمحامين والتجار والمقاولين. يستوضح ويستكشف ويستوعب. سابراً غور السياسة العربية قبل كامب ديفيد وبعده. مسترشداً بقرارات القمة الموسعة والمغلقة. آخذاً بالحسبان نقط الخلاف ونقط الالتقاء بين الأنظمة المعارضة والأنظمة الموالية لهذا المعسكر أو ذاك. ثم افتتح عدداً من المشاريع في مختلف المجالات. ثم افتتح مطعماً ووقف على بابه. وكلما دخل زبون وسأله: هل اللحم والفراريج عندكم مذبوحة على الطريقة الإسلامية؟

يجيبه وهو يقدم له الشوكة والسكين:

ليس عندنا سوى الإنسان العربي مذبوحاً على ألف طريقة وطريقة.

* * *

www.alkottob.com

اللوثة

مواطن عربي: اترك كل شيء من يدك، واصغ إليّ يا دكتور.

الطبيب: وهؤلاء المرضى الذين قبلك..

المواطن: إني أتحدث باسمهم، فكل أمراضنا متشابهة وأحلامنا متشابهة وخيباتنا متشابهة.

الطبيب: تفضل.. مم تشكو؟

المواطن: عندما أجلس إلى خريطة هذا العالم الكبير، وأضع يدي على خدي وأفكر: كم في هذه البلدان والمدن البعيدة المتناثرة هنا وهناك من أنظمة مستقرة وقوانين مقدسة وبرلمانات حقيقية ومعارضة حقيقية وصحف حرة وإذاعات حرة ونقابات حرة وقضاء محترم وحقوق مصونة ومناهج مدروسة ومواهب متفتحة وطاقات منتجة واختراعات متلاحقة وشوارع نظيفة وسلع متوفرة وأسعار محددة ومصاعد سليمة ومرور منظم وشرطة مهذبة وحدائق منسقة وأمسيات هانئة ونوافير متدفقة وتماثيل متعانقة في كل ساحة وحمام مطمئن على كل كتف وسينما ومسرح وأوبرا وباليه وتزلج على الجليد في كل ليلة..

ومن ثم عندما أجلس إلى خريطة الوطن العربي واضع قدمي على خدي وأحصي على أصابعي كم في هذه البلدان والمدن البائسة المتناثرة هنا وهناك من صراصير في الصيف وتزلج على الوحول في الشتاء وجوع وقهر وأضلاع بارزة وشفاه مشققة وأرجل حافية وعظام مصطكة وأزقة مظلمة وكلاب شاردة وأسنان نخرة وانقطاع مياه وانطفاء كهرباء وإلقاء قمامة من النوافذ وتبوّل على الجدران وكذب في المواعيد ومماطلة في التسليم وسلع مفقودة وجشع تجار وفوضى ركاب وبذاءة سائقين ودعس أرجل في الزحام وقرص نساء في الباصات وأعراس مزعجة وأبواق مخنثة ونميمة في المقاهي وعنتريات فارغة في الشوارع وسلخ زبائن في المطاعم ومخالفات مرور ومخالفات بناء وتجاوز قوانين وفظاظة موظفين واستعطاف مراجعين وسجون ومعتقلين وتطويق شوارع واقتحام منازل واختفاء أشخاص وأيد مرفوعة وبنادق مصوبة وتشفيط سيارات وصحف كاذبة وإذاعات أكذب وبرلمانات مرتجلة واستراق سمع وتنسيق تقارير ومنع تجمع ومنع ترشيح ومنع مغادرة ومنع عودة ومنع حمل ومصادرة كتب ومصادرة أملاك ومصادرة حريات وتسريح تعسفي وقتل مواهب واحتضان تافهين ووجوه مقطبة في الدوائر وسُحن مقلوبة على الحدود.

ومع ذلك، ما إن يغيب أحدنا عنه أسبوعاً أو أسبوعين حتى ينام والدموع تغطي وسادته حنيناً وشوقاً إليه. ما العمل يا سيدي؟ لا أستطيع البقاء فيه دقيقة واحدة ولا أستطيع الحياة خارجه دقيقة واحدة. هل أقضي بقية حياتي في قاعة الترانزيت؟ ما اسم هذه الحالة؟ انفصام جوي؟ أنقذني يا سيدي. أنا مريض حقيقي.

مواطن آخر: أنا مريض اعتباري.

مواطن آخر: أنا مريض موضوعي.

مواطن آخر: أنا معي مناقير عظمية في كتفي.

مواطن آخر: أنا معي مناقير إعلامية في رأسي.

www.alkottob.com

مواطن آخر: أنا معي انزلاق غضروفي في ظهري وأخشى أن يتحول إلى انزلاق جغرافي.

مواطن آخر: أنا مريض سياسياً.

مواطن آخر: أنا مريض اجتماعياً.

مواطن آخر: أنا مريض جبهوي.

مواطن آخر: أنا مريض حاسم.

مواطن آخر: أنا مريض تكتيكيا.

مواطن آخر: أنا مريض استراتيجياً.

مواطن آخر: أنا مكبوت عربياً.

مواطن آخر: أنا مقهور تاريخياً.

الطبيب: هل راجعتم أطباء اختصاصيين؟

المرضى: نعم لم نترك طبيب أنف أو إذن أو حنجرة أو عيون أو أسنان أو هضم أو ضغط أو غدد أو أعصاب. راجعنا حتى أطباء التوليد ولكن دون نتيجة.

الطبيب: لم يعد أمامكم سوى مراجعة الدكتور كيسنجر فله عيادات شتى في المنطقة.

المرضى: لقد ذهبنا إلى عيادته يا سيدي فرفض استقبالنا.

الطبيب: لماذا؟

المرضى: قال إن اختصاصه هو معالجة الأنظمة لا الشعوب.

* * *

www.alkottob.com

سكتت.. عن الكلام المباح

بعد أن أصبحت التكتلات الاقتصادية والمؤتمرات الدولية موضة هذا العصر، كمنظمة أوبيك، والسوق الأوروبية المشتركة، تنادي عدد من فقراء العالم المتنوّرين لإقامة سوق مشتركة للدول المصدرة والمستهلكة للحزن والدموع، ودعوا إلى اجتماع تمهيدي في مكان ما من العالم تحت شعار: يا تعساء العالم اتحدوا وتجمعوا ليسهل على الشرطة مراقبتكم واعتقالكم. وقد لبى هذه الدعوة عدد كبير من الوفود، وجاؤوا إلى مكان الاجتماع مشياً على الأقدام بزيهم الوطني التقليدي وهو السحنة العابسة والأطراف المرتخية. وبعد أن تربعوا على الأرض وتبادلوا أعقاب السجائر وأعقاب المبادئ والشعارات، طلب إليهم رئيس الجلسة "وهو أكبرهم سناً وأكثرهم عبوساً" الوقوف دقيقة صمت حداداً على أرواح شهداء بلادهم وشهداء الإنسانية جمعاء، فحاولوا ذلك، ولكنهم لم يستطيعوا بسبب الإرهاق وسوء التغذية، وطلبوا السماح لهم–مع الأسف الشديد– بتحيتهم وهم جالسون، فوافق على الفور وجلس قبلهم ونام من أول الجلسة حتى آخرها والتي تمخضت عن المهن والاعترافات التالية:

عريف الحفلة: أنا مطرب مغمور اسمحوا لي أن أفتتح هذا المؤتمر بموال "خائن يا زمن" وشكراً.

المندوب الأول: أنا كأجير حلاق سأقص لسان كل من يعارضني. والسلام عليكم.

المندوب الثاني: أنا كأجير صائغ. أينما ذهبت، وأينما جئت لا أسمع إلا شعار "الوقت من الذهب" "الوقت من الذهب" يتردد على ألسنة السياسيين والموظفين والطلاب والمعلمين والمصححين، إذاً كيف وصلنا إلى هذا الواقع "التنك"؟

المندوب الثالث: أنا كفران، اسمحوا لي أن أنفض يدي من الطحين أمامكم وأسأل: كيف يتنكر الجائع للجائعين عندما يشبع. وشكراً.

المندوب الرابع: أنا أجير نجار لا علاقة لي بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد.. ولكنني أعتقد أن الوطن العربي ينتظره الكثير من الخوازيق.

المندوب الخامس: أنا شرطي سير.. طاقتي محدودة.. وفمي محدود لا يتسع لصفارتين معاً.. واحدة للمواطنين وواحدة للمسؤولين.

المندوب السادس: أنا شاعر ومستخدم في "بنك" وقد أصبح الشعر على الشكل التالي: وللحرية الحمراء باب، بكل يد "قابضة" يدق.

المندوب السابع: أنا بائع صحف متجول. وإليكم هذا النبأ الهام: لقد أميط اللثام مؤخراًعن سرّ الصحون الطائرة الذي حيَّر علماء الفضاء لأمد طويل. لقد تبين، أيها الزملاء، أنها ليست إلا الصحون التي يقذفها الفقراء من النوافذ عبر الأجيال لأنهم لا يجدون ما يأكلونه. ولذلك لا تستغربوا إذا ما تحدثت الصحف عما قريب عن "نمليات ومطابخ بكاملها" طائرة في الفضاء أيضاً.

المندوب الثامن: إذاً أنا كمواطن حائر بين القديم والجديد أقترح على الفور أن تحدث كل دولة ننتمي إليها: وزارة جديدة "للرعب" من المستقبل، ووزارة "عتابا" للحنين إلى الماضي.

www.alkottob.com

المندوب التاسع: أنا كبائع يا نصيب لا أؤمن إلا بمهنتي، ولذلك أقول لكم بأننا قد نربح معركتنا في هذا العالم وقد لا نربح.. ولكن من المؤكد حتى الآن أن الجوائز الكبرى هي من نصيب الدول الكبرى.. أما نحن فلن نربح إلا جوائز الترضية والسلام عليكم. وبكره السحب.

وانتهى الاجتماع بسرعة.. وساروا وراءه صفاً واحداً بثيابهم الخلقة تحت علم من "البالة" وهم يرددون بصوت مرتجف واحد:

نحن الشباب لنا الغد

وبرده المجلد وخبزه المقدد.

* * *

www.alkottob.com

المأخوذ

أيها الشعر الأليف كسعال أبي.

أيها الشعر القديم كطفولتي ووشم يدي.

ضع رأسك على هذا الرصيف، واسمعني يا ناكر الخبز والملح والسياط.

في طفولتي حاولت أن أصير لحاماً ففشلت، لأنني كنت آكل أكثر مما أبيع.

وحاولت أن أصير خيّاطاً ففشلت، لأنني كنت أغرز الأبر في لحم الزبون أكثر مما أغرزها في ثيابه، خاصة إذا كان تقدميّاً.

وحاولت أن أصير رياضياً ونجماً في كرة القدم، ففشلت، لأنني كنت أعتقد بأن هناك أشياء كثيرة يجب ركلها بالقدم، قبل تلك الكرة المطاطية البائسة.

وحاولت أن أصبح مطرباً شعبياً ففشلت، إذ قالوا لي بأن حبالي الصوتية تصلح لشحن البضائع، لا لشحن العواطف والأحاسيس.

ثم حاولت أن أعتزل الدنيا وأصير متصوفاً أتعبّد ربي، ففشلت، لأنني لم أكن أملك من كل الأراضي العربية ولو مساحة جبيني، لأركع عليها وأصلّي.

وأخيراً، حاولت أن أصير زعيماً سياسياً يتبعني اللحام والخياط والمطرب والرياضي والمتصوف، فلم يتبعني سوى المخابرات.

وفي تلك الأيام وأنا بحاجة إلى من يطعمني، أطعمتك، وإلى من يؤويني، فآويتك، وجففتك بلساني من الوحل والمطر والدموع، كما تفعل البهيمة مع وليدها.

كنت مطروداً من الكتب، نازحاً من المجامع اللغوية، تقيم في مخيمات مؤقتة في ضواحي المدن والمدارس والجامعات، بانتظار العودة. وبدون منظمة تحرير، أو مؤتمرات قمة، أو هدير طائرات، أعدتك في ليلة واحدة، ودموع الفرح تغمر وجهي وأسمالي ودفاتري.. لأنني كنت مؤمناً بعودتك، لا متاجراً بها.

وماذا كانت النتيجة؟ لم تتركني في يوم من الأيام، أو ليلة من الليالي، أهنأ بوجبة، بإغفاءة، بتثاؤب، أو أنهي مناقشة، أو مصافحة أو رواية عاطفية، أو فيلماً بوليسياً كما أريد. مع كل لقمة تذكرني بجائع، مع كل كأس تذكرني بسجين، مع كل قبلة تذكرني ببناء مستوطنة أو غياب حبيب.

والآن، بعد أن احدودب ظهري وقلمي، بدلاً من أن تأخذ بيدي وتساعدني في الجلوس والنهوض، وتكون سميري في ليالي الشتاء الطويلة، تتنكر لي وتهجرني؟

لا لن أسمح لك بذلك أبداً. تعال لنتفاهم بصوت منخفض، ولا تدع المارة يتجمعون حولنا ويشتمون بنا، فكلانا في النتيجة سمكتان بائستان، تقتتلان في شبكة واحدة.

www.alkottob.com

تعال يا صغيري، سأغسل لك وجهك كل صباح،وأسرح لك قوافيك وأزرر نقطك وفواصلك، لنزورَ شوارعنا القديمة، ومقاهينا القديمة، وسجوننا القديمة ولكن من.. بعيد.

ولكن قبل كل شيء سنزور قبر جدك المتنبي، إلا إذا صار قبو مخابرات أو معمل بطاريات.

وفي الطريق سأروي لك ملحاً وطرائف مما جرى معي في غيابك، كيف سافرت وبأية حالة عدت.

كنت أول من صعد الطائرة وأول من هبط منها إلى أعماق الصحراء العربية، وأنا أتحسس قلمي ودفاتري وعروبتي كما يتحسس الملاكم عضلاته قبل الدخول إلى الحلبة، إذ كنت أشعر، وفي مثل هذه السن، أنني في سباق مع الزمن، مع التخلّف، مع الشعر القديم، والمسرح القديم، مع كامب دافيد، وحلف الأطلسي، ومع كل القوى المعادية لأمتنا ومستقبلنا. وبعد سنتين، لم يكن متاحاً لي الاشتراك حتى في سباق الهجن.

كما تعرفت هناك على أبرز الوجوه الأدبية والفكرية والنضالية في الوطن العربي في غدوهم ورواحهم إلى تلك المنطقة، حيث يقضون الليل بطوله في الاجتماعات المغلقة والمفتوحة، والمحادثات الشاملة والجانبية عن التضامن العربي، وكامب دافيد، وحشد الطاقات وحتمية المعركة، وساعة الصفر، وفي الصباح ينتهي كل شيء بساعة رولكس أو سيتيزن.

لا تضحك بصوت مرتفع. انتبه. هناك دورية قادمة. تماسك، ولا تبل بسراويلك الورقية الصغيرة، وتفضحنا أمام الشعر القديم، والجيل القديم، فلا تنس أننا نحن جيل النصر والتحرير.

أين أنت يا صديقي؟ لماذا لا تجيب؟ إنني أسمع وقع خطواتك ودقات قلبك. لا لن تهرب مني بهذه البساطة. لن تأكلني لحماً وتتركني عظماً أمام سخريات الملايين. قف إلى جانبي، قف على رأسي، ولكن لا تتركني وحيداً في حقيبة فيليب حبيب. فأصابعي من دونك دون شعر.. مفزعة كأنياب الجمجمة.

تمهل، لا أستطيع اللحاق بك، أو فلتذهب أنت وكل أدب العالم إلى الجحيم، كنت أسخر منك، وأصرّم الوقت معك لا أكثر. فمشكلتي معك أو مع سواك. مع الشعر القديم، أو الحديث، مع المسرح التقليدي أو المسرح الدوار، مع اليمين أو اليسار، مع هذه المجلة، أو تلك الصحيفة. مشكلتي في البر أو في الجو، في الوطن أو في المنفى هي: نسر خائف أو فأر مطمئن.

* * *

www.alkottob.com

ذكريات مع السيّاب

في عام ١٩٦٠، كنت عاطلاً عن العمل. وكانت العروبة نفسها عاطلة عن العمل، ويا ليتها ظلت كذلك.. وكنت حينذاك ضيفاً على مجلة "شعر" وأسرة التحرير كلها ضيفة على صاحبها يوسف الخال. ويوسف الخال ضيفاً على شارع السادات في رأس بيروت. في هذه الأثناء حل بدر شاكر السياب (بأناقته المعروفة) ضيفاً على الجميع، وهو يمشي قدماً في الشرق وقدماً في الغرب بسبب تباشير الروماتيزم في ركبته ولما كان بريئاً وساذجاً ولا يعرف أن يتحرك بمفرده فقد كلفني يوسف الخال بمرافقته طول إقامته هناك، وأوصاني وهو يسلمني إياه: لا تعذبه، إنه شاعر كبير.

ومن أول المشوار توطدت عرا الصداقة فيما بيننا، خاصة بعد أن أهداني في لحظة انفعال "كرافيت" من نوع سيلكا أو سمكا، لم أعد أذكر، عربوناً على صداقتنا الأبدية، وبدأت مهمتي في اطّلاعه على الحياة الثقافية في بيروت فأخذته من ذراعه وقلت له: هذا هو الشارع الفلاني، وهذه هي السينما الفلانية. في هذا المطعم يجلس أركان الناصريين ليهاجموا القوميين. وفي هذا المطعم يجلس أركان القوميين ليهاجموا الناصريين والشيوعيين. وفي هذا المقهى يجلس أركان مجلة "شعر" ليهاجموا الجميع، متخذاً كل واحد منهم أفضل طاولة وأفضل واجهة من الصباح إلى المساء على فنجان قهوة وخمسين كأس ماء بنصف ليرة. وعند هذه الزاوية بالذات سحبني صاحب المقهى من يدي وقال لي: إما أن تخلصني منهم، وإما أهدم المقهى وأحوله إلى محل لبيع الشاورما، كرمى ليوسف الخال وشعره الحديث.

وكان بدر يضحك كالأطفال من هذه المعلومات، وكنت بدوري أكثر سعادةً منه وأنا أقوم بمهمتي خير قيام لصالح الشعر والحرية حسب مفهومي. ولكن ما إن انتهينا من الشوارع العريضة والمناطق السكنية، وبلغنا منطقة الأسواق التجارية والشوارع المزدحمة بالواجهات والمتفرجين، حتى أخذت بعض المتاعب تواجهني في مرافقته.. فقد اكتشفت أن المسكين لا يستطيع التسكع كالمراهقين أكثر من عشر دقائق أو ربع ساعة.. بعدها يأخذ في الترنّح والدوران حول نفسه وحول مرافقه، ولذلك كنت أجده في لحظة على يميني وفي اللحظة التالية على يساري. وعندما لا يجد مرافقه إلى جواره، يدور حول أي شيء، حول عمود كهرباء أو شرطي سير، أو حول نفسه. ويتابع طريقه وحديثه عن الشعر الحديث والشعر القديم. وفي باب إدريس حيث رافقته لشراء بعض الهدايا "لأم غيلان" أتعبني أكثر من ثلاثة صفوف في سن الحضانة، إذ ما إن يمر بزقاق أو زاروب فرعي حتى يترك طريقه الأصلي ويسلكه، وما إن يرى أي باب مفتوح حتى يدخله. باب دكان أو باب مستودع، ويتابع حديثه عن صلاح عبد الصبور وعمر أبو ريشة.

مثلاً، فيما نحن نهمّ بدخول "نوفوتيه"، يدخل هو صيدلية أو مكتب طيران أو فرن كاتو. وعندما زادها بعض الشيء قلت له أمام المارة، إما أن تظل ملازماً لي في كل خطوة وفي كل اتجاه، وإما أن أمسك بيدك أو أربطك بخيط وأعرّف قراءك عليك وأنت في هذا الوضع.

لكن في الأمسية الشعرية التي أحياها مساء في بيروت، انقلب إلى شخص آخر لم أعرفه ولم أرافقه خطوة واحدة من قبل. حتى أنني عندما رأيته يحدق بالحضور فرداً فرداً بكل ثقة وثبات، خفت منه، وانتقلت من الصف الأول إلى الصف

www.alkottob.com

الثامن أو التاسع. ومن هناك أخذت أراقبه، كان كل ما فيه كبيراً. قلبه، موهبته، رأسه، أذناه، ما عدا جسمه. كان المسكين، رأس.

وعندما تقدم من الميكرفون تحت الإضاءة نصف الخافتة، امحت ملامحه كلها، ولم يبق بارزاً منها أمام الجمهور سوى أسنانه، كانت جاحظة من خلال شفتيه بوضوح فيزيولوجيا وأيديولوجيا حتى كادت تغطي الصف الأول من الحضور. ووسط الصمت المطبق، صرح بقصيدته الجزائرية الشهيرة "من قاع قبري أصيح حتى تضج القبور".

وما إن انتهت الأمسية حتى كنت في الصف الأخير بسبب تدافع المعجبين والمعجبات للوصول إلى الشاعر الكبير، شاعر الحرية والثورة الجزائرية مقرظين مهنئين. ولكن ما إن سلمت عليه أول معجبة وهي تتنهد حتى ارتخى، وأخذ يصرفني من بعيد بإشارات متلاحقة من يده. وكلما ازداد عدد المتحلقات من حوله بثيابهن الفاخرة وعطورهن المثيرة، ركبه الغرور أكثر وأكثر، وراح يحلق في أجواء من المواعيد الوهمية والأجواء الكاذبة. إذ قال لي ما معناه، بأنه يعتذر عن مرافقتي تلك الليلة وربما لا يستطيع أن يراني أو يرى غيري حتى بعد يومين أو أسبوعين. وعاد لتبادل كلمات الإعجاب والإطراء مع المتحلقين من حوله. ولما كانت السماء ممطرة، وأعرف جيداً هذا النوع من الانبهار وتبادل العواطف والمجاملات أثناء ارتداء المعاطف والتهيؤ للانصراف على أبواب النوادي والمراكز الثقافية، فقد أشفقت على بدر.

كان المطر ينهمر، والرؤية معدومة فوق البحر وفي الشوارع، عندما أخذت مصافحات الوداع والتمنيات باللقاءات في مناسبة أخرى تتوالى على مسامع الشاعر الكبير مع انغلاق أبواب السيارات وانطلاقاً بمعجبيها ومعجباتها في ظلمات بيروت الضاجة الساهرة. وبقي بدر خارج القاعة وحيداً كالميكرفون في داخلها، وفجأة نسي كل شيء. وأقبل عليّ يدور حول نفسه كعادته، ووضع ذراعه في ذراعي وانطلقنا باتجاه منطقة البارات ضاحكين ساخرين.

وفي الطريق، أخذ يحدثني عن زيارته الأخيرة لإيطاليا، وعن شغفه الجديد بالمعكرونة، ثم انتقل من المعكرونة للحديث عن شعر عبد الوهاب البياتي. ومن ثم عاد للحديث مرة أخرى عن إيطاليا ثم انتقل إلى ثرثرة المضيفات، وعن ولعه بالبحر، وتصميمه على تعلم السباحة بالمايوه. ثم انتقل من الحديث عن السباحة إلى الحديث عن ثورة الشواف في الموصل. وعندما قلت له: وما علاقة هذا الموضوع بحديثنا؟ نظر إليّ عابساً وقال: هات "الكرافيت".

وفي البار تولى بدر شؤون السهرة. فأوقعنا بين يدي غانية إيطالية دوختنا قبل أن تحضر كؤوسنا دون أن نأخذ منها حقاً أو باطلاً، وخاصة أن "بدر" من أول كأس لم يعد يعرف روما من بورما. حتى إذا جاء آخر الليل لم يكن معنا قرش واحد إلا ودفعناه على مائدتها. ثم انصرفت مع بدر وهي تدعي الوقوع في غرامه من أول نظرة والإخلاص له إلى الأبد.

وغادرت البار ولحقت بهما متباطئاً دون أن يغيبا عن ناظري. وبينما كان بدر يرقص ويدور حولها كعادته ويغني لها الأغاني العراقية بصخب الأطفال، وإذ به يصمت فجأة ويختفي، وإلى الرصيف المقابل فوجئت به يجلس القرفصاء وحيداً على عتبة فندق، فسألته، ما ذا تفعل هنا؟

- أنتظرها.
- وأين ذهبت؟
- صعدت إلى غرفتها لتغير ثيابها.
- وإلى أين ستذهبان بعد ذلك؟

www.alkottob.com

- لا أعرف.

فسحبته من يده وقلت له منفعلاً، قم وكفاك جنوناً.. امرأة على هذا القدر من السكر والنعاس، أتظنها قادرة على تبديل ثيابها والتبرّج لجنابك في هذه الساعة من الليل. أؤكد لك أنها لن تصل إلى غرفتها حتى تنام على لحافها وحقيبتها في ذراعها. فقال بدهشة، غير معقول، لقد وعدتني.

فقلت له: ومن هي التي وعدتك؟ سهير القلماوي، انديرا غاندي؟ قم ولا تشرشحنا أمام الناس لقد طلع الفجر.

ونهض، ومر بنا حارس ليلي فقال: ماذا تفعلان هنا؟ فقلنا له: لا علاقة لك بهذا الأمر. نحن من رواد حركة الشعر الحديث.

وانطلقنا في أول تاكسي باتجاه الفندق، ولكن في اللحظة التي وصلنا فيها وصل ترامواي وتوقف فترة هناك لجمع الركاب. وبعد أن ودعته، مضيت على أساس أن هذه الليلة انتهت على خير، ولكنه، وبدلاً من الدخول إلى الفندق، دخل الترامواي وانطلق به وأظن أنه بهذه الطريقة دخل الحزب الشيوعي من قبل.

* * *

www.alkottob.com

بدويّ على ضفاف السّين

باريس باختصار، نداء لكل فقراء وبؤساء العالم أن يظلوا حيث هم.. فهي من القوة الجمال والمناعة بحيث تشعر وكأن كل بلاطة في أرصفتها وكل زجاجة عطر في واجهاتها وكل هديل حمامة في غاباتها وكل سيف في قبضات تماثيلها، تدفعك إلى الدهشة ثم الحسد، ثم الغيظ ثم الرحيل. كل شيء فيها: السياسة، الدين، الفن، الاقتصاد يبدو حراً ومرناً كراقص الباليه ومتماسكاً كحلقات السلاسل حول أقدام الأسرى. وفي لحظات الحصار الخانقة أمام مواكب الجمال اللامبالية ثمة ما يدفع الغريب فيها ويستفزه استفزازاً كي يتحرش بالمارة ويعترض طريقهم مثل "الإنسان الصرصار" في رواية دوستويفسكي الشهيرة للتخلص من وحدته ولفت الانتباه إليه.. وكثيراً ما كنت أتخيّل نفسي وأنا أعترض طوابير "الليدو" أو مواكب "الشانزيلزيه" وأصرخ: ولكن أنا من جبهة الرفض، ومن دول المساندة وقضيتنا عادلة وإسرائيل مخلب قط للاستعمار. ولكن أي رفض وأية مساندة وأية مواجهة يمكن أن تجديك أو تلفت الانتباه إليك وأنت تتزحلق طول إقامتك في شوارعها كما يتزحلق الصرصور في حوض الحمام.

ولكن بعد يومين أو ثلاثة من إقامتك فيها ينتابك إحساس من نوع آخر.. إحساس إنسان الكهوف، عندما يخرج إلى الغابة عند الفجر حيث يكتشف أن كل شيء أخضر ومضيء، وأن كل ما حوله يوحي بالدعة والطمأنينة ويدعوه للمشاركة في كل شيء ودخول كل الأبواب حتى أبواب الأليزيه.

برج ايفل يدعوه ويقول تفضل وخذ لك صورة ذكرى.

نوتردام تدعوه وتقول تفضل وخذ لك ركعة أو قداساً.

والجمعية الوطنية تدعوه وتقول له تفضل وخذ لك درساً في الديموقراطية..

والحي اللاتيني يدعوه ويقول له تفضل وخذ لك لوحة أوغانية.

والأحياء الشرقية تدعوه وتقول له تفضل وخذ لك مناقشة أو طعنة سكين.

والباستيل يدعوه ويقول له تفضل وخذ لك "فلقة" وتعلم كيف تكون الثورات.

نعم.. الباستيل الذي كان رمزاً للظلم والاستفزاز طول قرون، أصبح مجرد نصب وساحة يتنزه حولها الطلاب والعشاق والعمال والكتّاب والشعراء والثوريون والفوضويون من كل أنحاء العالم. ويدوسون على أنقاض الظلم والإرهاب مثلما يدوس العصفور على قشور البيضة التي خرج منها. وبالمناسبة، هذا السجن الذي أدى سقوطه في يوم من الأيام إلى تغيير وجه أوروبا والعالم، عندما اقتحمه الثوار.. لم يجدوا فيها سوى ثلاثة سجناء فقط بينما أصغر مسؤول في أي بلدٍ في العالم الثالث يوجد في براد بيته أو خزانة ثيابه عشرة سجناء على الأقل.

ولكنك من جهة أخرى لا تستطيع إلا أن تصرخ: ما هذا النابليون؟ لم يترك لوحة أو تمثالاً أو خابية أو منفضة سجائر أو علبة عطور في كل أوروبا والبلدان الأخرى التي غزاها إلا وشحنها وكومها في بلاده. حتى إن الذي يتجول في الجناح المصري في متحف اللوفر بردهاته وصالاته المزدحمة بالتماثيل والنقوش والعقود والأطواق واللآلئ والأقراط والصحون والملاعق والممالح الفرعونية يخيل له أن نابليون نهب كل تاريخ مصر ولم يترك لها سوى السادات.. بل إن أي شرقي ليشعر

www.alkottob.com

بالغيظ والمرارة وهو يرى الغزاة الفاتحين كيف نهبوا كل تاريخنا وكوّموه في بلادهم، وكيف نحن الآن ننهب حاضرنا ومستقبلنا ونكومّه أيضاً في بلادهم.

وفجأة شعرت بالخوف وأنا أجرجر قدمي ذات مساء في ردهات "متحف الأسنان" حيث ترى بالصور والتواريخ والنماذج تطور الإنسان والتبدل الذي طرأ على جمجمته وأسنانه وأطرافه ومخالبه منذ بدء التاريخ حتى الآن. كل نموذج معروض، بأسنانه المكشرة أو رأسه الصلعاء في واجهة زجاجية أمام الزوار وطلاب المدارس والجامعات.

وقد لاحظت فور وصولي أن بعض عمال المتحف قد أخذوا يعدون واجهة زجاجية جديدة لجناح جديد. فقلت في نفسي وأنا أتراجع بحثاً عن باب الخروج: ما الذي يمنع من أن يأتي أحد العلماء أو البروفيسورات ويلتقطني من ياقتي ويضعني في هذه الواجهة ثم يقلبني بالقفازات والملاقط أمام الزوار وطلاب المدارس والجامعات وهو يقول لهم: هذا الشيء الذي ترونه والذي يشبه الإنسان، كان لأجيال طويلة يظن أنه من فصيلة الثدييات والفقريات. ولكن تبين لنا، نحن العلماء، بعد المراقبة المستمرة والدراسة التقنية أنه ينتمي إلى فصيلة الزواحف باعتبار أن الإنسان العربي منذ فترات طويلة وهو يزحف على ركبتيه ويديه لينال لقمته وحريته.

وفي الحال مزقت القائمة التي تتضمن أسماء الأماكن التي لم أزرها بعد. وقلت:"بلا لوفر بلا سوربون، ورأساً إلى الفندق، إلى المطار، إلى الخطابات".

* * *

ولكن وأنا في طريقي إلى المطار ما إن رأيت أول شرطي مرور حتى أوقفت السيارة وطلبت من السائق أن ينتظرني قليلاً إذ كنت قد علمت أن الشرطي في تلك البلاد كلما اقترب منه أحد المارة وسأله سؤالاً يرفع يده ويؤدي له التحية ثم يجيب على سؤاله. ولذلك تقدمت منه وسألته: أين طريق المطار؟ فرفع يده وأدى لي التحية وأجابني بكل رحابة صدر. ثم ابتعدت عنه قليلاً وعدت إليه مرة أخرى وسألته: كم الساعة؟ فرفع يده وأدى لي التحية وأجابني. ثم أخذت أودعه وأعود إليه وأسأله تارة كم عنده من الأولاد؟ وكم راتبه؟ وهو يجيبني بالتحية نفسها وبالترحيب نفسه حتى شعرت بأنني اكتفيت. فأسرعت إلى السائق راضياً معتذراً فقال: ما قصتك أنت وهذا الشرطي، لقد أرهقته؟ فقلت: القصة وما فيها أن الشرطي هنا كما ترى عندما تسأله سؤالاً يرفع يده ويؤدي لك التحية ثم يجيبك على سؤالك. أما عندنا في الشرق فالشرطي لا يرفع يده إلا للضرب، ولذلك، فعندي جوع تاريخي للاحترام والشعور بالإنسانية ولذلك أخذت معي "زوادة" من هذه الأشياء لا أكثر ولا أقل.

* * *

www.alkottob.com

القافلة

منظر غريب استرعى انتباهي في شارع أبي رمانة. عدد من المارة كلهم يعرجون في إيقاع واحد على أحد الأرصفة، وينظرون إلى ساعاتهم ويحثون بعضهم على الإسراع، وعندما سألت ما الخبر قيل لي أنهم يقصدون عيادة جديدة افتتحت هناك لتقديم الأدوات والخدمات الصحية لراحة القدمين، فقلت حيا الله الرقي والتقدم. فبعد أن زالت من الوطن العربي كل الأسباب التي كانت تنغص على المواطن حياته من سياسية واقتصادية وفكرية، لم يعد في الواقع ما يزعجه سوى بعض الآلام الطفيفة في القدمين بسبب ضيق حذاء، أو سكربينة عالية، أو رقصة طويلة هادفة في مربع ليلي.. ولذلك راقتني الفكرة، ولحقت بهم فوراً وأنا أعرج مثلهم وأكثر. ولكنني لم أصل إلا والعيادة على وشك الإغلاق. والطبيب يعالج عدداً من ذوي الحالات الخاصة النادرة. كان المريض الأول يتأبط عدداً من الكتب والصحف والمجلات وقد كسر كعب قدمه اليمنى، ولذلك تقدم نحو الطبيب وهو يحجل ويتألم ويشكو مزمجراً وقال: أنا يا دكتور إنسان عصبي، ومنذ وعيت على الدنيا وأنا أشهد أموراً كثيرة تجري على الساحة العربية من وراء ظهورنا نحن المواطنين، وكلما قرأت خبراً أو استمعت إلى تعليق أو أغنية من هذا النوع، أدق قدمي في الأرض وأصرخ: نحن هنا يا جماعة نحن هنا، إلى أن كسر كعبها. أرجوك يا دكتور إنني انفعالي وقدمي هي الوسيلة الوحيدة التي أعبر فيها عن رأيي..

الدكتور: لا عليك، خذ هذه الروشيتة إلى العصرونية واشترِ كعباً من البلاستيك مزوداً بنابض كما هو مكتوب. لأنك ستدق قدمك كثيراً بالأرض في المستقبل. كما أن له ميزة إضافية إذ يجعلك بعد كل ضربة تنط في الهواء بعيداً عن الواقع ثم تعود إليه. طبعاً.

ثم تقدم المريض الثاني وهو يحمل في ذراعه سلة معبأة بالأحذية البالية وقال: أنا يا دكتور مشكلتي بسيطة ولا تأخذ من وقتك كثيراً وهي باختصار: منذ سنوات، الأسعار تركض وأنا أركض وراءها، وأنا رب عائلة ولا أستطيع إنفاق كل دخلي على الأحذية، أنقذني من هذا المصروف.

الدكتور: ليس أمامك إلا أن تتوظف في شركة "باتا" لأنك ستركض أكثر في المستقبل.

ثم تقدم المريض الثالث بصعوبة، إذ كانت قدماه منتفختين، وقد فاض ورمهما من حافة الحذاء كما تفيض البيرة من الكأس وقال: مشكلتي يا دكتور أنني منذ سنوات أنتظر تحرير الأرض المحتلة. إنني أنتظر أن يتم الأمر بسرعة.

الدكتور: والطاقات العربية "محشودة" بهذا الشكل؟

المريض: نعم.

الدكتور: إذاً، أنت بحاجة إلى خف جمل لأنه سميك وصبور.

ثم تقدم المريض الرابع ولم يظهر من نهاية بنطلونه إلا بقايا قدمين في بقايا حذاء، وقد تشابكت أصابعهما كالخطوط الهاتفية في ليلة عاصفة، وبرز الإبهام إلى الأمام كأنه يستطلع الطريق قبل كل خطوة، وقال: إنني أسير منذ ولادتي على طريق النضال من أجل التضامن العربي.. الإجماع العربي.. الوحدة العربية أو أي شيء من هذا القبيل.

الدكتور: بالأوضاع السياسية الراهنة.

www.alkottob.com

المريض: نعم.

الدكتور: إذاً، راجع طبيباً بيطرياً، لأنه يلزمك حدوتا حصان.

أما المريض الأخير فقد كان فتى في مقتبل العمر متحمساً وجلاً حائراً وقد حملته الممرضة في قفة، لأن قدميه الصغيرتين كانتا تنزفان دماً وقال: دكتور إنني أسير منذ فترة وجيزة على طريق النضال لتحقيق الاشتراكية والعدالة والحرية، وتحرير الأرض المحتلة. وتقول الكتب والقصائد إن هذه الطريق مليئة بالحفر والأشواك والألغام.. فماذا أنتعل لأتابع المسير؟

الدكتور: انزل من هذه القفة. ليس لك إلا لحم قدميك.. لأن هذه الطريق لا يجتازها حتى نهايتها إلا الحفاة.

وبعد أن أقفرت العيادة من المرضى. تنهد الطبيب المتعب وراء طاولته، ثم دفن وجهه بين روشيتاته وعقاقيره وراح ينتحب بصدق وبمرارة، لقد كان الطبيب نفسه على كرسي بعجلات.

* * *

www.alkottob.com

الفهرس

في وداع الماغوط ٢

الدكتور رياض نعسان آغا، وزير الثقافة ٢

العاشق المتمرد ٥

د. علي القيّم ٥

كاتب التوحد والتمرد ٩

د. حسين جمعة ٩

مجنون المدن والعصفور الأحدب ١٢

عباس بيضون ١٢

موت الشرطي الشاعر..! ١٤

غسان الإمام ١٤

فلنترك بقية من الشجن للأصدقاء ١٦

برهان بخاري ١٦

إياب بعد الرحيل ١٨

أديب قزاز ١٨

تداعيات نقدية في شعر الماغوط ٢١

يوسف مصطفى ٢١

الماغوط و"تشرين" ومنقار الديك ٢٣

د. غسان رفاعي ٢٣

لقد فعلها وتجرأ على سياف الزهور ٢٧

رجاء حيدر ٢٧

رحيل قمر دمشق ٢٩

حسين نصر الله ٢٩

شاعر التمرد والعصيان ٣٢

موقع الجمل ٣٢

آخر حديثٍ ٤٧

عبده وازن ٤٧

الماغوط والصوبيا ٥٥

غسان الشامي ٥٥

لماذا أحترم محمد الماغوط؟ ٥٦

هاشم صالح ٥٦

www.alkottob.com

كسر التفاؤل الرومانسي بيأس كاسر ٥٩
قاسم حداد ٥٩
لكن الحياة تتغير يا أبانا محمد ٦١
شاكر الانباري ٦١
مسرح الماغوط: الكتابة بالسكين ٦٤
صلاح حزين ٦٤
ما زالت رائحة صوته تتردد ٦٧
غازي الذيبة ٦٧
فراق تعسفي ٧٢
فاطمة النظامي ٧٢
نعم تقريباً هذا هو ٧٥
محمد علي شمس الدين ٧٥
كأن الزمن لم يبرح مكانه ٧٧
سيف الرحبي ٧٧
نحن ضيوفك أيها الماغوط ٨١
عقل العويط ٨١
أيها الجلاد الحنون ٨٤
فواز خيّو ٨٤
حتى نهاية الكلام ٨٧
الياس خوري ٨٧
سلاماً.. فأنت تعود إلينا! ٨٩
عبد الإله الرحيل ٨٩
عليك السلام ٩١
إلياس مسوح ٩١
الراحل المقيم ٩٤
خيري عبد ربه ٩٤
الماغوط حدث ثقافي مدهش في حضارتنا ٩٧
د. نذير العظمة ٩٧
* * *الراحل عن "خريف الأقنعة" ٩٨
وضاح شرارة ٩٩
محمد الماغوط أمير الشعر الطلق ١٠٣
حاوره: عادل أبو شنب ١٠٣
محطات في تاريخ الماغوط ١١٣

www.alkottob.com

شــهادات.. ١١٤
جنون العبقرية ١١٥
حنا مينه ١١٥
انتهاء صفحة غير متكررة.. ١١٦
فاروق شوشة ١١٦
الخسارة الكبيرة.. ١١٧
وليد اخلاصي.. ١١٧
محمد الماغوط.. كاهن الحبر والمفارقات.. ١١٨
حسين عبد الكريم ١١٩
رؤية جارحة.. أبعد من التشاؤم.. ١٢٠
زكريا تامر.. ١٢٠
رجل القضايا الخاسرة.. ١٢١
قاسم حداد.. ١٢١
المتمرد.. ١٢٢
جودت فخر الدين.. ١٢٢
مثل نسر في الفضاء ١٢٣
خليل صويلح ١٢٣
اللغة المشتعلة.. ١٢٤
علي عبد الكريم ١٢٤
الراحل الكبير ١٢٥
أحمد بويس ١٢٥
عشق الحرية.. ١٢٦
دريد لحام ١٢٦
وقت إضافي.. ١٢٧
الكمان الأحدب.. ١٢٨
عادل محمود ١٢٨
الإحباط الريفي ١٢٩
فاضل الكواكبي ١٢٩
يتفرج على حياته.. ١٣٠
رشا عمران ١٣٠
جنازة النسر ١٣١
محمد مظلوم ١٣١
ليس محكوماً بالأمل.. ١٣٢

www.alkottob.com

منذر مصري ١٣٢
قتله فيض حزنه ١٣٣
محمد العبد الله ١٣٣
قبل ٣٥ عاماً ١٣٤
حسين بن حمزة ١٣٤
خياناتي الثلاث ١٣٥
ناظم السيد ١٣٥
تحويل الحياة بأسرها ١٣٦
إسكندر حبش ١٣٧
بائع السموم ١٣٨
غسان شربل ١٣٨
المشاكس الذي لم يتعب من التعب ١٣٩
جمال عبود ١٣٩
رحل الماغوط.. تركَ أحزانهُ ومضى..! ١٤٠
زيد قطريب ١٤٠
بائع الحزن ١٤١
عصام داري ١٤٢
الفرح مهنته.. ملك للسخرية والتحدي ١٤٣
محمد الحمامصي ١٤٣
المرحلة الثورية ١٤٤
محمد سليمان ١٤٤
الرهافة والقوة ١٤٥
فاطمة ناعوت ١٤٥
العبقرية الحقيقة في قصيدة النثر ١٤٦
وليد منير ١٤٦
ليس غيره ١٤٧
مصطفى الضبع ١٤٧
الطائر البري ١٤٨
أحمد زرزور ١٤٨
الفرح مهنته! ١٤٩
شريف الشافعي ١٤٩
إهانة حتى الخيانة ١٥٠
محمد الماغوط تحت الغبار ١٥١

www.alkottob.com

وليد معماري ١٥٢
إلى الطائر الصديق محمد الماغوط..... ١٥٣
زياد علي..... ١٥٣
وداعاً..... ١٥٤
خضر عكاري ١٥٤
نبوءة البرّيات..... ١٥٥
جوزيف حرب..... ١٥٥
صفات الشاعر ١٥٦
شوقي أبو شقرا..... ١٥٦
من المبدعين الوطنيين ١٥٧
محمد القشعمي..... ١٥٧
رسالة إلى الماغوط..... ١٥٨
جورج نبكي ١٥٩
الطوفان الكبير..... ١٦٠
سمر مهنا..... ١٦٠
طـواف..... ١٦١
أ.جوزيف حرب ١٦١
سفير المقهورين إلى الخلود..... ١٦٢
حسن.م. يوسف ١٦٢
الشعراء لهم الحياة في الذاكرة والصدور..... ١٦٣
خيري الذهبي..... ١٦٣
قامة إبداعية عملاقة..... ١٦٤
د. عبده عبود ١٦٤
قامة إبداعية كبيرة..... ١٦٥
اعتدال رافع..... ١٦٥
في وداع الماغوط: الأمم تقاس بمبدعيها ١٦٦
د. غسان غنيم ١٦٧
محمد الماغوط..... ١٦٨
حسن مدن ١٦٨
الماغوط..... ١٦٩
بثينة النونو ١٧٠
استيقاظ..... ١٧١
د.راتب سكر ١٧١

www.alkottob.com

المقالة النقدية عند محمد الماغوط..... ١٧٢
عمار المير أحمد ١٧٢
صعود الماغوط..... ١٧٣
صابر فلحوط ١٧٣
في رثاء محمد الماغوط..... ١٧٤
خالد زغريت ١٧٥
لملم الهزائم.. فهزمه الموت..... ١٧٦
أنور محمد ١٧٦
محمد الماغوط ١٧٧
أدونيس ١٧٧
عندما تكون الشهادة فعلاً ناقصاً..... ١٧٨
أحمد تيناوي..... ١٧٨
رحل الجسد.. لكن الإبداع لا يموت..... ١٧٩
عبد القادر الحصني ١٧٩
أعماله ستبقى محفورة في وجداننا ١٨٠
أحمد خنسا ١٨٠
رحل الماغوط بلا نجوم ولا زوارق..... ١٨١
مصطفى علوش ١٨٢
الماغوط بدأ كبيراً ومات كبيراً..... ١٨٣
سحبان سواح..... ١٨٣
البدوي الأحمر يلحق بجيل العمالقة ١٨٤
أحمد خليل ١٨٤
التاريخ لا يتذكر سوى المبدعين ١٨٥
د. محمد قارصلي..... ١٨٥
يعادل جيشاً من الشعراء..... ١٨٦
ناظم مهنا ١٨٦
إمام الشعر ١٨٧
صقر عليشي..... ١٨٧
الماغوط هزّ شجرة الشعر الكلاسيكية ١٨٨
مروان ناصح ١٨٨
هكذا تكلم الماغوط..... ١٨٩
علي صقر..... ١٨٩
(أبا شام) هو الجسد ليس إلا..؟!..... ١٩٠

www.alkottob.com

أحمد علي حشّاش ١٩٠
إلى روح الشاعر الذي جعل الليل نهاراً ١٩١
جودت حسن ١٩٣
أهم من الحياة نفسها ١٩٤
ريمون جبارة :(مخرج مسرحي) ١٩٤
من الذين عملوا "مجلة شعر" ١٩٥
أنطوان كرباج (مخرج وممثل مسرحي) ١٩٥
عالم لا يجيد الاحتفاء بالشعر والشعراء ١٩٦
زاهي وهبي (شاعر وإعلامي) ١٩٦
الشعر مستعصياً ١٩٧
بلال خبيز ١٩٨
مات أبي ١٩٩
يحيى جابر ١٩٩
الماغوط.. تقوم قيامة الكلمات ٢٠٠
د. بغداد عبد المنعم ٢٠٠
أبٌ شعري لا يقتل ٢٠١
محمود درويش ٢٠١
المبرر الوحيد لقبولي لقصيدة النثر ٢٠٢
أحمد عبد المعطي حجازي ٢٠٢
أقام عمود قصيدة النثر ٢٠٣
حسن طلب ٢٠٣
الشاعر المحولجي ٢٠٤
عبد المنعم رمضان ٢٠٤
شاعر الدراما الساخرة ٢٠٥
محمد إبراهيم أبو سنة ٢٠٥
سيّد نثر الحياة اليومية ٢٠٦
صبحي حديدي ٢٠٧
رسالة إلى بابا ٢٠٨
د. شام محمد الماغوط ٢٠٨
شاعر البسطاء ٢٠٩
سلافة محمد الماغوط ٢٠٩
مختارات من أعمال محمد الماغوط ٢١٠
حزن في ضوء القمر ٢١١

www.alkottob.com

أغنية لباب توما ٢١٥
المسافر ٢١٧
الشتاء الضائع ٢١٩
نجوم وأمطار ٢٢١
منزل قرب البحر ٢٢٤
الدموع ٢٢٨
الغجري المعلب ٢٣٠
سلمية ٢٣٢
بدوي يبحث عن بلاد بدوية ٢٣٤
في الليل ٢٣٥
رسالة إلى القرية ٢٣٧
وصية الشتاء للربيع ٢٣٩
سيداتي سادتي ٢٤١
الحديقة قرب الغابة ٢٤٤
وجبة اليوم وكل يوم ٢٤٦
اللوثة ٢٤٨
سكتت.. عن الكلام المباح ٢٥٠
المأخوذ ٢٥٢
ذكريات مع السيّاب ٢٥٤
بدويّ على ضفاف السّين ٢٥٧
القافلة ٢٥٩
الفهرس ٢٦١

www.alkottob.com